

الإدارة الفعالة
للموارد البشرية
دليل المدير المحترف

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية - دار الكتب المصرية
علي، أحمد جابر حسنين
الإدارة الفعالة للموارد البشرية (دليل المدير المحترف) / تأليف:
أحمد جابر حسنين علي
ط1 - القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر
418 ص: 24x17 سم
الترقيم الدولي: 4-006-722-977-978
1- حقوق الإنسان
أ- العنوان
ديوي: 323,4 رقم الإيداع: 2013/3131

تحذير:

جميع الحقوق محفوظة للمجموعة العربية للتدريب والنشر ولا يجوز
نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو
نقله على أي نحو أو بأية طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو
خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة ومقوما

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

2014



الناشر

المجموعة العربية للتدريب والنشر
8 شارع أحمد فخري - مدينة نصر - القاهرة - مصر
تليفاكس: 22759945 - 22739110 (00202)
الموقع الإلكتروني: www.arabgroupneteg.com
E-mail: info@arabgroupneteg.com
elarabgroup@yahoo.com

الإدارة الفعّالة للموارد البشرية

دليل المدير المحترف

تأليف

أحمد جابر حسنين علي

باحث تنمية إدارية

الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة

رئاسة مجلس الوزراء

الناشر

المجموعة العربية للتدريب والنشر



2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ﴿٧٠﴾

صدق الله العظيم

(سورة الإسراء، الآية: 70)

الإهداء

إلى من علمتني الكثير
إلى من زرعت بداخلي الضمير
إلى من تفانت في إسعادي
وأحاط بي قلبها الكبير
إلى أمي الغالية
رحمها الله

المحتويات

5	إهداء
10	فهرس الجداول والأشكال
13	تقديم
21	لماذا هذا الكتاب
31	الفصل الأول: إدارة الموارد البشرية: مفاهيم وتعريفات
35	مفهوم كلمة موارد
37	تعريف إدارة الموارد البشرية
40	أهمية إدارة الموارد البشرية وأهدافها
40	أولاً: أهميتها على مستوى المنظمة
41	ثانياً: الأهمية على المستوى القومي
51	أهداف الموارد البشرية
52	وظائف الموارد البشرية
54	إدارة الموارد البشرية (جوانب سلوكية)
61	الفصل الثاني حقوق الإنسان: نبذة تاريخية
65	كيف خرج الإنسان من حالته الفطرية ليصبح عضواً في الدولة؟
68	إعلانات حقوق الإنسان
68	لائحة الحقوق في إنجلترا
68	الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية
69	إعلان حقوق الإنسان والمواطن في فرنسا
70	الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948م
79	الميثاق الأوروبي لحقوق الإنسان 1950م

80	الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان
99	الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان 1969
101	الميثاق العربي لحقوق الإنسان 2004م
101	الميثاق العربى لحقوق الإنسان 2004م
122	إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام 1990م
130	الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب 1963م
131	تطبيق حقوق الإنسان على المستوى العالمي
137	الفصل الثالث: الإسلام دين ودولتاً
145	الفصل الرابع: علم النفس: مفاهيم وتعريفات
148	ما هو علم النفس؟
152	أهمية علم النفس
157	أهداف علم النفس
157	أولاً: الفهم والتفسير
158	ثانياً: الضبط والتحكم
158	ثالثاً: التنبؤ
159	الإسلام وعلم النفس
165	الخطوات التي يتخذها الإسلام في التغيير النفسي
167	الفصل الخامس: الدوافع الإنسانية وعلاقتها بالسلوك الإنساني في التعامل
170	ما في الدوافع؟
174	دوافع السلوك
174	أولاً: الدوافع الفسيولوجية
189	ثانياً: الدوافع النفسية في القرآن الكريم

201	الفصل السادس: الانفعالات الإنسانية بين القرآن الكريم وعلم النفس
207	الخوف
211	الغضب
214	الحب
224	الكره
225	الفرح
226	الحزن
230	الغيرة
232	الحسد
235	الفصل السابع: الإدراكات الحسية
241	الإدراكات الحسية في القرآن الكريم
251	الفصل الثامن: الشخصية
230	الشخصية في القرآن الكريم
260	الصراع النفسي في الإنسان
266	النفس اللوامة
267	الشخصية السوية
267	التوازن في الشخصية
270	الفروق الفردية
274	النمو والشخصية
275	النمو في القرآن الكريم
277	سمات الشخصية السوية القابلة للتواصل الإنساني
278	هل يمكن للمديرين أن يغروا في شخصية العاملين؟

283	الفصل التاسع: حقوق الإنسان النفسية
296	تعريف الأخلاق
299	مصادر قيم وأخلاقيات العمل والإدارة
301	الأخلاق في الإسلام
308	- دور المسجد الأخلاقي
312	- ضرورة تجديد الخطاب الديني
314	- دور ثقافة الخطيب في تجديد الخطاب الديني
317	دور التنشئة الاجتماعية الأخلاقي
318	- مفهوم التنشئة الاجتماعية
320	- خصائص عملية التنشئة الاجتماعية
320	- أثر غياب التنشئة الاجتماعية
320	- أهمية مرحلة الطفولة في عملية التنشئة الاجتماعية
322	- دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية
324	- العلاقة بين الأبوين والطفل في الإسلام
339	دور القيادة الإدارية الأخلاقي
343	حقوق الإنسان النفسية في القرآن الكريم
343	1- حقوق الإنسان النفسية تجاه نفسه
348	2- حقوق الإنسان النفسية تجاه أسرته
350	3- حقوق الإنسان النفسية تجاه المجتمع
352	4- حقوق الإنسان النفسية تجاه العالم
353	عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان النفسية
366	سمات الحقوق الطبيعية في الإسلام
367	السنة النبوية وحقوق الإنسان النفسية

الفصل العاشر: دور صيانة حقوق الإنسان النفسية في إدارة الموارد البشرية

379	بفعالية
383	الأثر النفسي للمديرين على العاملين بالمنظمة
392	أساليب التعامل ودورها في إدارة الموارد البشرية
400	1- الأسلوب التحليلي
403	2- أسلوب السائق
404	3- الأسلوب اللطيف
405	4- الأسلوب التعبيري
406	5- أسلوب سد الفجوة
407	6- أسلوب التعامل الاحتياطي
411	قائمة المراجع
411	أولاً: المراجع العربية
417	ثانياً: المراجع الأجنبية
418	ثالثاً: المواقع الإلكترونية

فهرس الجداول والأشكال

الصفحة	اسم الشكل	رقم الشكل
21	مراحل النمو والنفس والاجتماعي طبقاً لنظرية إريكسون	1
30	اختبار الأمانة	2
31	تصنيف المتقدين حسب درجة الأمانة	3
38	عملية إدارة الموارد البشرية	4
182	جدول تقسيم الغرائز	5
183	الغرائز والانفعالات المصاحبة لها	6
	التفاعل التبادلي بين أخلاقيات كل من المجتمع والمنظمة والفرد	7
	نموذج مبسط لنظام العلاقات مع الموظفين	8

تقديم

يقصد بحقوق الإنسان النفسية؛ حقوق الناس في المعاملة الحسنة، كمرسل ومستقبل، فهي حقوق متبادلة بين الناس، بما لها من آثار نفسية جيدة على الناس؛ ومن ثم على أداءهم في الحياة بكافة مجالاتها وأنشطتها.

ومن بين الناس؛ تأتي الموارد البشرية كثرة مجتمعية تمتلكها الدول، يتوقف تقدمها ورفيها على مدى استثمارها لتلك الثروة من عدمه، ولا توجد دولة لا تمتلك ثروة بشرية أياً كان حجمها.

من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب؛ كصفحة من صفحات دليل الاستثمار الفعال للموارد البشرية؛ الهدف منه إرشاد المؤسسات، أية مؤسسات إلى كيفية استثمار مواردها، بما يحقق لها التقدم من خلال الإنتاج الجيد كما وكيفاً، من خلال أفرادها من عاملين يتمتعون بأقصى درجات الرضا الوظيفي معنوياً ومادياً، وذلك من خلال إدراك طبيعة النفس البشرية، وطبيعة احتياجاتها، ودوافعها، وما يصدر عنها من انفعالات إنسانية تؤثر سلباً أو إيجاباً على أداء العمل والعائد منه. فهذا الكتاب يقدم دليلاً للنفس البشرية، يتيح للإدارة العليا بالمنظمة، معرفة الكيفية التي يتعاملون بها مع الأفراد تعاملًا جيداً وفعالاً؛ لاستخراج أفضل ما لديهم من أداء.

وهنا أيضاً؛ تأتي أهمية الاهتمام بالدين الإسلامي كعلم إلى جانب العقيدة، وكديانة تعكس عمومية رسالة الإسلام وعالميته، تلك العمومية التي جاءت من تعاليم الإسلام الهادفة إلى راحة الإنسان في شتى بقاع الأرض دون النظر إلى جنس، أو لون، أو دين، فلا غنى للبشر عن هذه التعاليم، وما يحدث الآن من صراعات وحروب ودمار، هو أكبر دليل على بعدنا عن التعاليم التي جاء بها الإسلام لينعم البشر بالحياة، إلا أنهم أبوا أن ينعموا، وفضلوا - رغم التقدم الظاهري - أن يعيشوا حياة مليئة بالنزاعات والحروب، وإهدار حقوق الإنسان التي عنى بها الإسلام، واهتم بها أشد الاهتمام، فجاءت المحافظة على الكرامة الإنسانية في مقدمة تعاليم الإسلام للبشرية كلها، تلك الكرامة التي لن تتحقق إلا بالمحافظة على حقوق الإنسان بشقيها المادي والمعنوي في الحياة. ﷺ

إن محافظة الإسلام على حقوق الإنسان خير دليل على رقى هذا الدين، وعظمته النابعة من عظمة المولى عز وجل الذي بعث نبيه الكريم ﷺ بدين الحق؛ ليظهره على الدين كله، ونحن لا نبالغ، ولا نعيش في حالة من التعصب الأعمى للدين الإسلامي، بل هذا ما أثبتته العلم الحديث في كافة المجالات، وكل اكتشاف جديد؛ هو بمثابة دليل جديد على حقيقة الإسلام، ومنها ما جاء به علم النفس من تفسيرات للسلوك الإنساني، جاء بها القرآن الكريم منذ مئات القرون، متحدثاً عن سلوك الإنسان وما وراءه من دوافع فطرية (غريزية)، وغير فطرية (مكتسبة).

كما اهتم الإسلام الحنيف بنوع آخر من الحقوق لم يلتفت إليه مبدعى إعلانات حقوق الإنسان ومواثيقها، ألا وهو (حقوق الإنسان النفسية)، التي أولاها الإسلام عناية لا تقل عن عنايته واهتمامه بحقوقه المادية الملموسة، ولأن خالق الإنسان يعلم طبيعة احتياجاته المادية، ويعلم ما توسوس به نفسه، كان التوجيه بالاهتمام بحقوق الإنسان بشقيها المادي، والمعنوي، ليكون هذا الاهتمام دليلاً آخر، يضاف إلى الأدلة الكثيرة والمتعددة على وجود الخالق، وأن الإسلام حق، والنبي المرسل حق، فهو لا ينطق عن الهوى؛ إنما هو وحى يوحى، لنعيم البشرية وراحتها.

وإذا تفحصنا الأمر؛ سنجد أن الموارد البشرية التي تحمل نفوساً غير سوية، والتي تشعر بالاضطهاد، أو الاحتقار، أو الكراهية، أو المهانة أو عدم إشباع احتياجاتها الإنسانية... الخ؛ في نفس غير قادرة على المطالبة بحقوقها الإنسانية، أو القيام بواجباتها، والتي في وجهها الآخر حقوقاً للمؤسسة التي يعملون بها. إذن؛ في حقوق متبادلة بين المنظمة، وبين مواردها البشرية تدور حول متساوية بسيطة:

معاملة إنسانية = حالة معنوية عالية (رضا وظيفي) = أداء جيداً كما وكيفاً.

هذا الأمر لم يلتفت إليه صناع ومبدعي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وذلك من وجهة نظرنا، يرجع إلى أن الأساس الذي بنى عليه هذا الإعلان، هو أساس مادي فارغ من أي تعاليم دينية، فالأبعاد النفسية لحقوق الإنسان لن تتحقق بقوانين ومعايير وضعية، شأنها شأن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ إنما تتحقق بالتطبيق الحقيقي لمعنى التدين، والذي يشمل على مكارم الأخلاق، والتمسك بالتعاليم والقيم، والمثل العليا. وهذا ما نقصده بالحقوق النفسية للإنسان في الإسلام، فهي في الإسلام عبادات وجزء لا يتجزأ من سلوك المسلم المؤمن.

تلك الحقيقة التي وفقنا الله سبحانه وتعالى إليها، تثبت بالدليل القاطع أن الأخذ بما جاء به الإسلام فيما يتعلق بحقوق الإنسان؛ هو السبيل الوحيد لراحة البشرية، ليس لأننا نعتنق الإسلام وندافع عنه فحسب، بل بالبحث والدراسة خلصنا إلى أن الدين الإسلامي بشرائعه؛ هو الأنسب لكل دول العالم رغم تباينها الديني، والقيمي، والأخلاقي، فهو دين عالمي أرسل للناس كافة.

وجدير بالذكر أن وصم الإسلام بتهم غير حقيقية تم تليقها عن قصد أو ترديدها دون قصد؛ إنما يعود في الأساس إلى أسباب عدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: التغييب المتعمد للشعوب الغربية عن حقيقة الإسلام من قبل قياداتها؛ بهدف تنفيذ مخططات تم إعدادها لتفتيت الكيانات الإسلامية في العالم أجمع؛ وبصفة خاصة في الوطن العربي - عاصمة الإسلام من الناحية الشكلية -؛ ودليلاً على ذلك وصف الإسلام بالخطر الأخضر على غرار الخطر الأحمر، ذلك

المصطلح الذي نُعتت به الشيوعية قبل سقوط معقلها، لتنفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالعالم.

ويرى الباحث؛ أن ذلك كله يرجع في الأساس إلى معرفة القيادات الغربية بقوة الإسلام كعقيدة، تستطيع أن تجمع الملايين من المسلمين الذين لا هم لهم سوى النصر، أو الشهادة في حالة التعرض للعدوان. أما غير ذلك فالإسلام يدعو إلى السلام، وأيضاً كفكر ثابت لو نشر كما جاء بموضوعية بعيداً عن المغالاة والتشويه، لآمن به الكثير والكثير، ومنهم من عادوا الإسلام واستساغوا تشويبه والافتراء عليه.

كما يرجع ذلك أيضاً إلى التغييب الذاتي للمسلمين الذين ابتعدوا عن تعاليم الإسلام، وأخذهم التقليد الأعمى للغرب بدعوى المدنية والتحضر، وأصبح الهجوم على الإسلام من المسلمين أنفسهم، هو البوابة الذهبية للشهرة والمجد والحصول على لقب مفكر مستنير!!!.

لذلك؛ فإن العالم الإسلامي في أمس الحاجة إلى المزيد والمزيد من المؤلفات والأبحاث العلمية - ومنها هذا المؤلف -، التي تلقي الضوء على الإسلام كعلم إلى جانب العقيدة، التي لا يؤمن بها الغرب، الذي يعتنق العلم إلى جانب عقيدته الدينية إن وجدت، ولهذا فبالعلم سوف نغير نظرة أعداء الإسلام، التي ستأخذهم إلى حالة من التفكير، ثم الاعتقاد، فالإيمان بما جاء به الإسلام؛ وأنه حق من عند الله، أو على أقل تقدير، محو الصورة السيئة التي تم زرعها ورعايتها من قبل أعداء الإسلام، فأثبتت الخوف ثم الكراهية فيما يعرف (بفويا الإسلام).

إن الأمر يتطلب من العالم الإسلامي متمثلاً في قياداته السياسية وهيئاته الدينية والعلمية، تشجيع البحث العلمي الذي يوضح حقيقة الإسلام ويؤكد لها، آخذين في الاعتبار العقلية العلمية للإنسان الغربي، والقرآن الكريم ملئ بالحقائق العلمية، والتي سبق بها العلماء في العديد من المجالات التي تتناول الكون، والإنسان - مركز

هذا الكون -؛ ومنها (علم النفس)، الذي يراه الباحث؛ أساس التقدم والنمو لكل دولة تريد أن تتقدم وتنمي مواردها، فهو يهتم بالنفس الإنسانية، ويوضح سماتها وأمراضها وعلاجها، وكيفية استخدام مفاتيحها. وما قدمه العلماء بل والبشرية كلها من فكر ومفاهيم وحقائق، قدمه الإسلام منذ مئات القرون، ليؤكد بما لا يدع مجالاً للشك، أن ما جاء في القرآن الكريم، ونزل على لسان خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ حق، وأنه مُنزل من عند الله سبحانه وتعالى.

ويبقى توضيح أمراً غاية في الأهمية؛ وهو الأسباب التي دعتنا إلى اختيار الدين الإسلامي في تناولنا لموضوع هذا الكتاب؛ حيث يرى الباحث أنه لكي يتحقق هذا الأمر بشكل سليم وفعال، يجب أن نستمد تدابيرنا وإجراءاتنا من مصدر يتميز بالصدق، والثبات، والبقاء والاستمرارية، وهذه السمات الثلاث لا تتوفر حقيقة إلا في الأديان السماوية، فهي الوحيدة التي تتميز بالصدق، لأنها منزلة من عند الله سبحانه وتعالى، وبالثبات لأنه لا تبديل ولا تحريف لكلمات الله عز وجل، وأيضاً بالبقاء والاستمرارية ما دامت الحياة على الأرض.

ومن بين الديانات السماوية المعروفة لنا، اخترنا الدين الإسلامي، ولا يعنى هذا الاختيار أن مكارم الأخلاق والقيم والمثل العليا التي نشدها، قاصرة على الدين الإسلامي وحده دون الديانات السماوية الأخرى، بل يرجع ذلك إلى أسباب يراها الكاتب معقولة ومنطقية؛ ومنها ما يتعلق بالباحث نفسه، فكونه مسلماً؛ يجعل له الحق في البحث والاجتهاد انطلاقاً من معرفته بمبادئ ديانته، خاصة وأن الاجتهاد هنا، هو اجتهاداً فكرياً وليس فقهيّاً؛ كدعوة يوجهها إلى الكتاب أصحاب الديانات السماوية للبحث، واستخراج ما بها من أخلاقيات التعامل بين الناس، وحث الناس على التحلي بها في تعاملاتهم؛ حتى تصبح جزءاً أصيلاً في شخصياتهم، خاصة أنه ليس من المستساغ قيام باحث مسلم مثلاً بالبحث في الديانات السماوية الأخرى، والعكس؛ حيث يكون على الباحث هنا - أياً كانت ديانته - الاختيار بين أمرين، لا يتفقا مع قاعدة جوهرية من قواعد البحث العلمي، وهى قاعدة

الموضوعية؛ حيث أن الباحث في هذه الحالة، إما أن يغالى في المدح مخافة أن يتهم بالتعصب لديانته، أو ضد الديانة الأخرى، أو أن يغالى في قدح الديانة الأخرى تعصباً أو جهلاً.

أيضاً من الأسباب التي نراها تتفق مع منطق العقل الإنساني، أن رسالة الإسلام في الرسالة الخاتمة لكل الرسالات، ومن الطبيعي أن تجتمع فيها كل التدابير والإجراءات التي تهدف إلى راحة الإنسان على الأرض.

مشكلة الكتاب:

تدور مشكلة الكتاب حول إيجاد صيغة مناسبة؛ تمكن المؤسسات من التعرف على كيفية التعامل الجيد مع العاملين، من أجل تحقيق الرضا النفسي لهم؛ وأثر ذلك أدائهم وإنتاجهم كما وكيفاً.

الهدف من الكتاب:

يهدف هذا الكتاب إلى توضيح سمات النفس البشرية واحتياجاتها، ومن ثم كيفية التعامل معها، بما يعود بالنفع على الفرد والمنظمة ككل، فتنمية أداء الموارد البشرية للمنظمة، لا شك يعود بالنفع في صورة إنتاج، وزيادة في العائد من الأرباح - التي يستفيد منها الجميع -، على مستوى الفرد والمجتمع ككل، كشبكة اجتماعية لا يمكن فصل أثر كل جزء فيها، عن باقي الأجزاء. وقد توصلنا من خلال هذا الكتاب إلى:

- 1- إبراز أهمية الموارد البشرية في حياة كل المؤسسات، والتأكيد على دورها في تقدم المجتمع.
- 2- أن الاهتمام بالبعد النفسي للعاملين بالمنظمة، له أكبر الأثر على أدائهم في العمل، وعلى جودة إنتاجهم كما وكيفاً.
- 3- التأكيد على ضرورة إشباع الاحتياجات النفسية والمادية للأفراد.

- 4- التأكيد على أن الإسلام دين ودولة، ولا يمكن فصله عن مجالات الحياة المختلفة.
- 5- تقديم بعض الأمثلة من القرآن والسنة، تتيح التعرف على مفردات التعامل الجيد بين الناس؛ وخاصةً بين المنظمة وبين الأفراد العاملين بها.
- وفى النهاية يتقدم الباحث بالشكر والتقدير لكل الكتاب والعلماء الذين استعنا بمؤلفاتهم وآرائهم في سبيل إنجاز هذا الكتاب.

وعلى الله قصد السبيل

أحمد جابر حسنين علي

القاهرة في 1/1/2013

لماذا هذا الكتاب؟

يعد إشباع الاحتياجات من الاتجاهات الحديثة في الإدارة الفعالة للموارد البشرية وتنميتها، والحاجة هنا؛ في وضع طبيعي وميل فطري يدفع الإنسان إلى تحقيق غاية ما، داخلية أو خارجية، شعورية أو لا شعورية، وهى ما تعرف بالدوافع التي ينتج عنها انفعالات أو سلوكيات لإشباع هذه الدافع أو هذه الحاجة.

ويعرفها (ميشيل مان) بأنها: رغبة أو مطلب أساسي لدى الفرد، يريد أن يحققه لكي يحافظ على بقاءه وتفاعله مع المجتمع، وقيامه بأدواره الاجتماعية.

(Mann, 1994)

إن إشباع الحاجات لدى الإنسان بلا شك؛ سيؤدى إلى الحفاظ على النفس البشرية، وبقائها ووقايتها من الأمراض والمشكلات. وفى المقابل، فإن عدم إشباع الحاجات لدى الإنسان؛ سيؤدى إلى اضطرابات أو أمراض عضوية، وعدم إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية؛ يؤدى إلى ظهور اضطرابات روحية.

ومن أهداف إدارة الموارد البشرية؛ مساعدة العاملين في المنظمة على إشباع

حاجاتهم المشروعة، بطريقة علمية ومنظمة وسليمة؛ والنتيجة المترتبة على ذلك، في وقاية هؤلاء العاملين من الأمراض والمشكلات.

لذلك يجب على إدارة المشروعات البشرية، كما تقوم بتقديم برامج عديدة لإشباع الاحتياجات المشروعة للعاملين؛ مثل: برامج التأمين الاجتماعي، والتكافل الاجتماعي، وبرامج الإسكان والرعاية الصحية؛ أن تقوم أيضاً بتقديم برامج لإشباع الاحتياجات النفسية للعاملين، من خلال أدلة أو موثيق أخلاقية، توضح أساليب التعامل الجيد بين الإدارة العليا وبين العاملين، وتحديد المسؤوليات والصلاحيات، وحدود العمل التي لا يجب تجاوزها، وذلك من أجل تحقيق الرضا النفسي للعاملين، والذي ينعكس على أدائهم في العمل شكلاً وموضوعاً.

ويرى الباحث؛ أن ذلك يتطلب التعرف على الشخصية، وطبيعة دوافعها، وما ينتج عنها من انفعالات تؤثر في العمل ومخرجاته. وهذا ما حاولنا تقديمه من خلال هذا الكتاب؛ كدليل إرشادي للإدارة العليا في تعاملها مع العاملين بالمنظمة، ويشدد الباحث على عدم الاستهانة بأي من هذه الأمور النفسية. فعلى سبيل المثال؛ التعرف على مراحل النمو أو الحياة لدى الإنسان، قد تفرض سؤالاً استنكارياً، وهو: ما علاقة مراحل النمو بإدارة الموارد البشرية؟!.

وإجابة هذا السؤال، تكمن في محاولات العديد من العلماء تحديد مراحل النمو أو الحياة لدى الإنسان؛ بهدف التعرف على خصائص كل مرحلة، وجوانب النمو المختلفة لدى الإنسان في كل منها، واحتياجات ومشكلات كل مرحلة، وأزمات الحياة التي قد يمر بها الإنسان؛ وخاصةً عند الانتقال من مرحلة إلى أخرى.

ومن المحاولات التي تم الاستفادة منها في هذا الشأن بشكل واضح؛ نذكر: نظرية إريكسون عن الأعمار الثمانية للإنسان، محدداً لكل مرحلة من مراحل النمو، نوع الحاجات والأزمة والمهام والغاية ومجال العلاقات الخاصة بكل مرحلة؛ كما هو موضح بالشكل التالي:

م	المرحلة	نوع الحاجات	الأزمة	المهام	الغاية	مجالات العلاقات
1	مرحلة الرضاعة (الميلاد - سنة)	الأمومة - استطلاع الذات والعالم المحيط به	الثقة الأساسية وضدها الارتياح	الثقة بالنفس وبالآخرين	الإحساس بالأمل	الأم
2	الطفولة المبكرة (1 - 3 سنوات)	التعلم - التخيل - اللعب - تأكيد ذاته داخل عالمه	المبادرة وضدها الشعور بالذنب	الارتباط بالآخرين عن وعي بهدف تحقيق غاية في الحياة	الإحساس بالتوجيه الذاتي	الوالدان
3	سن ما قبل المدرسة (3 - 6 سنوات)	التنشئة الاجتماعية - اللعب - تأكيد ذاته داخل عالمه	المبادرة وضدها الشعور بالذنب	الارتباط بالآخرين عن وعي بهدف تحقيق غاية في الحياة	الإحساس بالتوجيه الذاتي	الأسرة
4	المدرسة الابتدائية (6 - 13 سنة)	مطالب فكرية واجتماعية - الانتماء في الأسرة والنجاح	الكد والمثابرة وضدها الشعور بالدونية	التعاون الهادف مع الآخرين	الإحساس بالكفاية	الجيران والأسرة
5	المدرسة الإعدادية والثانوية والمراهقة (13 - 18 سنة)	الإنجاز - انفصال جزئي عن الآباء - الانتماء إلى الأقران	التمسك بالهوية وضدها الهوية المشتتة	التزام الذات إزاء الآخرين	الإحساس بالولاء	الأصدقاء

م	المرحلة	نوع الحاجات	الأزمة	المهام	الغاية	مجالات العلاقات
6	شباب بالغ (18 - 21)	تحقيق الذات في القيام بأدوار الحياة	الألفة وضدها العزلة	حب بالذات والآخرين	الإحساس بالحب	الأصدقاء والزوج (الزوجة)
7	بالغ ناضج (21 - 65 سنة)	تحقيق الذات في القيام بأدوار الحياة	الإنجاز وضده الخمول	العناية بالذات والآخرين	الإحساس بالحب	الأصدقاء والزوج (الزوجة)
8	بالغ مسن (65 سنة فأكثر)	الاستمرار في تنمية الذات، والمحافظة على الطاقة	التكامل وضده الإحساس باليأس	يصبح هو ذاته في وجود الآخرين	الإحساس بالجماعة	كل الأفراد والجماعات

(مدحت محمد أبو النصر، 2007، ص 207)

شكل (1) مراحل النمو والنفس والاجتماعي طبقاً لنظرية إريكسون

من هنا يبرز الارتباط بين مراحل النمو، وبين إدارة الموارد البشرية؛ حيث تنطلق من مسلمة في أننا إذا كنا نعرف مراحل النمو، أو الحياة لدى الإنسان، والمشكلات أو الأزمات التي يمكن أن يتعرض لها في كل مرحلة، فإن هذه المعرفة تساعدنا في عملية التنبؤ بهذه الأمور لأي شخص، وبالتالي؛ يمكن وضع برامج وقائية لكل مرحلة نمو، هدفها إشباع حاجات الأشخاص في كل مرحلة، وأن يمر نموه في هذه المراحل بسلام دون مشكلات، أو بأقل قدر ممكن منها.

ويؤكد ذلك تعلم وتعليم السلوكيات الإيجابية المتعلقة بالوقاية، فقد استفادت إدارات الموارد البشرية من النظرية السلوكية في جوانب عديدة؛ نذكر منها:

- 1- إن الوقاية من المشكلات سلوك يمكن تعلمه.
 - 2- إن السلوك الوقائي؛ هو نتاج لتفاعل ديناميكي بين إمكانيات الفرد، وبين إمكانيات البيئة.
 - 3- السلوكيات الوقائية؛ عبارة عن مجموعة من العادات التي يمكن للفرد أن يتعود عليها، خلال مواقف الخبرة التي يمر بها. وهذه العادات مكتسبة ومتعلمة ومستمدة من البيئة التي يعيش فيها الفرد.
 - 4- السلوك الوقائي عبارة عن عادات سلوكية موجبة يكتسبها الفرد عندما يحص على التعزيز المناسب.
 - 5- السلوك الوقائي لدى الإنسان؛ يمكن تعلمه بواسطة عدة طرق، منها ملاحظة نماذج من حياته: إذا سلك بطريقة موجبة؛ حصل على التعزيز، وإذا سلك بطريقة سالبة؛ لم يحصل على التعزيز، وإنما حصل - غالباً - على العقاب.
- إن الإنسان قادر على اختيار الاستجابة المناسبة للمثير الذي يحدث؛ بمعنى أن له دوراً أساسياً في اختيار السلوك. ويمكن أن نقول إن الإنسان يمكن أن يغير أسلوب الحياة لديه؛ بحيث يكون أسلوباً أفضل. أبو النصر (2007: ص 320)
- وتجدر الإشارة إلى أن الاهتمام بحقوق الإنسان النفسية، يجب أن تبدأ بالاختيار الجيد للعاملين، وقد ظهرت الاختبارات الخاصة باختيار العاملين كمحاولة لاختيار العامل المناسب للعمل، ومن بينها ما يتعلق بالأخلاق والنزاهة، أيضاً تفيد في التعرف على شخصية الفرد؛ فهي إجراءات تتبع لقياس مدى توافر خصائص معينة في الفرد أو أنها: مقاييس يمكن استخدامها للحكم على إمكانية قيام الفرد بمهام وأنشطة وظيفة معينة، والاختبارات بهذا المعنى تتيح للمؤسسات العامة والخاصة التي تستخدمها، فرصة الانتقاء الجيد لمن سيعملون لديها؛ خاصة إذا كان عدد المتقدمين للعمل كبيراً جداً، فهي تساعد في التعرف على خصائص وسمات الفرد، ثم الربط بينها وبين متطلبات شغل الوظيفة.

وتتم الاختبارات من خلال وسائل عديدة كالاختبارات التحريرية، أو من خلال محاكاة الظروف الفعلية للعمل، وذلك بإعطاء المتقدم عينة صغيرة من العمل لكي يقوم بأدائها، ويعتبر نجاحه في تأدية هذه العينة الصغيرة مؤشراً لإمكانية نجاحه في القيام بمهام العمل الأصلي.

كما أن هناك اختبارات - وهي ما تعيننا في هذا الكتاب - تهتم بقياس عينة من سلوك الفرد؛ بغرض التنبؤ بسلوكه مستقبلاً، بالإضافة إلى بعض الاختبارات الأخرى كاختبارات الذكاء، واختبارات لقياس القدرات العقلية، وأيضاً الاختبارات النفسية؛ ومنها:

- 1- اختبار كشف الكذب.
- 2- اختبار الأمانة.
- 3- اختبار تحليل الخطوط.
- 4- اختبار الكشف عن تعاطي المخدرات.
- 5- اختبارات اللياقة البدنية والطبية، وقياس وتقييم الشخصية.

ومن أهم ما يتم قياسه:

- 1- قدرات الشخص؛ ومن أهمها الذكاء، والقدرات الميكانيكية، والقدرات الحواسية والحركية.
- 2- المعرفة بجوانب علمية، أو عملية، أو وظيفية، ويطلق عليها أحياناً التحصيل العلمي أو المعارف الوظيفية.
- 3- الاستعدادات الكامنة، والتي لم تأخذ فرصتها بعد لكي تظهر بشكل كامل في العمل.
- 4- الميول الشخصية والميول المهنية.
- 5- القيم والمثاليات.
- 6- الاتجاهات النفسية؛ ومن أهمها درجة الرضا عن الوظيفة.

- 7- الصفات الشخصية لدى الفرد مثل: النزعة للسيطرة، ودرجة التوتر والانفعال، والثقة بالنفس، وتحمل المسؤولية، وضبط الأعصاب، والرغبة في الإنجاز، والقدرة على تحمل المخاطرة وحسم الأمور.
- 8- الحاجات التي تسيطر على الفرد، مثل الحاجات الفسيولوجية، والحاجة للأمان، والحاجات الاجتماعية، والحاجة إلى التقدير وتحقيق الذات.
- 9- اللياقة الطيبة.
- 10- كفاءة الأداء في الوظيفة الحالية.

وتقوم أهمية الاختبارات على أساس تحويل أهداف العمل ونتائجه، إلى مهارات وسلوك وصفات وخصائص يمكن قياسها، وذلك من خلال نظرية القياس والاختبار في العمل، وتلعب الاختبارات دوراً هاماً في قياس هذه المهارات والخصائص، فبها نستطيع أن نجمع أكبر قدر من البيانات الموضوعية عن الفرد؛ بحيث تقدم أساساً للتنبؤ بأداء الفرد في عمله مستقبلاً، وكيفية التعامل معه، فهي من أفضل الوسائل الموضوعية للحكم على الأفراد، وتظهر أهمية الاختبارات فيما يلي:

- 1- تكشف عن خصائص وسمات الأفراد المتقدمين للعمل، والتي تساعد في تحديد مدى مناسبة الفرد للوظيفة، من خلال مقارنة هذه الخصائص والسمات، بمتطلبات شغل الوظيفة.
- 2- تقدم مقاييس موضوعية وكمية للسلوك، تستخدم في التنبؤ بسلوك الفرد في المستقبل، وتساعد في استبعاد العناصر الشخصية (أو غير الموضوعية) في عملية الاختيار.
- 3- تفيد في التعرف على نقاط القوة والضعف في العاملين الحاليين بالمنظمة، مما يفيد في وضع خطط تطوير هؤلاء العاملين، ورفع كفاءة وظيفة إدارة الموارد البشرية.
- 4- تساهم الاختبارات في تخفيض تكلفة معدلات دوران العمالة، فالاختيار الجيد

للأفراد؛ يؤدي إلى اختيار هؤلاء الذين يتوقع استمرارهم في العمل بالمنظمة لفترات طويلة.

5- توفر وسيلة فعالة للحكم على مدى دقة بيانات المتقدم للعمل، عن خبراته ومهاراته؛ خاصةً عندما يصعب الرجوع إلى جهات عمله السابقة للتأكد من دقة هذه البيانات.

6- توفر معايير للمقارنة بين الأفراد؛ من حيث توفر خصائص وسمات معينة فيهم، كالذكاء والمهارات والاتجاهات.

7- تعتبر الاختبارات وسيلة فعالة أيضاً في الكشف عن القدرات الحقيقية لهؤلاء الأفراد، الذين يجيدون التحدث عن أنفسهم (أو تلميح أنفسهم) في المقابلات الشخصية، دون أن يكون لذلك انعكاس حقيقي على العمل.

8- ورغم تلك الأهمية، إلا أنه يجب أن يأخذ القائمون على الاختيار في اعتبارهم، عدم الاعتماد على الاختبارات كوسيلة وحيدة للاختيار، أو البيانات التي يدونها الفرد عن نفسه، والرجوع إلى جهات عمله السابقة، أو من يذكرهم من شخصيات يمكن الرجوع إليهم.

والاختبارات شأنها شأن غيرها من الوسائل والأساليب، تواجه العديد من العقبات عند الأخذ بها، نذكر منها:

1- أن عدد الوظائف التي يتم شغلها، أو أن عدد الموظفين والعاملين، لا يبرر التكلفة التي تتطلبها تطبيق الاختبارات، سواء كان ذلك من خلال تدريب أفراد من المنظمة، أو من خلال الاستعانة بمستشار خارجي.

2- الخبرات السابقة للأفراد في عدالة ونزاهة الاختبارات، وادعائهم أنها تتحيز لبعض الطبقات والفئات الاجتماعية دون الأخرى.

3- الخبرات السابقة للأفراد مع الاختبارات سواء داخل المنظمة، أو في شركات أخرى يكونون اتجاهات نفسية سلبية ناحية الاختبارات.

- 4- تخوف البعض من النجاح الذي تحققه الاختبارات في اختيار أفراد ذوى كفاءات عالية، تفوق قدرات المديرين والمشرفين بالمنظمة!
- 5- تخوف البعض من القائمين على شئون التدريب، من عدم جدوى التدريب، إذا ما تم اختيار أفراد ذوى كفاءات عالية.

لذا؛ فإنه من الضروري عند عرض مقترحات استخدام الاختبارات كأحد مراحل الاختيار، أن يتم إعداد تقرير مختصر عن مزايا استخدام الاختبارات، والنتائج التي يمكن أن تتحقق منها، وينبغي أن يصاحب هذا التقرير عرضاً شفويماً مصحوباً ببعض البيانات، عن الجهات التي نجحت في تطبيق الاختبارات، وذلك لضمان القبول.

ويمكن في سبيل ذلك، عمل تجربة عملية عن أهمية الاختبارات، وذلك بتطبيق بعض الاختبارات المتبعة في مرحلة التوظيف مثلاً (مع عدم استخدام نتائجها)، وتتبع أداء الأفراد في العمل الذين تم اختيارهم، ثم عمل علاقة بين نتيجة الاختبار، وبين أداء هؤلاء الأفراد في العمل بعد فترة زمنية، وذلك بغرض التأكد من صدق الاختبارات، وقدرتها على التنبؤ بالأداء؛ ومن نماذج الاختبارات المعروفة:

نموذج اختبار الأمانة

ويهدف إلى قياس صفات تتعلق بالأمانة، وهو اختبار تحريري يستخدم فيه الورق والقلم، وهذه الاختبارات مصممة لقياس اتجاهات الأفراد نحو أشياء معينة مثل:

- 1- التسامح والتساهل مع اللصوص، أو من يقومون بالسرقة والاختلاس والرشوة.
- 2- التماس الأعذار، أو تبرير الأسباب التي تدعو للسرقة والاختلاس.
- 3- السماح بممارسة الأنشطة التي تتعلق بالسرقة والاختلاس.

وقد اقترح بعض الخبراء النموذج التالي (شكل 2) لضمان دقة قياس الصفات التي تتعلق بالأمانة:

أولاً: أطرح على المتقدم أسئلة فضة وفضة (في حدود المسموح به قانوناً) على أن تكون أسئلة عديدة ومباشرة، ومن خلال المقابلة الشخصية، ومن أمثلة هذه الأسئلة: هل سبق لك أن استوليت على شيء، أو اختلست شيئاً من جهة عملك السابقة؟

ثانياً: استمع أكثر من أن تتكلم.

ثالثاً: أسأله عن مدى قدرته على كتمان الأسرار.

رابعاً: فحص كل ما يخص المتقدم من بيانات، أو أي مصادر أخرى للمعلومات.

خامساً: لا تهمل نتائج الاختبارات التحريرية خاصة اختبار الأمانة.

سادساً: طبق اختبار تعاطي المخدرات كجزء من اختبارات الكشف عن الأمانة.

شكل (2) اختبار الأمانة

وهناك نموذج لتصفية المتقدمين حسب درجة أمانتهم، وقد طبقته شركة (Adolf Coor Co.) الأمريكية، ويتكون هذا الاختبار من ثلاث مراحل رئيسية كما هو موضح في الشكل (3).

ورغم أهمية هذه الاختبارات، إلا أن هناك محاذير تحد من استخدامها، والتي يجب مراعاتها عند الاستخدام؛ ومن هذه المحاذير:

1- هناك جدل حول مصداقية اختبارات الكشف عن الأمانة التحريرية، لذا يجب عدم الاعتماد عليها بمفردها.

2- يعتبر رفض أي شخص لعدم أمانته وصمة عار في جبينه.

3- أن هذه الاختبارات تعد تعدياً على خصوصيات وأسرار المتقدم للعمل.

(ماهر، 1997: متعدد الصفحات)

المرحلة الأولى: الكشف عن تعاطي المخدرات: وتقوم فيه الشركة بالتعامل مع أحد معامل التحاليل الطبية المتخصصة للكشف عن مدى تعاطي المتقدم لأي نوع من المخدرات.

المرحلة الثانية: الكشف عن الأمانة: وتقوم فيه الشركة بإسناد هذه المهمة إلى شركة متخصصة في الاختبارات حيث تقوم بتصنيف الأفراد إلى نوعين، وهما:

1- أفراد قدرتهم ضعيفة على تحمل المخاطرة، أو عواقب السرقة ولم يقوموا بأي سرقة من قبل.

2- أفراد قدرتهم متوسطة في تحمل المخاطرة، ويمكن إغرائهم بالسرقة إذا شعروا أن أمرهم لن ينكشف.

المرحلة الثالثة: الاستقصاء والتحري: وفيها يتم السؤال والتحري عن المتقدمين للعمل، وتقوم بهذه المهمة شركة متخصصة.

شكل (3) تصفية المتقدمين حسب درجة الأمانة

وأخيراً.. يشير دستور العلاقات الإنسانية (اللمسة الإنسانية)، إلى عشر وصايا على القائد الالتزام بها لتحقيق النجاح في عمله مع الجماعة التي يقودها. هذه الوصايا في:

- 1- الإنصات الجيد للعاملين.
- 2- توفير التدريب المناسب لهم.
- 3- تفهم مشاعرهم، وطبيعة احتياجاتهم والعمل على إشباعها.
- 4- إرشادهم إلى أحسن الطرق.
- 5- تشجيع ميولهم وأفكارهم.
- 6- عاملهم كبشر وراع مبدأ الفروق الفردية.

- 7- تقدير جهودهم.
 - 8- التواصل المستمر معهم (سياسة الباب المفتوح).
 - 9- إمدادهم بالمعلومات.
 - 10- تكريم المخلصين والناجحين والمبتكرين منهم.
- أبو النصر (2007: ص 320)

هذه الوصايا في أغلبها؛ تتحدث عن مراعاة الحالة النفسية للعاملين بالمنظمة، والتي تتطلب فهماً عميقاً من قاداتهم؛ لطبيعة شخصياتهم وما تحمله من دوافع، ومن خلالها؛ التنبؤ بما يمكن أن تكون عليه انفعالاتهم وأدائهم في العمل، وكل هذه الأمور فضل الباحث أن يطلق عليها مصطلح (حقوق الإنسان النفسية)؛ تلك الحقوق التي حاول الباحث تقديمها من خلال هذا الكتاب، لتكون دليلاً للإدارة العليا بكل مؤسسة، ترشدها إلى الطريق الصحيح نحو إدارة الموارد البشرية إدارة فعالة؛ تعود بالنفع على الفرد والمنظمة؛ ومن ثم على المجتمع كله.

الفصل الأول

إدارة الموارد البشرية
[مفاهيم وتعريفات]

الفصل الأول

إدارة الموارد البشرية (مفاهيم وتعريفات)

مفهوم كلمة موارد :

الموارد لغوياً؛ في المصادر، أو الوسائل أو الثروة. ومورد في مفرد موارد؛ والمورد هو المكان الذي يأتي الناس إليه للحصول على شيء يحقق نفعاً لهم.

ولقد اعتيد استخدام مصطلح الموارد للإشارة إلى الأصول المادية التي تحقق ثروة أو إيرادات، إلا أن المصطلح حدث به اتساع، ليشمل أيضاً الموارد البشرية، والتي يمكن أن تحقق ثروة أو إيرادات، في حالة توافر المعارف والاتجاهات والمهارات المطلوبة في هذه الموارد.

بمعنى أن الموارد قد يكون مصدراً مادياً أو معنوياً، وإذا تم استخدامه بطريقة فعالة، فإنه يحقق منفعة ما. أبو النصر (2007: ص26)

ويعرف (ماكس سيبورين) المورد بأنه: أي شيء له قيمة يمكن استخدامه، وهو إما أن يكون متاحاً أو غير متاح، ويتطلب بعض الجهد لجعله متاحاً، ويستطيع الإنسان أن يستفيد منه، ويجعله أداة يمكن استخدامها لتأدية وظيفة، أو لإشباع حاجة، أو لحل مشكلة. (Siporin , 1975)

كذلك يعرف روبرت باركر الموارد بأنها: أي خدمات قائمة في المجتمع، ومتاحة للذين هم في حاجة إليها. (Robert L. ,1999)

وإذا أردنا تحقيق أي هدف من الأهداف، فلا بد من توفير الموارد لتحقيقها. فإذا أردنا - على سبيل المثال - إشباع إحدى الحاجات، أو حل إحدى مشكلات، أو إنتاج إحدى السلع، أو تقديم إحدى الخدمات، فإننا في حاجة إلى الموارد لإنجاز هذه المهام أو المسؤوليات.

هذا وهناك علاقة وثيقة بين الحاجات والموارد، فبدون الموارد لا يمكن إشباع الحاجات. وفي ضوء ندرة الموارد في كثير من الأحيان، فإن إشباع الحاجات لن يصل إلى المستوى المطلوب، أو أنه سيتم إشباع بعض الحاجات، وترك بعض الحاجات الأخرى.

وللموارد خصائص عديدة؛ نذكر منها: أنها متعددة، ومتنوعة، وغالباً ما تحتاج إلى بذل جهد ووقت ومال لتحقيق الاستفادة منها. أيضاً الموارد - غالباً - ما تتصف بخاصية الندرة؛ بمعنى أن الموارد غير كافية، ومحدودة. وهذا يشير إلى أن الموارد المتاحة من حيث الكم والكيف والنوعية، أقل من كم ونوعية احتياجات المجتمع.

والندرة هنا مسألة نسبية؛ بمعنى أن ظاهرة الندرة وحدتها، يختلفان من مجتمع لآخر، ومن فرد لفرد. وترجع هذه النسبية إلى طبيعة المورد ذاته، ومدى أهميته للحياة الإنسانية. فهل هو أساس لهذه الحياة، أو يمكن الاستغناء عنه؟ أم أن أهميته ثانوية؟ أم أنه مسألة كمالية؟ وما مدى إمكانية استبداله بمورد آخر؟

ونظراً لاتصاف الموارد بالندرة. فكان لا بد من الترشيد من استخدامها؛ حفاظاً على هذه الموارد من سوء الاستخدام. ويمكن تحديد مفهوم الترشيد في النقاط التالية:

- 1- حسن التعامل مع الموارد البشرية؛ حتى لا تكون طاقة مهدرة.
- 2- حسن استخدام الموارد، أو الاستخدام السليم لها.

- 3- أهمية التخطيط في عملية ترشيد الموارد، وذلك من خلال توزيع الموارد على الأهداف، والبرامج، والقطاعات، والفئات، والمناطق بشكلٍ عادل.
- 4- أهمية أن تكون المخرجات لاحتياجات المنظمة، والبيئة المحيطة؛ حتى تتحقق الفعالية. أبو النصر (2007: ص ص 27، 28)

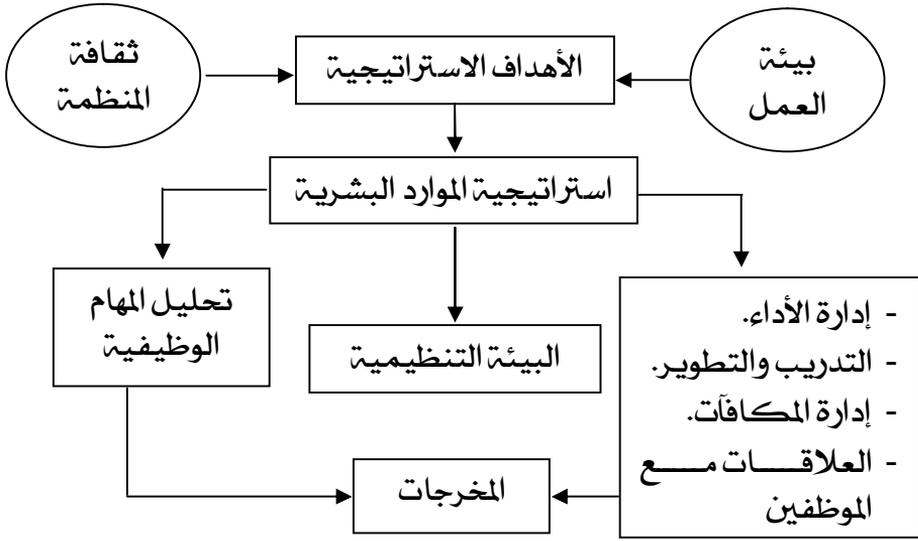
تعريف إدارة الموارد البشرية:

إن إدارة الموارد تمثل جزءاً من العملية التي تساعد المنظمة على تحقيق أهدافها. وهكذا؛ فإنه بمجرد أن يتم وضع الاتجاه الاستراتيجية العامة، فإن المرحلة الثانية تتمثل في وضع الأهداف وتطويرها إلى خطط فعلية. ومن غير الممكن أن يتم تحقيق الأهداف، دون توفر الموارد المطلوبة، والتي تشتمل على الأشخاص، وينبغي أن تكون إدارة الموارد البشرية جزءاً من العملية، التي يتم من خلالها تحديد الأشخاص المطلوبين، وكيفية الاستفادة منهم، بالإضافة إلى كيفية الحصول عليهم، وكيفية إدارتهم.

كما ينبغي أن تتكامل بشكل تام مع كل عمليات الإدارة الأخرى. ويوضح الشكل (4) موقع إدارة الموارد البشرية بين أنشطة المنظمة الأخرى.

لقد اختلفت وجهات النظر في تحديد مفهوم موحد لإدارة الموارد البشرية، لكن يمكن التمييز بين وجهتي نظر مختلفتين؛ وهما: التقليدية والحديثة.

ويرى أصحاب النظرة التقليدية: أن إدارة الموارد البشرية ما في إلا نشاط روتيني، يشتمل على نواحي تنفيذية، مثال ذلك؛ حفظ ملفات وسجلات العاملين، ومتابعة النواحي الوظيفية المتعلقة بهم؛ كضبط أوقات حضورهم وانصرافهم وأجازاتهم. وانعكس ذلك الدور الذي يقوم به مدير الموارد البشرية، وكذلك؛ الوضع التنظيمي للجهاز الذي يقوم بأداء الوظيفة في الهيكل التنظيمي العام للمنظمة.



(كشواي، 2008: ص ص 10، 11)

شكل (4)، عملية إدارة الموارد البشرية.

من ناحية أخرى؛ يرى أصحاب وجهة النظر الحديثة: أن إدارة الموارد البشرية تعتبر إحدى الوظائف الأساسية في المنظمة، ولها نفس أهمية تلك الوظائف (الإنتاج، التسويق، التمويل)، وذلك لأهمية العنصر الإنساني، وتأثيره على الكفاية الإنتاجية للمنظمة، وأصبحت الإدارة مسؤولة عن:

- 1- جذب واستقطاب الأيدي العاملة المناسبة لاحتياجات المنظمة.
- 2- المحافظة على العاملين، والعمل على بقائهم واستمرارهم داخل المنظمة.
- 3- صيانة القوى العاملة وترتيبها وتنميتها.
- 4- تحفيز الأفراد وتدريبهم وتنمية مهاراتهم. (عبد الباقي، 2001: ص 27)

ومن التعريفات المنتشرة لإدارة الموارد البشرية؛ نجد أنها تدور حول مفاهيم محددة تتعلق بالاهتمام بالأفراد داخل المنظمة؛ من حيث تخطيط الموارد البشرية، والاختيار والتعيين وتقييم الأداء والتدريب والتنمية، وتقديم الخدمات الاجتماعية والصحية... الخ؛ ومن هذه التعريفات:

1- أنها عملية اختيار واستخدام وتنمية وتعويض الموارد البشرية العاملة بالمنظمة.
(French , 1974: p.3)

2- أيضاً؛ تعنى الموارد البشرية، استخدام القوى العاملة داخل المنظمة، أو بواسطة المنظمة، ويشمل ذلك عمليات التخطيط بالمنظمة، الاختيار والتعيين، تقييم الأداء، التدريب والتنمية، التعويضات والأجور، وتقديم الخدمات الاجتماعية والصحية للعاملين... الخ. (Sikula , 1976: p.6)

3- إدارة الموارد البشرية؛ في الجانب من الإدارة الذي يهتم بالناس كأفراد أو مجموعات، أو علاقاتهم داخل التنظيم. وكذلك؛ الطرق التي يستطيع بها الأفراد المساهمة في كفاءة التنظيم، وهي تشتمل على الوظائف التالية:

- تحليل التنظيم.
- تخطيط القوى العاملة.
- التدريب والتنمية الإدارية.
- العلاقات الصناعية.
- مكافأة وتعويض العاملين.
- تقديم الخدمات الاجتماعية والصحية.
- المعلومات والسجلات الخاصة بالعاملين. (Martin , 1977)

وأخيراً؛ في مسؤولية كافة المديرين في المنظمة، وأيضاً توصيف لما يقوم به العاملين المتخصصين في إدارة الأفراد. (Grant , 1977: p.2)

وبصفة عامة؛ اتفق معظم الباحثين على وجود خمسة وظائف رئيسية يقوم بها المدبرون، وتتمثل هذه الوظائف في:

- 1- التخطيط.
- 2- التنظيم.
- 3- التشكيل.

4- القيادة.

5- الرقابة.

وتمثل هذه الوظائف؛ العملية الإدارية. وفي مجال دراسة إدارة الموارد البشرية، يتم التركيز على إحدى هذه الوظائف؛ وهي التشكيل، أو ما يطلق عليها الآن؛ إدارة الموارد البشرية، والتي تشير إلى مجموعة الممارسات والسياسات التي تشمل الجوانب المتعلقة بالموارد البشرية داخل المنظمة، ومن هذه الأنشطة:

- 1- تصميم وتحليل الوظائف لتحديد طبيعة وظيفة الفرد.
- 2- تخطيط الاحتياجات من الموارد البشرية.
- 3- استقطاب واختيار الأفراد.
- 4- توجيه الأفراد وتدريبهم.
- 5- تصميم أنظمة الأجور والحوافز.
- 6- تقييم أداء الأفراد.
- 7- تخطيط المسارات الوظيفية للأفراد. (حسن، 2003: ص ص 2، 3)

أهمية إدارة الموارد البشرية وأهدافها:

أولاً: أهميتها على مستوى المنظمة:

مهما اهتمت الإدارة بتحديث التجهيزات، وتعزيز القدرة التمويلية، وحددت أهدافاً طموحة للتميز على المنافسين، فإن كل هذا لن يتسنى تحقيقه دون بشر قادرين محفزين يعملون بروح الفريق. فكم من منظمات تزودت بآلات تلقائية كاملة الاتوماتيكية، لكنها لم تقوى على استغلالها، لعدم قدرة العاملين على استيعاب هذه التكنولوجيا المتقدمة.

وفي حالات أخرى؛ حددت منظمات أهدافاً طموحة؛ لتحسين المركز المالي وزيادة الحصة السوقية، لكنها فشلت في تحقيق هذه الأهداف عاماً بعد عام، وتمثلت أهم الأسباب في مسببات داخلية؛ وهي تواضع قدرات المديرين، وتضخم أعداد العاملين، وانخفاض قدرات ودافعية العاملين، وغياب روح الفريق.

إن أهمية إدارة الموارد البشرية، تنبع من أهمية الموارد البشرية نفسها، والتي تتزايد قيمتها وإنتاجيتها بمرور الوقت وتراكم الخبرات، فبينما تبلى الآلات بمرور الوقت، تتوهج العقول، وبالتالي؛ فالموارد البشرية تمثل أصلاً تتزايد قيمته وأهمية حسن الإفادة منه.

من ناحية أخرى؛ فهناك علاقة تكاملية هامة بين إدارة الموارد البشرية، وبين غيرها من الإدارات أو الوظائف الأخرى للمنظمة. فإدارة أو وظيفة الموارد البشرية تزود إدارات الإنتاج والتسويق والشئون المالية والبحوث والتطوير، كل باحتياجاته من الأعداد والتخصصات المناسبة مع طبائع، أو خصائص الأعمال المؤداة، ومع أعباء العمل بكل إدارة، ومع جدول التنفيذ؛ أي في التوقيتات المناسبة.

ويؤدي أي قصور في تقدير الاحتياجات من الموارد البشرية، أو في الاختيار والتعيين أو التدريب أو الحفز، لتعويق أعمال الإدارات الأخرى سالفه الذكر، العملية لإدارة الموارد البشرية؛ أي التي تتلقى خدماتها تلك وتستفيد منها. كما يؤدي لتعذر تحقيق أهداف هذه الإدارات؛ ومن ثم الأهداف العامة للمنظمة. بينما تسهم كفاءة وفاعلية أداء إدارة الموارد البشرية، في دعم أداء الإدارات الأخرى بالمنظمة، وتيسير بلوغ أهدافها، والأهداف العامة للمنظمة.

ثانياً: الأهمية على المستوى القومي:

تظهر أهمية الإدارة الفاعلة للموارد البشرية على المستوى القومي في المحاور الرئيسية التالية:

أ- الموارد البشرية أساس الاستقلال والنفوذ الاقتصادي؛ خاصةً مع تغير طبيعة فرض النفوذ ليصبح النفوذ، أو الغزو الاقتصادي؛ هو الأكثر تأثيراً والأوسع استخداماً.

إن النفوذ الاقتصادي يجيء عبر قوة اقتصادية تقوم، ليس فقط على موارد طبيعية، بل على موارد بشرية قادرة على الإدارة الفاعلة، وعلى الأداء الجاد المثمر

للعاملين؛ لتعظيم القيمة المضافة، وزيادة الناتج القومي في مختلف جوانب النشاط الاقتصادي، فالقاسم المشترك بين الدول الصناعية الكبرى، على سبيل المثال؛ هو الثروة البشرية، بشر توافرت لهم عقول مفكرة مبدعة، وقدرات فنية مناسبة وعالية، وسمات سلوكية إيجابية، نتجت عن إشباع احتياجاتهم النفسية والمادية، تحت مظلة إدارة فاعلة في المنظمات على اختلاف أنشطتها وأحجامها، وكذا في المنظمات الحكومية التي تسهم في تعزيز فاعلية إدارتها. (مصطفى، 2008: ص ص 24-26)

ب- الموارد البشرية أداة تنافسية عالمية:

وتتمثل أهمية الموارد البشرية في تحقيق المزايا التنافسية المستدامة، ويقصد بالمزايا التنافسية؛ القدرات الذاتية التي تملكها المنظمة (المهارات والتكنولوجيا والموارد والمزايا، والتي تستطيع توظيفها واستثمارها؛ بما يحقق قيمة ومنفعة أعلى للعميل أو المستهلك، وتحقق تميزاً أو اختلافاً لها عن بقية المنافسين، وتسمح باستمرار تحقق النجاح والتميز في ظل المنافسة على المستوى المحلي أو الدولي.

ولكى يكون للموارد البشرية دوراً في تحقيق المزايا التنافسية المستدامة، لابد وأن تتميز بالمهارات التالية:

1- مهارات عامة؛ وهى المهارات التي يمتلكها الأفراد، وتوفر قيمة بالنسبة للمنظمة، وتكون قابلة للتنقل بين منظمات متنوعة، وتوفر قيمة متساوية بالنسبة لجميع المنظمات.

2- مهارات خاصة؛ وهى المهارات التي توفر قيمة هامة لمنظمة معينة. وتنشأ الميزة التنافسية من الاستثمار في تلك المهارات الخاصة، والتي تخلق قيمة بالنسبة للمنظمة، ومن الصعب محاكاتها من قبل المنافسين.

كما لابد لموارد المنظمة ككل؛ وهى:

- 1- الموارد الملموسة: الموارد المادية والبشرية والتنظيمية والتكنولوجية.
- 2- الموارد غير الملموسة: الخبرات والمهارات وجدارات العاملين ومهارة الإدارة.

3- الطاقات التنظيمية، وتشمل:

- أ- جدارة وكفاءة المنظمة في تحويل المدخلات إلى مخرجات.
- ب- طاقة المنظمة وقدرتها على تجميع وتنسيق مواردها؛ بما يحقق الأهداف المحددة، ومن أمثلة ذلك:
 - 1- خدمة مميزة للعملاء.
 - 2- ابتكارات في مجال المنتجات والخدمات.
 - 3- طاقات تجهيز في مجال تطوير المنتجات.
 - 4- القدرة على استقطاب وتحفيز والمحافظة على رأس المال الإنساني.

أن تتسم بما يلي:

- 1- أن يكون المورد ذا قيمة؛ وتعنى كيف لإدارة الموارد البشرية أن تساعد في تخفيض التكلفة، أو في زيادة العوائد.
- 2- أن يكون المورد نادراً؛ ويعنى قدرة إدارة الموارد البشرية على تحديد كيفية تطوير واستثمار الخصائص النادرة للموارد البشرية للمنظمة.
- 3- عدم إمكانية الاستبدال أو الغحلال، وأن لا تكون هناك قابلية لتقليد موارد المنظمة: فعلى إدارة الموارد البشرية تطوير خصائص مواردها، حتى لا يسهل على المنافسين محاكاتها. (خطاب، 2012: ص ص 1287، 1288)

بالإضافة إلى الخصائص التي تتميز بها الموارد البشرية التنافسية؛ من حيث القيمة والندرة، وعدم القدرة على المحاكاة، فهناك خصائص أخرى هامة؛ ومنها:

أولاً: الانتماء التنظيمي والرضا عن العمل:

وهنا يصح لنا أن نتوسع بمفهوم الانتماء، على أنه: كل ما يستشعر المرء الحب له يكون في نفس الوقت متمياً إليه، كما إنه يكون غير متمم لما لا تدور حوله مشاعره، وبذلك يخرج مفهوم الانتماء من معنى التبعية، ويحل محله مفهوم الحب. فنحن ننتمى إلى وطننا لأن وجداننا قد تعلق به، فأحبيناه أو صرنا متممين له. وهذا

يدفع بنا إلى إبراز جانب مهم من عملية الانتماء؛ هو الجانب التجريدي، فنحن في انتماءاتنا ننحاز إلى التصورات أو المفاهيم. فالوطن ليس هذه القطعة من الأرض أو تلك، بل هو مفهوم أو تصور مجرد، وكذا يقال عن الكثير - أو عن كل ما ننتمى إليه -؛ كالديمقراطية والمساواة أو حتى المنظمة أو الأسرة أو المجموعة الدينية أو العرقية أو الاقتصادية أو غير ذلك -.

والواقع أن الإنسان كلما صار أكثر رقياً وتحضراً، صار بالتالي أكثر قدرة على التعامل مع التصورات والمفاهيم المجردة، وبالتالي فإن انتماءاته لا تكون للأشياء والكائنات المفردة، بل تكون للكليات، أو لما ليس واقعاً في نطاق المحسوسات، فالبدائي يحس بالانتماء إلى شخص رئيس القبيلة، بينما يحس المتحضر بالانتماء إلى الصفة الرسمية التي يحملها هذا الشخص، أو ذاك بحيث صار رئيساً للجمهورية أو ملكاً. فالانتماء في هذه الحالة الأخيرة ليس للشخص بل للمفهوم الذي التصق به أو أضيف إليه. فإذا ما زالت هذه الصفة الرئاسية عن رئيس الجمهورية أو الملك فإن الولاء يتلاشى، أو ينتقل إلى الشخص الجديد الذي التحقت به صفة الرئاسة، أو الجلوس على العرش.

وبالنسبة للانتماء - إذا ما نظر إليه باعتباره مكتسباً من البيئة المحيطة بالمرء - فإن اكتسابه يتم بواسطة مجموعة كبيرة معقدة من العمليات التفاعلية فيما بين الإنسان والبيئات المحيطة به، وهناك في الواقع بيئات متباينة من حيث النوعية يتفاعل الإنسان معها وتلعب دوراً في تشكيل انتماءاته المتباينة - يعيننا منها البيئة الاجتماعية؛ - وهي البيئة التي تتشكل من الناس، وما أفرزته السلسلة الهائلة من المجتمعات البشرية من أنظمة وأعراف وقوانين ومعتقدات ومؤسسات وتراث وثقافة ونحوها، ولا يعنى ذلك إغفال دور العقل، فإننا عندما نفرّد موضوعاً لمدارسة العلاقة بين العقل والانتماء، فإن هذا لا يعنى أننا نفصل العقل عن الوجدان - وهو الخامة التي تصنع منها العواطف - . ذلك أن العقل لا يستطيع أن يفصل عن الوجدان، وإن كان العكس ليس صحيحاً على طول الخط. ذلك أن الوجدان يمكن أن يعتدل في

طيات الشخصية في منأى عن العقل الواعى، فيعبر المرء في سلوكه الداخلى، أو في سلوكه الخارجى عن عوامل لا شعورية بجته لا صلة لها بالوعى، ولا بالعقل المنطقى الموضوعى الذي يدرك نفسه من جهة، ويدرك ما حوله من موضوعات مطروحة أمامه ذهنياً من جهة أخرى. (أسعد، د.ت: متعدد)

أما الرضا بوجه عام؛ فإن تزايد الشعور داخل الفرد بعدم الرضا، يتبعه انخفاض متزايد أيضاً في شعوره بالانتماء إلى وطنه، والعكس صحيح، فعلى سبيل المثال: فإن إنتاجية الفرد تتوقف إلى حد كبير على درجة شعوره بالانتماء إلى المنظمة، ومن قبلها إلى الوطن، فالشعور القوى بالانتماء له فعل السحر في نفوس الأفراد لدرجة أنه يجعلهم مستعدين، بل ومرحبين بأن يضحوا بحياتهم في سبيله، وليس الذي يكون مستعداً ومرحباً بالتضحية بحياته في سبيل وطنه، يكون على استعداد أكثر ومرحباً أكثر ببذل كل جهد ممكن لرفعة هذا الوطن؟.

إن الشعور بعدم الرضا هو بطبيعة الحال نتيجة لكل العوامل السابقة، التي تمثل في حد ذاتها، أسباباً مباشرة لانخفاض الإنتاجية القومية في تلك الدول، وفي نفس الوقت فإن الارتفاع السنوى في الأسعار بمعدلات عالية بها، لا يؤدي فقط إلى تدهور مستوى معيشة معظم أفراد مجتمعاتها؛ وإنما أيضاً إلى تزايد مطرد في درجة سوء توزيع الدخل القومى هناك، ولا شك أن ذلك يزيد العمال والموظفين شعوراً بعدم الرضا، وبأن البلد الذي يعيشون فيه ليس وطنهم هم، وإنما هو وطن أصحاب الأعمال، الذين يزدادون غنى وبدرجة كبيرة مع الوقت على حساب الآخرين الذين يزدادون فقراً. فضلاً عن ارتباط ارتفاع الأسعار بالجريمة، ومنها بلا شك جرائم الفساد المالى والإدارى داخل بعض المنظمات، وإن كان أثرها يعد محدوداً، إلا أنه إتضح مثلاً أن كل زيادة في سعر الخبز تعقبها زيادة في نسبة بعض الجرائم خصوصاً السرقة، كما أن ارتفاع بعض السلع ارتفاعاً فاحشاً يؤدي إلى كسادها، وإلى انتشار البطالة لدى منتجها، وللبطالة أثرها بطبيعة الحال في معدلات الجريمة بوجه عام. (شفيق،؟؟؟: ص120)

علاوةً على ذلك "فإن تفشى الظلم في الدول النامية بدرجة كبيرة - نتيجة عوامل عديدة، مثل التأخير في الفصل في القضايا، الأمر الذي يشجع الأفراد هناك على ظلم بعضهم دون خوف من رفع الدعاوى ضدهم في المحاكم -، وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض الأوضاع السياسية في البلدان النامية تخلق أحياناً شعوراً لدى الغالبية الساحقة من أفراد المجتمعات هناك، بأن رغباتهم وآرائهم لا تؤخذ في الاعتبار كلية، أو أنها على الأكثر تؤخذ في الاعتبار بدرجة ضئيلة حتى عند اتخاذ أهم القرارات؛ أي كلما انخفضت درجة الشعور بالانتماء إلى الوطن، كلما زادت الجماهير استهتاراً بالمال العام وإهمالاً له؛ وبطبيعة الحال فإن الفاقد في المال العام، يزيد من الأثر السلبي للانخفاض في درجة الشعور بالانتماء إلى الوطن على الإنتاجية القومية في الدول النامية. (دغيم، 2006: ص ص 118-120)؛ حيث يؤدي غياب الانتماء إلى:

- 1- التسبب وعدم الانضباط.
- 2- الجمود و اللامبالاة.
- 3- قلة الدافع للعمل.
- 4- ضعف المبادأة والإبتكار.
- 5- الاستغلال الوظيفي.
- 6- انخفاض القدرات والمهارات وانتشار ظاهرة الغياب والتمارض.
- 7- هجرة العقول وتسرب الكثير من العمالة الفنية الماهرة إلى الخارج. (كاظم، 1993: ص 133)
- 8- الاختلاس من المال العام، وإهداره بسوء الاستخدام المتعمد، أو بالاستهلاك فيما لا ينفع.
- 9- إضاعة وقت العمل في أمور غير مفيدة.
- 10- تأخير مصالح الناس.
- 11- انتشار الرشوة.
- 12- إضاعة حقوق الدولة.
- 13- التخريب المتعمد في المنشآت الحكومية.

وغير ذلك من الظواهر التي يصعب حصرها، والتي أثرت بشكل كبير على كفاءة أداء العمل الجماعي، وفعالية المنظمات الاقتصادية والاجتماعية بالدولة.

والأهم مما سبق شعور الفرد بأنه عضو مؤثر في مجتمعه، له قيمته ومكانته، وله تأثيره الحيوى بما يقوم به من أدوار، كما يفرض تنمية الانتماء للوطن بناء الثقة بين الحكومات وبين الشعوب، تلك الثقة لن تتأتى إلا بالصدق وكشف الحقائق، والقضاء على الفساد بكل صورته، وأن تكون القيمة للأصلح، وليس للأقرب من أهل الثقة.

ويمكن أن نجمال سبل تنمية الانتماء في بعض جمل، وهى:

عندما يشعر الفرد بأن له وطن.. سيتمى إليه، ويحارب من أجل حمايته، وعندما يفقد الوطن.. سوف يبيع الأرض ومن عليها، لأنها في النهاية بالنسبة له.. مجرد أرض لا يملكها، ولا تربطه بها أي وجود، ولا بأهلها أي عاطفة. (على، 2011)

لذلك لابد من تنمية الانتماء لدى المواطن بصفة عامة، والعامل بصفة خاصة، لذلك؛ يلعب الرضاء عموماً دوراً هاماً في حياة الناس، والرضاء الوظيفي خاصةً في حياة العاملين، فهو ذلك الشعور بالاكتمال والإنجاز النابع من العمل، هذا الشعور ليس له علاقة بالنقود، أو المميزات، أو حتى الأجازات، إنما هو ذلك الشعور بالارتياح النابع من العمل ذاته، ومن الناحية النظرية يمكن لأي وظيفة أن تحقق قدراً من الرضاء.

ويرجع الرضاء الوظيفي لقبول الإنسان وظيفته كما في، وقيامه باستغلال كل سبل الرضاء المتاحة له من خلالها. ويرتبط بالوظيفة الواحدة أكثر من مصدر لتحقيق الرضاء الوظيفي، فالإنسان قد يشعر بالارتياح نتيجة لارتفاع أدائه في العمل، أو جودة عمله، أو تعلم مهارات جديدة، أو العمل كجزء من فريق العمل، وكذلك مساعدة الزملاء أو زيادة قدراته الشخصية أو حتى تلقي الثناء، فيمكن لأي عامل الحصول على عشرة مصادر للشعور بالرضاء على الأقل.

وينبع الشعور بالرضاء من مصدرين أساسيين؛ وهما:

- 1- أداء العمل بشكل صحيح - الفخر بالمهارة - مهما كانت بيئة العمل، وبالطبع هناك وظائف يصعب تحقيق الرضا فيها عن غيرها، خاصة حين تدرك أن الوظيفة لا تناسب قدراتك، ولا توفيك حقلك ولكنك مضطر لها.
- 2- بيئة العمل، والتي تشمل على مكان العمل والأشخاص الذين تتعامل معهم.

وتنبع أهمية الرضاء الوظيفي من:

- أ- أنك حين تشعر بالرضاء تطلق العنان لحماسك وقدراتك الإبداعية.
- ب- كما أنك حين تشعر بالسعادة تكون أكثر إيجابية مما يجعل من حولك أيضاً أكثر إيجابية.
- ج- أيضاً الرضاء الوظيفي يسعد الإدارة - إذن فأنت حين تسعد نفسك تسعد رؤسائك في العمل -.
- د- بالإضافة لأن الشعور القوي بالرضاء الوظيفي يمكّنك من بناء علاقات أفضل مع رؤسائك وزملائك، وأيضاً عملائك، فالشعور بالرضاء صفة معدية.
- هـ- أيضاً حين تكون الأمور على ما يرام في العمل، فإنك لا تبحث عن سبل للتهرب من العمل، بل على العكس تبحث عن مهام ذات قيمة أكبر.
- و- وأخيراً فحين تشعر بالرضا تكون أكثر تركيزاً مما يجعلك ترتكب أخطاء أقل.

ويضع الكثير من العمال خططاً لتحقيق النجاح في حياتهم المهنية: فيستخدمون حيل السياسة ويقومون بألعاب الحوارة، ويفعلون كل ما يعتقدون أنه يمكن أن يفيدهم في تسلق السلم الوظيفي. أولئك الناس يتجاهلون حقيقة أن النجاح المهني يمكن تحقيقه بشكل أكثر سهولة وأخلاقية وكفاءة عن طريق الرضا الوظيفي، فهو يقربك من حدود إمكاناتك، فتمكّنك إنجازاتك من البقاء منفرداً عن الآخرين. فاهتمامك بعملك يدنيك في النهاية من النجاح. فالرضاء الوظيفي يمكّنك من تسلق السلم الوظيفي مثل المخططين والمتأمّرين، ولكن بطريقة أكثر إمتاعاً (كيبيلر، 2003: متعدد)، وشرفاً.

والحقيقة أن الرضا الوظيفي يؤدي إلى الانتماء، وليس العكس، فقد ذكرنا في البداية أن الانتماء يكتسب نتيجة احتكاك الفرد بمجمعه، والذي يعتبر في حد ذاته منظومة متداخلة لا يمكن فصل أي من مكوناتها السياسية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الثقافية؛ وهذا الاكتساب يتم بواسطة مجموعة معقدة من العمليات التفاعلية فيما بين الإنسان والبيئات المحيطة به، ومنها بيئة العمل بالطبع، والتي تلعب دوراً في تشكيل انتماءه، لذلك فإن الشعور بالرضا الوظيفي يزيد من انتماء الفرد لوطنه، وليس بالضرورة أن يؤدي الانتماء إلى الشعور بالرضا، فقد يكون العامل على درجة عالية من الانتماء لوطنه، ولا يشعر بالرضا الوظيفي داخل العمل، نتيجة عوامل بعيدة كل البعد عن سياسات الدولة.

ثانياً: المرونة:

ويقصد بها مرونة المهارات؛ أي الاستخدامات البديلة الفعلية والمحتملة، التي يمكن لمهارات الموظفين تطبيقها، وكذلك السرعة، والتي من خلالها يمكن إعادة تشكيلها. وهناك ثلاث مستويات لمرونة المهارة؛ وهي:

- التنوع على المستوى الفردي؛ أي قدرة العاملين على تعلم مهارات لها استخدامات بديلة.
- التنوع على مستوى المنظمة؛ أي تنوع المهارات سواء الفعلية، أو المحتملة القائمة حالياً في المنظمة.
- السرعة في البعد الزمني؛ أي مدى أو كيفية السرعة التي يمكن من خلالها، إعادة تشكيل المهارات في المنظمة.

وتظهر أهمية مرونة مهارات الموارد البشرية في تحسين الميزة التنافسية، من خلال زيادة قدرة المنظمة على سرعة التكيف مع الظروف البيئية المحيطة، والتطور التكنولوجي، واستغلال الفرص الجديدة؛ وبالتالي تحقيق استراتيجية المنظمة، سواء قيادة التكلفة، أو استراتيجية الإبداع والابتكار.

ثالثا: التنظيم الإداري:

يعتبر من العناصر الهامة، والتي تسهم في تحقيق الميزة التنافسية للموارد البشرية للمنظمة. والتنظيم يعنى توافر النظم والممارسات التي تسمح لخصائص الموارد البشرية، بأن يتم استثمارها وتطويرها؛ بما يسهم في تحقيق المزايا التنافسية، وهناك مجالات عديدة في ذلك؛ ومنها: التركيز على ثقافة التعاون، والثقافة المبنية على استخدام فرق العمل، وتمكين العاملين والمشاركة في اتخاذ القرارات.

رابعا: التعلم التنظيمي:

يعتبر التعلم التنظيمي، سبيل للمحافظة على الميزة التنافسية المستدامة، سواء بالنسبة للموارد البشرية، أو بالنسبة للمنظمة ككل؛ وذلك نم خلال:

- عملية اكتساب المعرفة ونقلها وتطويرها، ودمج كل من المعرفة الضمنية والصريحة، واحتفاظ ذاكرة المنظمة بهذه المعارف والمهارات، وانعكاس ذلك في خدمات ومنتجات جديدة ومبتكرة، وأداء أفضل للأفراد وللمنظمة.
- يساعد التعلم التنظيمي على تطوير السلوك والأداء التنظيمي من خلال:
 - مرحلة التعلم الإدراكي: والذي يؤدي إلى تحسين النماذج الفكرية، والقاعدة المعرفية.
 - مرحلة التعلم السلوكي: حيث تتم ترجمة هذه التغيرات، إلى ممارسات جديدة في مجال العمل بالقدرة، وبالسرعة المطلوبة، والتي تحقق التفوق على المنافسين.
- يحقق التعلم التنظيمي إشباع حاجات الأفراد في النمو والتطوير، وتعزيز انتماء الفرد للمنظمة؛ وبالتالي زيادة قدرة المنظمة على مواجهة الأزمات التي قد تتعرض لها وتهدد حياتها. خطاب (2012: ص ص 1290، 1291).

ثالثاً: العقول المبتكرة تخفض فاتورة التكنولوجيا المستوردة:

لا شك أنه في عصرنا الحديث؛ عصر التقدم العلمى والتكنولوجى، قد انتقلت الثروة تدريجياً من أصحاب الموارد الأولية لأصحاب الفكر والاكتشافات العلمية، وأصبح تقدم وتفوق الدول رهناً بحسن تكوينها لذخيرتها العقلية، والإفادة منها؛ أي من عقول المبدعين فكراً وعلمياً.

لقد تضمنت الاتفاقية العامة للتعرفة والتجارة G.A.T.T، اتفاقية حماية الملكية الفكرية، والتي ضمت معايير عالمية متشددة لحماية هذه الملكية. كما ظهر قيد جديد على سعى الدول النامية لنقل التكنولوجيا، والإفادة من براءات الاختراع، والتي تمتد حمايتها إلى عشرين عاماً، وحقوق الطبع التي وصلت حمايتها إلى خمسين عاماً، ويعنى ذلك؛ أنه يستحيل تقليد براءات الاختراع وتطويرها (الهندسة العكسية). وسترفع قيمة فاتورة شراء التكنولوجيا المستوردة، وذلك طالما تأكد حق صاحب التكنولوجيا الأصلي في حماية ما ابتكره.

وعلى ذلك؛ فإن على منظماتنا إما أن تشتري تكنولوجيا بالسعر الذي ستحدده الشركة الأجنبية المنتجة، وسيكون مرتفعاً بالطبع، أو لا تشتري حق الإنتاج، وتستورد المنتج من الخارج وبأسعار مرتفعة أيضاً. مصطفى (2008: ص ص 28، 29).

أهداف الموارد البشرية:

وتتنوع أهداف إدارة الموارد البشرية من منظمة إلى أخرى، وسوف تعتمد على مرحلة التطوير الخاصة بالمنظمة. وعلى ذلك؛ فإنه سوف يتم على سبيل المثال، النظر إلى الشخص المسئول عن الموارد البشرية، على أنه الشخص الذي يعنى بالجانب الإدارى من إدارة الموارد البشرية؛ مثل إعداد عقود العمل وملفات الموظفين.

1- على الجانب الآخر تماماً من ذلك؛ فإنه سوف يتم النظر إلى الشخص المسئول عن الموارد البشرية، على أنه جزء متكامل وحيوى من عملية التخطيط للعمل.

- لذا؛ فإن أهداف إدارة الموارد البشرية تعد كثيرة ومتنوعة، وسوف تشتمل في أوقات مختلفة على بعض، إن لم يكن كل الأهداف التالية:
- 2- توجيه النصح إلى الإدارة بشأن السياسات الخاصة بالموارد البشرية اللازمة؛ لضمان أن المنظمة لديها قوة عاملة على مستوى عال من الكفاءة والتحفيز، ولديها مجموعة من الأشخاص المؤهلين للتكيف مع التغيير، علاوة على ضمان التزام المنظمة بالتزاماتها القانونية الخاصة بالعمل.
 - 3- تنفيذ والحفاظ على استمرارية استخدام كل الإجراءات والسياسات الضرورية الخاصة بالموارد البشرية؛ حتى تتمكن المنظمة من تحقيق أهدافها.
 - 4- المساعدة في تطوير الاستراتيجية العامة للمنظمة؛ وبصفة خاصة، بالنظر إلى ما يتعلق بالموارد البشرية.
 - 5- توفير الدعم والظروف التي سوف تساعد المديرين التنفيذيين في تحقيق أهدافهم.
 - 6- التعامل مع الأزمات والمواقف الصعبة الخاصة بالعلاقات بين الأشخاص؛ وذلك حتى يضمن ألا تقف مثل هذه الأشياء في طريق تحقيق المنظمة لأهدافها.
 - 7- توفير قناة اتصال بين القوى العاملة، وبين إدارة المنظمة.
 - 8- القيام بدور المشرف على القيم والمعايير التنظيمية في إدارة الموارد البشرية.
- كشواى (2008: ص ص 12، 13)

وظائف الموارد البشرية:

تختلف وظائف الموارد البشرية من منشأة إلى أخرى، بحسب حجم المنشأة وأنشطتها، إلا أن هناك عدداً من الوظائف الأساسية للموارد البشرية في أي تنظيم؛ وهي على سبيل المثال:

1- التوظيف:

وهو عملية مكونة من عدة خطوات، صممت لتزويد المنشأة بالأفراد المناسبين

للووظائف المناسبة. هذه الخطوات تتضمن: توصيف الوظائف، تخطيط الموارد البشرية، توفير الموظفين من خلال الاستقطاب؛ ثم الاختيار، والتعيين.

ويعتبر توصيف الوظائف؛ البداية الحقيقية لعمل إدارات الموارد البشرية، لأنه يحدد الأعمال والمهارات المطلوبة لإنجازها، بعد تحديد أهداف المنشأة. توصيف الوظائف أيضاً؛ هو تحديد معالم كل وظيفة من الوظائف الموجودة في المنشأة؛ من حيث واجباتها ومسؤوليتها ومتطلباتها، والشروط التي يجب أن تتوافر فيمن يشغلها.

كما يستخدم التوصيف كأساس لوضع نظام سليم لاختيار وتعيين الأفراد، ويساهم أيضاً في تحديد الاحتياجات الدقيقة من الموارد البشرية. هذا الوصف المكتوب عن الوظيفة ومتطلباتها؛ يساهم في تحديد وتخطيط الاحتياج الفعلي من الموارد البشرية أيضاً. كما أن تخطيط الموارد البشرية؛ عبارة عن نظام توافق أو مقابلة عرض الأفراد داخلياً (الأفراد الموجودين فعلاً)، وخارجياً (الأفراد الذين سيتم تعيينهم أو البحث عنهم) مع الوظائف المتاحة، والتي تتوقع المنشأة وجودها عبر فترة زمنية محددة.

2- تخطيط الموارد البشرية:

ويهدف تخطيط الموارد البشرية إلى التنبؤ باحتياجات المنشأة من الأفراد، وتطوير خطط واضحة تبين عدد العاملين الذين سيتم تعيينهم، أو الذين سيتم تدريبهم (من داخل المنشأة) لسد هذه الاحتياجات.

ولا يعنى التخطيط بالضرورة بأنه: عملية الحصول على العدد الصحيح من الأفراد المؤهلين للوظائف المناسبة؛ بل يعنى تحديد الاحتياج الحالى والمتوقع من الأفراد. أما توفير الموظفين؛ فيتم عن طريق الاستقطاب الذي يعرف بأنه: العملية التي يمكن من خلالها جذب طالبي العمل للتقدم للمنشأة لشغل الوظائف الشاغرة، عن طريق نشر مواصفات الوظيفة وشروط شغلها، وقد يكون هذا الجذب من داخل المنظمة أو من خارجها.

والحقيقة؛ أن الواقع الحالى يشير إلى افتقاد سياسات إدارة الأداء والاختيار والتعيين وتخطيط الموارد البشرية المعمول بها أهميتها؛ حيث لا تعتمد على أسس الاستحقاق والجدارة والتنافسية، وتفتقر إلى الشفافية والمساءلة، وتعتبر تقليدية غير فعالة أو مرنة. وكونها تعمل وفق أنظمة مغلقة تعتمد على المركزية في اتخاذ القرار، والمحسوبة، بدلاً من معايير أداء دقيقة. يتبين أيضاً؛ أن أي إخلال في أي مبدأ من البنود المسلسلة في التوظيف؛ من شأنه أن يضعف فرص المنشأة في النجاح، ويضعف وظائف إدارة الموارد البشرية. (سالم، 2009: ص ص 12، 13).

إدارة الموارد البشرية (جوانب سلوكية) :

بدايةً.. يمكن القول أن الفرد بالمنظمة؛ هو وحدة أو كيان مادي ومعنى يقوم بممارسة عمل ما، في ظروف مادية واجتماعية معينة. وهو بذلك يمثل نظاماً مفتوحاً يتأثر ويؤثر في عديد من المتغيرات التي تحيط به، ويعمل معها أو من خلالها؛ حيث يلعب هذا التأثير أو التفاعل دوراً جوهرياً في تقليل أو زيادة فاعليته.

وإذا واجه الفرد حاجزاً ما - مادي أو معنوي -؛ سرعان ما يحاول إبعاد هذا الحاجز، فإن لم يستع، ابتعد هو عنه بتغيير مساره؛ لتحقيق نفس الهدف المرغوب، وإن لم يستطع هذا أيضاً، اتجه للبحث عن هدف جديد يحقق تلك الحاجة، أو الرغبة القائمة لديه، فإذا تحقق هذا؛ سكن الفرد واستقر.

وإذا لم يستطع الفرد أن يسلك أيّاً من الاحتمالات السابقة؛ هنا يصبح الفرد انفعالياً، ويتجه نحو تحطيم الحاجز. فإذا تحقق هذا، يسهل على الفرد أن يحقق أهدافه، وإن لم يستطع تحطيم الحاجز، لكون الحاجز قوياً، أو لأى سبب آخر؛ اتجه السلوك الانفعالى إلى الفرد ذاته، مما ينشأ عنه تلك النواتج السلوكية؛ كالقلق والصراع والإحباط، أو الاتجاهات النفسية؛ كالاغتراب، وغيره من الظواهر السلوكية المرتبطة بالعمالة داخل التنظيمات.

ومعنى هذا؛ أن النواتج والاتجاهات السلوكية لدى الأفراد بالمنظمات، تتحدد وفق طبيعة التفاعل بين تلك المتغيرات البيئية والتنظيمية؛ ومنها الخصائص التكنولوجية، والخصائص المادية والمعنوية لهؤلاء الأفراد. (أبو بكر، 2004: ص 385) وتشتمل هذه الاتجاهات والظواهرات السلوكية على الأبعاد التالية:

1- الرضا الوظيفي:

وهو كما ذكرنا سابقاً؛ ذلك الشعور بالاكتمال والإنجاز النابع من العمل، هذا الشعور ليس له علاقة بالنقود أو المميزات أو الأجازات؛ إنما هو ذلك الشعور بالارتياح النابع من العمل ذاته. ومن الناحية النظرية يمكن لأي وظيفة أن تحقق قدراً من الرضا. لكن مع الشعور بالإحباط، لا يمكن للفرد الإحساس بأى قدر من الرضا؛ رغم أنه لا توجد مؤسسة سيئة بالكامل ولا يوجد بها شيء يدعو للرضا؛ خاصةً وأن الوظيفة الواحدة يرتبط بها أكثر من مصدر لتحقيق الرضا، فالإنسان قد يشعر بالارتياح نتيجة لارتفاع أدائه في العمل، أو جودة عمله، أو تعلم مهارات جديدة، أو زيادة قدراته الشخصية، أو حتى تلقى الثناء، فيمكن لأي عامل الحصول على عشرة مصادر للشعور بالرضا على الأقل.

كما يمكن الشعور بالرضا كل يوم عن طريق التنقيب داخل عناصر الرضا المتاحة، وهذا الأمر ينطبق حتى على من ينتظرون الوقت المناسب للانتقال إلى مجال عمل آخر. فالسر يكمن في أن تستمتع بعملك الحالي، بينما تستعد لعمل أفضل. والكثير من الناس يحققون قدراً معقولاً من الشعور بالرضا من خلال أداء أعمال تقليدية، فهم يحسنون استغلال وقت العمل، بغض النظر عن طبيعة المهام التي يؤديونها. كيبيلر (2003).

2- مقاومة التغيير:

إن التغيير يعتبر جزءاً أساسياً من عملية الإبداع والتجديد في المنظمة، ويعتبر جزء من دور أي مدير هو العمل كأداة تغيير في منظومة العمل، أي يأخذ على عاتقه مسؤولية تغيير نموذج قائم لكل من سلوك شخص أو نظام اجتماعي آخر،

وغير ذلك يعد تغيير غير مخطط، إذ يحدث بشكل فوضوى مثل الإضراب الذي يتسبب في غلق المنظمة، أو تغيير نفعى مثل الخلافات بين الأفراد، والتي تتسبب في وضع إجراءات، أو قواعد جديدة يتم ترسيخها لتنظيم العلاقات بين الإدارات. (آر، يناير 2: 2007: ص 50).

فالقيم والمفاهيم السائدة عن نظام العمل في المنظمات تساعد على نجاح تطبيق إعادة هندسة نظم العمل، أو فشله في حالة وجود مفاهيم وقيم تقليدية للعمل راسخة بالمنظمة. لذلك لابد من السعى نحو تغييرها، فضلاً عن اتجاه المدير نحو تحفيز موظفيه على الارتقاء لمستوى التحديات التي تفرضها تلك التغييرات، وتشجيع السلوكيات التي تعكسها، فإن ذلك ولا شك يؤدي إلى نجاح المنظمات في تطبيق إعادة نظم العمل لديها، وعلى النقيض من ذلك فإن تجاهل قيم واتجاهات الأفراد يؤدي إلى فشل ذلك التطبيق. هذا ويمكن للقائمين على إدارة المنظمة تحقيق هذه التهيئة لهؤلاء العاملين عن طريق مخاطبة الموظفين حول تلك القيم الجديدة، وتجسيد التزامهم بها من خلال سلوكهم الشخصي، والعمل على تشجيع القيم المطلوبة من خلال تشجيع السلوكيات التي تعكسها، وذلك من خلال إلقاء المحاضرات وعقد الندوات (غنيم، 2009) الإدارية والدينية التي تؤكد القيم والأخلاقيات المطلوبة.

وفى سياق موضوع الكتاب؛ فإن تغيير أو تعديل اتجاه فرد ما، يتطلب تعديل عدد من المعتقدات التي فى أساس تكوين الشخص، مما يزلزل إحساسه، بالإضافة إلى ما يحدث من تشوش كامل ومقاومة. والسؤال هنا: هل المدير مطالب بإحداث تعديل أو تغيير فى اتجاهات مرؤوسيه. إن المقدمة الناجحة لإحداث التغيير تنطلق من قدرة المدير على إدراك هيكل معتقدات الآخرين. وسوف تكون نقطة البدء فى ذلك هيكل معتقداته هو شخصياً.

3- القلق والأمان:

يشير البعض إلى أن القلق Anxiety؛ كالخوف والغضب، من حيث كونه حالة

شعورية، أو عاطفية ناشئة من إدراك الفرد بأن شيئاً ما يهدده. وإن كان الخوف أو الغضب عادةً - كما سنرى لاحقاً - ما يكون استجابة لتهديد حقيقي، يتطلب نوعاً من الهجوم أو الهروب، إلا أن القلق عادةً ما يكون استجابة لشيء غير محدد بوضوح في البيئة العامة، أو البيئة التنظيمية. (أبو بكر، 2004: 398)

كما يرى البعض؛ أن القلق هو حالة ن التوتر ناتجة عن مجموعة من المصادر، متمثلة في الإحباط؛ وهو كما يعرفه (كوفر وايلي) بأنه: عاطفة أو شعور سلبي ينتج من أن سلوكاً معيناً لم يؤد بنا إلى الغاية أو الهدف المقصود، ويتعين الانتباه إلى أن الإحباط هو شيء يحدث داخل الفرد؛ أي حالة داخلية في الشخص ناشئة من عجز عن بلوغ هدفه.

ويحتوى أي تتابع سلوكي على احتمالات الإحباط، فيمكن مثلاً أن يصاب الطفل بالإحباط نتيجة لوجود حاجز زجاجي يمنعه من الوصول إلى اللعبة الموضوعية في نافذة المتجر، بينما يمكن أن يحدث الإحباط للمدير نتيجة لتغيب سكرتيرته المفاجئ عن العمل في زحام الاتصالات التليفونية المطلوب إجراؤها، والمواعيد المطلوب ترتيبها، أو للموظف نتيجة لضيق الترقية بسبب وجود شخص أكفأ أو أقرب لصناع القرار. (عفيفي؛ عبد الهادي، 1994: ص 298)

وبالإضافة إلى الإحباط، هناك الصراع وضغط دور الفرد في العمل، والتي تتفاعل مع بعضها لتؤدي إلى الإحساس بالخوف وعدم الأمان.

وبناءً على ذلك؛ فقد ارتبط بعملية التغيير، أو التطوير التكنولوجي، حالة من القلق لدى العاملين، تنعكس في شكل أنماط سلوكية معينة، بما يستلزم من الإدارة؛ العمل على تجنب مثل هذا الإحساس من القلق وعدم الأمان.

4- الصراع والتعاون:

إذا ما واجه الفرد أي موانع أو عوائق، وعجز عن التكيف مع تلك المتغيرات البيئية أو التنظيمية، فسرعان ما يدخل في حالة من الصراع؛ تؤدي به إلى الإحساس

بمشاعر القلق والتوتر والإحباط، وعادةً ما تدفع هذه المشاعر بالفرد، إلى نوع من الاستجابات السلوكية لحماية ذاته والدفاع عنها.

وتفرق الكتابات بين الصراع الذاتى أو الداخلى، وبين الصراع الخارجى؛ حيث يتمثل الأول في تواجد ميلان أو أكثر بينهما تعارض، ومن ثم تنازع التصرفات والسلوك داخل الفرد ذاته. ويتمثل الصراع الخارجى في النزاع بين أطراف معينة؛ كالذي يحدث بين الفرد والمنظمة، أو العاملين والإدارة، أو الإدارة والنقابات العمالية، ويعرفه البعض بأنه: التعارض أو النزاع الاجتماعى؛ هو موقف تشعر فيه الأطراف المتنازعة بوجود تعارض بينها، سواء كانت هذه الأطراف أفراداً، أم جماعات، أم تنظيمات، أم بين أي منهما وبين الآخر. أبو بكر (2004: ص 391)

ولعل من أهم التحديات التي يواجهها القائد أياً كان مستواه الإدارى؛ في معالجة الصراع، ذلك الصراع الذي قد ينشب بينه وبين أعضاء الفريق، أو بين أعضاء الفريق الذي يقوده، والصراع أو النزاع هو شيء طبيعى في بيئة العمل لا يمكن تجنبه، ويكاد يمثل مشكلة سلوكية يومية، والسبب - ببساطة - أن بيئة العمل هذه تضم بشراً يتعامل مع بشر. وهنا يحدث الصراع لعديد من الأسباب، أهمها:

- أ - أن للبشر تطلعات ومشاعر وقيم واتجاهات ودوافع مختلفة.
- ب - ومن ثم فلهم رؤى وأهداف مختلفة.
- ج - كما أن ندرة الموارد أو محدوديتها تدفع الناس للتنافس على المورد المشترك الوحيد أو المحدود؛ مثل تنافسهم على سلطة أو حافز أو وظيفة أعلى... الخ.

وتعد مهمة المدير في تجنب الصراع صعبة، وكذلك في في إدارته وحله. لا سيما وأن المدير - كقائد - له عدة أدوار منها دوره كقاض، إذ يحتكم إليه اثنان أو أكثر من مرءوسيه متوقعين منه تفهم الصراع ومعالجته من منظور محايد. ويتضمن هذا الدور أن يفهم القائد خلفيات الصراع ومسبباته وطبيعته وآثاره إن استمر دون حل. ويجتهد في التأثير على طرفى أو أطراف الصراع. وقد يوفق بعد ذلك أو لا يوفق. فقد لا يرضى أحد أو بعض أطراف الصراع، فيستمر صراع جديد آخر.

ونظراً لاختلاف أو تعارض أهداف ومصالح كل من أطراف الصراع بشكل متزامن، ينشب الصراع. ولأن أحد أطراف الصراع يحاول تعويق أو منع الآخر من بلوغ مقصده؛ يقود الصراع إلى علاقة عدائية، أو شبه عدائية بين طرفي أو أطراف الصراع.

إن نفوساً معتلة وعقولاً مرهقة لا يمكن أن تؤدي بنجاح. لا يمكن أن تفكر جيداً في تصميم الأهداف وتحديد سبل بلوغها. لا يمكن أن تتألف لتكوين فرق عمل منجزة. لذلك يتطلب الأمر فهماً لطبيعة الصراع وأنواعه وطرق معالجته وآثاره والعوامل المؤثرة على حدته.

وتتعدد أنواع الصراع من صراع ذاتي داخل الفرد، إلى صراع اجتماعي بينه وبين غيره من الأفراد، إلى صراع بين أعضاء الفريق الواحد، إلى صراع بين الفرق أو الإدارات داخل المنظمة، ثم الصراع بين المنظمة والأطراف الخارجية مثل الجهات الحكومية والموردين ونقابة العمال والمنافسين. (مصطفى، 2007: ص ص 143، 144)

5- الاغتراب أو الانتماء:

يلاحظ أن الاغتراب أو الشعور بالغرابة داخل العمل، قد أصبح من الظواهر التي شاع تواجدها في مجالات العمل، بما لها من مخاطر بالنسبة للعاملين، فالاغتراب ظاهرة إنسانية قد لا يخلو منها مجتمع، لكنها تختلف في أسبابها من مجتمع لآخر نتيجة لخصوصية كل مجتمع وظروفه.

وبالرغم من تعدد مصادر الشعور بالاغتراب في العمل، فإن نتائجها متشابهة؛ حيث يضمحل الحماس للعمل، وتزداد مشاعر الاحتراق النفسي أو الذاتى، ومثل هذه المشاعر السلبية تؤثر بالطبع على مستوى الإنتاجية، والرغبة في العمل. إذن؛ هو الوجه الآخر للإحباط الإدارى.

ويعد الاغتراب خاصية وجودية مميزة للإنسان؛ فهو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن ينفصل عن نفسه دون أن يعي ذلك. كما أن الاغتراب ظاهرة إنسانية

متعددة الأبعاد والمعاني، فالاغتراب في العمل كما يعرفه عبيد يمثل "تجربة ذاتية يعانى منها الإنسان؛ حيث الشعور بالانفصال والانعزال والعجز وفقدان الذات.

ويعرف معجم العلوم الاجتماعية الاغتراب بأنه: حالة يمر بها الفرد بأوضاع يفقد فيها نفسه، ويصبح غريباً عن أعماله، ويكاد يفقد إنسانيته كلها، ويفقد ذاته حينما يتعرض لقوى مادية ربما من صنعه.

ويعرف معجم الموارد البشرية شعور العامل بالغرابة؛ بأنه شعور ينتاب الموظف عند تأديته لعمل متخصص بمعزل، وبدون مشاركة العاملين الآخرين، بناءً على أساليب تقسيم العمل، أو بسبب الاستخدام المكثف للحاسبات الآلية.

ويرى آخرون أن الاغتراب ما هو إلا محصلة عدم التوازن أو الاختلال في المجال السلوكي أو البنية السلوكية، ويتكون المجال السلوكي عادةً من التفاعل الذي يحدث بين شخصية الفرد أو الحالة النفسية والفسولوجية الراهنة له، وبين البيئة الواقعية أو عناصر البيئة المادية والاجتماعية، وعندما يحدث الاختلال في توازن هذا المجال بسبب المتغيرات التنظيمية؛ مثل البيئة التنظيمية، وصراع الدور، وغموض الدور، وعبء الدور؛ فإن ذلك ينعكس بدوره على مشاعر وأحاسيس وتصرفات الأفراد؛ والذي يتمثل في الاغتراب الوظيفي. (المغربى، 2007: ص ص 361، 362)

الفصل الثاني

حقوق الإنسان نبذة تاريخية

الفصل الثاني

حقوق الإنسان : نبذة تاريخية

ترتبط قضية حقوق الإنسان بشكل جذري ومباشر بوجود هذا الإنسان نفسه، وقد نشطت العلوم جميعاً، وسخرت نظرياتها ومناهجها لتنظر في ماهية الإنسان، باعتباره كائناً يختلف عن بقية الكائنات الحية على الأرض.

وإذا كان أرسطو قد نظر إلى النفس الإنسانية باعتبارها سبباً ومصدراً لوجود الكائن الحي، فإن الفارابي يرى في النفس كمال الجسم، وأما كمال النفس فهو العقل، ويحذر فلاسفة المسلمين من أمثال ابن رشد وابن مسكويه وابن سينا وغيرهم حذروا النحو الأرسطي؛ في كون النفس مصدر الجسم وأساس وجوده، والنفس وما تعرفه الطريق الوحيد لمعرفةنا لحقيقة دواتنا من جهة، وحقيقة عالم الطبيعة من جهة أخرى.

ولكن فلاسفة العصور الحديثة نظروا إلى دراسة الإنسان نظرة مختلفة عن النظرة الأفلاطونية والأرسطية؛ حيث اقترحوا أن يكون علم الإنسان (الإنثربولوجيا) علماً هدفه دراسة الإنسان من حيث هو نفس وجسم.

ولكي نفهم الإطار الفكري والفلسفي لحقوق الإنسان، لا بد لنا من عودة سريعة إلى التاريخ، لتتابع واقع الإنسان من حيث علاقته بأخيه الإنسان، أو بالسلطة القائمة أياً كان نوعها، وذلك من خلال المدارس والنظريات الفلسفية التي ناقشت أحوال الإنسان ككائن حي، يتمتع بأوجه الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تحتاج إلى تنظيم قانوني، يوازيه ما يجب أن يتمتع به الشخص من حرية وسعادة من جهة، وما يلقي من واجبات والتزامات باعتباره جزءاً من نظام اجتماعي وقانوني من جهة أخرى.

وقد لاحظ فلاسفة اليونان أن العالم يسير وفق قانون ثابت، تسيره قوة عليا وفق سنن ثابتة، وأطلقوا عليه (القانون الخالد الطبيعي). كما كان للمدرسة الرواقية الفضل في إيضاح طبيعة قواعد القانون الطبيعي، وقد رأوا وجوب مراعاة المشرع الوضعي فيما يصدره من قوانين، أن تكون مطابقة للقانون الطبيعي، وغير متناقضة معه.

وقد نادى هذه المدرسة بإلغاء الفوارق الاجتماعية بين الناس في المجتمعات كافة، وذلك من خلال اعتماد مبادئ القانون الطبيعي الذي يخضع له الفرد والدولة على السواء.

وعلى هذا الأساس فإن القول بوجود قانون طبيعي، يستتبع القول بوجود جملة من الحقوق الطبيعية للأفراد، حقوق ملازمة للطبيعة البشرية، حقوق كانت ثابتة للإنسان، وهو في حالته الطبيعية الفطرية؛ أي قبل تكوين المجتمع ونشوء الدولة.

وقد ترك انتشار مفاهيم مدرسة القانون الطبيعي آثاره على مفكري القرنين السابع عشر والثامن عشر، الذين توقفوا عند فكرتين أساسيتين:

- الأولى: امتلاك الفرد لحقوق طبيعية ملازمة لطبيعته الإنسانية.
- الثانية: وجود حالة فطرية كان يعيش فيها الإنسان حراً قبل نشوء الدولة.

والسؤال: كيف خرج الإنسان من حالته الفطرية ليصبح عضواً في الدولة؟

إن الدولة لم تقم إلا نتيجة لعقد بين الناس البدائيين، اتفقوا بموجبه على الخروج من حالتهم الفطرية، إلى إقامة مجتمع سياسي؛ أي دولة. إلا أن دعاة هذه النظرية؛ أي نظرية العقد الاجتماعي، اختلفوا على تحديد أطراف العقد، والغاية منه، ووصف واقع الفرد في حالته الفطرية.

وقد سوغ الفيلسوف الإنجليزي (هوبس) دعوته إلى الحكم المطلق، على أساس أن حالة الطبيعة لا تولد إلا فوضى لا يمكن احتمالها، لذلك وجد الناس أن العقد الاجتماعي هو الوسيلة الفضلى لتخليصهم من هذه الحالة، وأن مصلحتهم تقتضى أن يتنازلوا بموجب هذا العقد، عن جميع حقوقهم وحررياتهم الطبيعية إلى حاكم مطلق.

أما الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك) فقد ذهب إلى أن حالة الطبيعة ليست جحيماً، وأن الإنسان كان سعيداً منها، غير أن الحالة المدنية أفضل مع ذلك من الحالة الطبيعية، التي يحقق فيها كل شخص العدالة بنفسه.

وجاء (جان جاك روسو) ليعلن في كتابه العقد الاجتماعي، أن التوفيق بين السلطة والحرية؛ إنما يكون عن طريق العقد الاجتماعي الذي يتعهد فيه الإنسان بالتنازل للمجتمع - وليس للحاكم - عن حقوقه الطبيعية كاملة، وتمثل السلطة في المجتمع - في رأيه - في الإرادة العامة التي في إرادة الأغلبية.

كما يرى أصحاب المذهب الفردي؛ أن الحرية الفردية وسيلة لتقدم الفرد والمجتمع، وأن تمتع الأفراد تمتعاً كاملاً بحقوقهم وحررياتهم، يؤدي إلى نمو شخصياتهم وقدراتهم، ويؤدي كذلك إلى تقدم المجتمع وازدهاره.

لقد واجهت حقوق الإنسان تطوراً تاريخياً طويلاً، ففي العصور القديمة كان المجتمع مبنياً على قاعدة الحق للقوة التي أجازت استباحة حقوق الأفراد، وهي في هذه العصور كانت غامضة، بل ومفقودة. فقد كان هناك الرق - كشيء طبيعي

ومألوف -، وتقييد حرية العمل، ونظام طبقي، وشعوب مستعبدة، وغير ذلك من الشواهد.

وبمرور الوقت، تبدل الأمر تدريجياً ولكن بصورة ضئيلة، حيث أقر العرف والعادة بعض الحقوق الأولية، ومنها حق الحياة، وحق التملك المحصور، وحق التجارة المحدودة، وحق التقاضي أمام رئيس القبيلة أو احد حكمائها.

هكذا كان الأمر عند اليونان والرومان قبل أن يدونوا قوانينهم، بل إن أول تدوين روماني في الألواح الإثنى عشر، لم يكن إلا تجميعاً للعادات والتقاليد السائدة، التي أقرت الحقوق السابقة، هذا إلى جانب ذيول قاسية مثل الرق، والسلطة الجائرة لرب العائلة على جميع أفرادها، مثل الحكم عليهم بالموت، أو بيعهم في أسواق الرقيق.

أما المجتمع العربي في الجاهلية، فقد كان مفككاً بين قبائل متعددة، كانت كل منها تؤلف قبيلة مستقلة، ويربط أفراد القبيلة الواحدة ولاء العصبية القبلية، فقد كان الغزو مباحاً، والثأر مألوفاً، أما المرأة فكانت في ذلك المجتمع مهينة، كما كان وأد البنات وبيع الأولاد نتيجة الفاقة من نتائج قسوة ولاية الأب.

ولكن هذه القسوة خفت تدريجياً، ولا سيما في عصر الجاهلية الثانية قبيل بزوغ فجر الإسلام، والذي وضعت شريعته الغراء ميزاناً دقيقاً ينظم حقوق الإنسان وواجباته، وذلك لأن تقرير الحقوق والواجبات في الإسلام مصدره المولى عز وجل الذي هو الحق المبين، وتشريعته هو العدل المطلق الذي لا يجابى ولا يتحامل. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25]

ويقول سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: 17]

ولو نظرنا إلى حقوق الإنسان في الدين الإسلامي الحنيف، ابتداءً من ظهوره

على يد الرسول الكريم ﷺ، لوجدنا أن هذا الدين الحنيف يكرم الإنسان ويفضله على جميع مخلوقاته. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) [الإسراء: 70].

فالإسلام لا يميز في الكرامة والحقوق بين الناس، بسبب العرق أو الجنس أو النسب أو اللون أو اللغة، فاختلف الأنساب والألوان من آيات الله في البشر، وليس سبباً للاستعلاء أو التفرقة بينهم. يقول تعالى: ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفُ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكْرُ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣٢) [الروم: 22].

وعلى هذا تطبق الشريعة على جميع الناس دون استثناء، وهذا يقتضى المساواة التامة بين جميع البشر في الحقوق والواجبات، فالتفضيل عند الله بالتقوى.

أما ما يتعلق بالحقوق الدنيوية، فالجميع يخضعون لقانون الله الذي يطبق دون تفرقة، ولا تمييز. فالإسلام يحترم حق الإنسان في عقيدته، وعدم جواز الإكراه فيها، وفي ذلك استنكار للضغط على حرية الإنسان الدينية.

كما يحرص الدين الإسلامي على حصانة البيوت حماية لحرية الإنسان، وحرمة مسكنه، فضلاً عن ضمان الشريعة لحق المساواة بضمان حق العدل؛ حيث أشاد القرآن الكريم بمبدأ الشورى في الحكم، ودعا إلى إقامة العدل وشجب الاستبداد والحكم المطلق. يقول تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣٨) [الشورى: 38].

فكانت الشورى نهجاً التزمه الرسول ﷺ في سياسة الدولة في زمن السلم والحرب على حد سواء.

مما سبق، يتضح لنا أن الإسلام كان سباقاً إلى تقنين حقوق الإنسان بشقيها المادي المعروف، والنفسي كما سنوضح لاحقاً. (السعيد؛ وآخرون، 2009)

إعلانات حقوق الإنسان:

1- لائحة الحقوق في إنجلترا The Bill Of Rights:

صدرت سنة 1688م في إنجلترا عدة وثائق وإعلانات تتضمن حقوق الإنسان، ومنها: العهد الأعظم سنة 1215م Magna Carta؛ حيث وقع الملك جون عليه خضوعاً لإرادة الشعب الذي ثار على الظلم والطغيان، وقد نص هذا العهد على الحقوق الأساسية وحمايتها، وعدم حبس الإنسان بلا محاكمة، وأقر نظام المحلفين، وأعطى البرلمان سلطة على المال، كما كفل حق الملكية، وحرية التجارة، وحرية التنقل.

وفي عام 1628م صدر ملتمس الحقوق Petition Of Rights، ومن أهم ما جاء فيه، أنه لا يسجن أي شخص إلا بتهمة حقيقية محددة، ولا تعلن الأحكام العرفية وقت السلم.

وتعد لائحة الحقوق Bill Of Rights الصادرة عام 1688م، من أهم لوائح حقوق الإنسان، وفيها تنازل الملك غليوم الثالث عن حقه في التشريع، كما حظرت عليه إنشاء محاكم استثنائية، والمحاكمة بطريق المحلفين، وتقضى بعدم مغالاة المحاكم في طلب الكفالات.

وأخيراً يأتي قانون التولية Act Of Settlement الذي فرض عام 1701م على الأسرة الحاكمة في هانوفر، كشرط لاستلامها العرش. وفيه يعترف الملك بحقوق الشعب وبالديمقراطية البرلمانية وسيادة القانون.

2- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية:

Declaration Of Human Rights

بعد أن قامت المستعمرات البريطانية في شمال أمريكا منادية باستقلالها، صدر إعلان الاستقلال عام 1776م، الذي أعلن انفصال هذه المستعمرات عن التاج البريطاني.

وقد اعتبر هذا الإعلان الحرية والاستقلال حقين طبيعيين للإنسان، وأن تكوين المجتمع يتم بالاتفاق بين الأفراد للوصول إلى تأمين الحريات، مع ضرورة العمل بمبدأ السيادة للشعب، وقد جاء في ديباجة هذا الإعلان: (تقرر بهذا أن من الحقائق البديهية أن جميع البشر يولدون متساوين، وقد حباهم الخالق عدداً من الحقوق التي لا يجوز المساس بها، ومن بينها الحق في الحياة وفي الحرية. وأن الحكومات إنما تنشأ بين الناس لتكريس هذه الحقوق، ويكون مصدر شرعيتها رضاء المحكومين بها. وحين تكون أية حكومة من الحكومات هادمة لهذه الغايات، فمن حق الشعب أن يغيرها، أو يزيلها، وأن ينشئ حكومة جديدة، ترمى أسسها على تلك المبادئ، وتنظم سلطاتها على الشكل الذي يبدو للشعب أنه يؤدي أكثر لضمان أمنه وسعادته).

وقد حرصت المستعمرات الإنجليزية عقب استقلالها على تضمين إعلانات الاستقلال بعدد من حقوق الإنسان.

3- إعلان حقوق الإنسان والمواطن في فرنسا

:Declaration des Droits de L, Humme et du Citoyen

صدر إعلان حقوق الإنسان والمواطن في فرنسا في عام 1789م، حين قامت الثورة الفرنسية بعد موافقة الجمعية التأسيسية عليه، ويقع في 17 مادة، وهو من أهم الوثائق التاريخية التي تناولت حقوق الإنسان، ولا يزال يؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر، في العديد من الدساتير والمواثيق والإعلانات التي تتحدث عن حقوق الإنسان.

وقد نص هذا الإعلان الذي ألحق بالدستور سنة 1791م، على أن الناس خلقوا أحراراً ومتساوين في الحقوق، وأن هدف كل دولة المحافظة على حقوق الإنسان الطبيعية، وهي: الحرية والملك والأمن ومقاومة الاضطهاد، كما يشير الإعلان إلى أن الشعب هو مصدر السلطات. كما أكد هذا الإعلان على حرية

الفكر والرأي، وعلى حرمة الملك وعدم جواز استملاكه، إلا للضرورة العامة ولقاء تعويض عادل.

ويتصف هذا الإعلان بطابعه التقديري وليس الإنشائي؛ أي أنه لم يفعل سوى الاعتراف بحقوق الإنسان الطبيعية التي ولد بها، وليس لواضعي هذا الإعلان سوى سوى التذكير بها؛ حيث أدى نسيانها إلى سوء الأحوال العامة وفساد الدولة.

وتعتبر الحرية والمساواة من مرتكزات الإعلان الأساسية؛ حيث عرف الإعلان الحرية: بأنها حق الفرد في أن يفعل كل ما لا يضر بالآخرين، ولا يمكن إخضاع ممارسة الحريات الطبيعية لقيود، إلا من أجل تمكين أعضاء الجماعة الآخرين من التمتع بحقوقهم، وهذه القيود لا تفرض إلا بالقانون.

أما المساواة فتعني المساواة في المنافع والتكاليف، فأخذت المساواة مكاناً هاماً في الإعلان من خلال المادة الأولى، التي تؤكد أن الناس يولدون أحراراً متساوين في الحقوق.

وتجدر الإشارة إلى أن الإعلان لم ينص على حقوق المجموعات كالجمعيات أو الطوائف الدينية أو العائلية، لأن الثورة الفرنسية - كما يبدو - اعتبرت أن جماعات المجتمع الفرنسي في العهد الملكي، في عدوة للإنسان ولحقوقه. السعيد؛ وآخرون (2009)

4- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948م

:Universal Declaration Of Human Rights

في 10 ديسمبر 1948م، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأصدرته، وبعد هذا الحدث التاريخي، طلبت الجمعية العامة من البلدان الأعضاء كافة أن تدعو لنص الإعلان، وأن تعمل على نشره وتوزيعه وقراءته وشرحه، ولاسيما في المدارس والمعاهد التعليمية الأخرى، دون أي تمييز بسبب المركز السياسي للبلدان أو الأقاليم.

الديباجة:

لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية، وبحقوقهم المتساوية الثابتة، هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم.

ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها؛ قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر، انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة.

ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان، لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم.

ولما كان من الجوهرى تعزيز تنمية العلاقات الودية بين الدول.

ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد، إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدره، وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية، وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقى الاجتماعى قدماً، وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة، على ضمان أطراد مراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية واحترامها. ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات، الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد.

فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم، حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات، عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات مطردة قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها، وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

المادة 1:

يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

المادة 2:

لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء. وفضلاً عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي لبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد، سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلاً أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

المادة 3:

لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

المادة 4:

لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعهما.

المادة 5:

لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة.

المادة 6:

لكل إنسان أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية.

المادة 7:

كل الناس سواسية أمام القانون، ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون

أية تفرقة، كما أن لهم جميعاً الحق في حماية متساوية ضد أي تمييز يخل بهذا الإعلان، وضد أي تحريض على تمييز كهذا.

المادة 8:

لكل شخص الحق في أن يلجأ إلى المحاكم الوطنية لإنصافه عن أعمال فيها اعتداء على الحقوق الأساسية التي يمنحها له القانون.

المادة 9:

لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.

المادة 10:

لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة، نظراً عادلاً علنياً للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه إليه.

المادة 11:

1- كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً إلى أن تثبت إدانته قانوناً بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه.

2- لا يدان أي شخص من جراء أداة عمل أو الامتناع عن أداة عمل إلا إذا كان ذلك يعتبر جرمًا وفقاً للقانون الوطني أو الدولي وقت الارتكاب، كذلك لا توقع عليه عقوبة أشد من تلك التي كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة.

المادة 12:

لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات.

المادة 13:

- 1- لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة.
- 2- يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه.

المادة 14:

- 1- لكل فرد الحق في أن يلجأ إلى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء إليها هرباً من الاضطهاد.
- 2- لا ينتفع بهذا الحق من قدم للمحاكمة في جرائم غير سياسية أو لأعمال تناقض أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة 15:

- 1- لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.
- 2- لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً أو إنكار حقه في تغييرها.

المادة 16:

- 1- للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله.
- 2- لا يبرم عقد الزواج إلا برضاء الطرفين الراغبين في الزواج رضاءً كاملاً لا إكراه فيه.
- 3- الأسرة هي الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.

المادة 17:

- 1- لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره.
- 2- لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً.

المادة 18:

لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها، سواء أكان ذلك سرّاً أم مع الجماعة.

المادة 19:

لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت، دون تقيد بالحدود الجغرافية.

المادة 20:

لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية. لا يجوز إرغام أحد على الانضمام إلى جمعية ما.

المادة 21:

- 1- لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختياراً حراً.
- 2- لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد.
- 3- إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة، ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري، وعلى قدم المساواة بين الجميع أو حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت.

المادة 22:

لكل شخص بصفته عضواً في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية، وفي أن تتحقق بوساطة الجهود القومي والتعاون الدولي، وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته.

المادة 23:

- 1- لكل شخص الحق في العمل، وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما أن له حق الحماية من البطالة.
- 2- لكل فرد دون أي تمييز الحق في أجر متساو للعمل.
- 3- لكل فرد يقوم بعمل الحق في أجر عادل مرض يكفل له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الإنسان، تضاف إليه - عند اللزوم - وسائل أخرى للحماية الاجتماعية.
- 4- لكل شخص الحق في أن ينشئ وينضم إلى نقابات حماية لمصلحته.

المادة 24:

- لكل شخص الحق في الراحة، وفي أوقات الفراغ، ولاسيما في تحديد معقول لساعات العمل وفي عطلات دورية بأجر.

المادة 25:

- 1- لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة، وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته.
- 2- للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين، وينعم كل الأطفال بنفس الحماية الاجتماعية، سواء أكانت ولادتهم ناتجة عن رباط شرعي أو بطريقة غير شرعية.

المادة 26:

- 1- لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأولي إلزامياً وينبغي أن يعمم التعليم

الفني والمهني، وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة.

2- يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماءً كاملاً، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة جهود الأمم المتحدة لحفظ السلام.

3- للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم.

المادة 27:

1- لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكاً حراً في حياة المجتمع الثقافي، وفي الاستمتاع بالفنون والمساهمة في التقدم العلمي والاستفادة من نتائجه.

2- لكل فرد الحق في حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على إنتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني.

المادة 28:

لكل فرد الحق في التمتع بنظام اجتماعي دولي تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان تحقّقاً تاماً.

المادة 29:

1- على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نمواً حراً كاملاً.

2- يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقرها القانون فقط، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخلاق في مجتمع ديمقراطي.

3- لا يصح بحال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة 30:

ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله على أنه يحول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه. (موقع الأمم المتحدة)

ولما كان تجاهل حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال أثارت بربريتها الضمير الإنساني، وكان البشر قد نادوا بعالم يتمتعون فيه بجرية القول والعقيدة والتحرر من الخوف والفاقة.

ولما كان من الأساسي أن تتمتع حقوق الإنسان بحماية قانونية إذا أريد للبشر ألا يضطروا آخر الأمر إلى القيام بالتمرد على الطغيان أو الاضطهاد، فإن الجمعية العامة للأمم المتحدة قامت بنشر هذا الإعلان على الملأ، بوصفه المثل الأعلى الذي ينبغي أن تبلغه كافة الشعوب.

ومن حيث القيمة القانونية للإعلان، فلا تعد قواعده ملزمة، ولذلك فليس من شأنه أن يلغى أو يعدل القواعد القانونية الداخلية المغايرة له، كما أن القضاء الوطني ليس ملزماً بتطبيق مواده من الناحية القانونية.

ومع ذلك؛ فهناك من يعتقد بقوته الإلزامية، على أساس أنه جاء مفسراً لميثاق الأمم المتحدة ومعبراً عن مقاصدها، وبما أن جميع أعضاء الأمم المتحدة تعهدوا بموجب المادة 56^(*)، من الميثاق بأن يقوموا منفردين أو مجتمعين بالتعاون مع الهيئة

(*) وتنص على: يتعهد جميع الأعضاء بأن يقوموا، منفردين أو مشتركين، بما يجب عليهم من عمل بالتعاون مع الهيئة لإدراك المقاصد المنصوص عليها في المادة 55 والتي تنص على: رغبة في تهيئة دواعي الاستقرار والرفاهية الضروريين لقيام علاقات سلمية ودية بين الأمم مؤسسة على احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها، تعمل الأمم المتحدة على: 1- تحقيق مستوى أعلى للمعيشة وتوفير أسباب الاستخدام المتصل لكل فرد والنهوض بعوامل التطور والتقدم الاقتصادي والاجتماعي. 02 تيسير الحلول للمشاكل الدولية

لكي يشيع في العالم احترام حقوق الإنسان، فإن القيمة القانونية للإعلان تتجاوز مجرد توصية معنوية ليس لها أي قدر من الإلزام، ويدلل البعض على أهمية هذا الإعلان من خلال إشادة الدول به في كافة المناسبات، وإعلانها التمسك بما جاء فيه من مبادئ، بينما يلقي سلوك هذه الدولة أو تلك، استنكار الرأي العام عند خرق مبادئ هذا الإعلان.

ويسود اعتقاد أن ما يقدم من آراء لا يعطى صفة الإلزام لهذا الإعلان، وكثيراً ما تشيد بعض الدول من باب الإعلام وليس الالتزام، بل إن هناك شك في إمكانية الكثير من الدول تطبيق هذه المبادئ حتى ولو كانت إلزامية.

فضلاً عن أن هذا الإعلان الدولي الهام لم يفصل ماهية حقوق الإنسان، ولذلك كان من الضروري أن تبادر المنظمة إلى إظهار مدى اهتمامها بموضوع حقوق الإنسان، عن طريق صياغة وثيقة خاصة تعالج تفاصيل هذا الموضوع بشكل أشمل وأدق، وليس مجرد هدف من بين عدة أهداف تسعى الأمم المتحدة إلى تحقيقها.

5- الميثاق الأوروبي لحقوق الإنسان 1950م:

بعد الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الثانية، قامت دول أوروبا في عام 1945م، بإنشاء منظمة سياسية أوروبية أطلق عليها اسم (المجلس الأوروبي European Council)^(*)، ومن بين أهدافه العديدة تحقيق وحدة أوثق بين الدول

==

الاقتصادية والاجتماعية والصحية وما يتصل بها. 3- وتعزيز التعاون الدولي في أمور الثقافة والتعليم. 4- أن يشيع في العالم احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين، ولا تفرق بين الرجال والنساء، ومراعاة تلك الحقوق والحريات فعلاً.

(*) يجتمع 4 مرات في العام في ما يعرف بشكل غير رسمي بقمة الاتحاد الأوروبي أو القمة الأوروبية؛ حيث يجتمع رؤساء الدول والحكومات في الدول الأعضاء لتوجيه المجلس الأوروبي ووضع سياساته العليا.

الأعضاء، بهدف حماية المثل والمبادئ التي تعد تراثاً مشتركاً لها، ودفع التقدم الاقتصادي والاجتماعي لهذه الدول، عن طريق العمل المشترك في مجالات مختلفة من بينها حماية حقوق الإنسان.

وفي عام 1950م وقع أعضاء المجلس الأوروبي على الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، والتي دخلت حيز التنفيذ في عام 1953م، على خلاف الاتفاقيات الدولية المعنية بحقوق الإنسان، التي لا تدخل حيز التنفيذ عادة إلا بعد انقضاء مدة طويلة نسبياً على التوقيع عليها، ويعود ذلك إلى طبيعة العلاقة بين الدول الموقعة؛ حيث يربطها تراث مشترك ومثل عليا وقيم مشتركة.

ويمتاز الميثاق الأوربي مقارنة بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان بسمتين أساسيتين:
- الأولى: أنه لم يعلن إلا الحريات الفردية التقليدية، ولم يشر إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية.

- الثانية: أنه أنشأ لجاناً وأجهزة لتوفير الضمانة الفعلية للحقوق التي أشار إليها، ومنها اللجنة الأوروبية لحقوق الإنسان، واللجنة الوزارية للمجلس الأوروبي، والمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، بالإضافة إلى منصب الأمين العام للمجلس الأوروبي. السعيد؛ وآخرون (2009) وقد جاءت مواده كالتالي:

الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان اتفاقية حماية حقوق الإنسان في نطاق مجلس أوروبا روما في 4 نوفمبر 1950

الحكومات الموقعة أدناه، باعتبارها أعضاء في مجلس أوروبا مراعاة منها للإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 ديسمبر 1948م.

وحيث أن هذا الإعلان العالمي يهدف إلى ضمان العالمية، والاعتراف الفعال ورعاية الحقوق الموضحة به.

وحيث أن مجلس أوروبا يهدف إلى تحقيق اتحاد أوثق بين أعضائه، وأن حماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية وتحقيق المزيد منها، أحد وسائل بلوغ هذا الهدف.

وتجديداً لتأكيد إيمانها العميق بهذه الحريات الأساسية التي تعد أساس العدالة والسلام في العالم، وأن أفضل ما تصان به، من ناحية، ديمقراطية سياسية فعالة، ومن ناحية أخرى، فهم مشترك يرعى حقوق الإنسان التي تركز تلك الحريات عليها.

فقد عقدت عزميتها، بوصفها حكومات لدول أوروبية تسودها وحدة فكرية ذات تراث مشترك، من الحرية والمثل والتقاليد السياسية واحترام القانون، على اتخاذ الخطوات الأولى نحو التنفيذ الجماعي لبعض الحقوق الواردة في الإعلان العالمي.

واتفقت على ما يلي:

المادة 1

تضمن الأطراف السامية المتعاقدة لكل إنسان يخضع لنظامها القانوني الحقوق والحريات المحددة في القسم الأول من هذه المعاهدة.

القسم الأول

المادة 2

- 1- حق كل إنسان في الحياة يحميه القانون. ولا يجوز إعدام أي إنسان عمداً، إلا تنفيذاً لحكم قضائي بإدانته في جريمة يقضي فيها القانون بتوقيع هذه العقوبة.
- 2- لا يعتبر القتل مخالفاً لحكم هذه المادة، إذا وقع نتيجة استخدام القوة التي لا تتجاوز حالة الضرورة:

- أ- للدفاع عن أي شخص ضد عنف غير مشروع.
- ب- إلقاء القبض على شخص تنفيذاً لقرار مشروع، أو لمنع شخص مقبوض عليه وفقاً لأحكام القانون من الهرب.

ج- لاتخاذ الإجراءات المشروعة التي تهدف إلى قمع الشغب أو الخروج عن السلطة الشرعية.

المادة 3

لا يجوز إخضاع أي إنسان للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة المهينة للكرامة.

المادة 4

- 1- لا يجوز استرقاق أو تسخير أي إنسان.
- 2- لا يجوز أن يطلب من أي إنسان أداء عمل جبراً أو سخرة.
- 3- لا يشمل اصطلاح (جبراً أو سخرة) في نطاق تطبيق هذه المادة ما يلي:
 - أ- أي عمل يطلب إنجازه في الظروف المعتادة طبقاً لنصوص المادة الخامسة من هذه المعاهدة، أو خلال الإفراج عنه تحت شرط.
 - ب- أي خدمة لها صفة عسكرية، أو أي خدمة بديلة للخدمة العسكرية بالنسبة لمن يأبى ضميرهم الاشتراك في الحرب في الدول التي تسمح لهم بذلك.
 - ج- أي خدمة تطلب في حالة الطوارئ أو الكوارث التي تهدد حياة المجتمع أو رخاءه.
 - د- أي عمل أو خدمة تشكل جزءاً من الالتزامات المدنية المعتادة.

المادة 5

- 1- كل إنسان له حق الحرية والأمن لشخصه، ولا يجوز حرمان أي إنسان من حريته إلا في الأحوال الآتية، ووفقاً للإجراءات المحددة في القانون:
 - أ- حبس شخص بناءً على محاكمة قانونية أمام محكمة مختصة.
 - ب- إلقاء القبض على شخص أو حبسه لمخالفته أمراً صادراً من محكمة طبق القانون لضمان تنفيذ أي التزام محدد في القانون.
 - ج- إلقاء القبض على شخص أو حجزه طبقاً للقانون بهدف تقديمه إلى السلطة الشرعية المختصة، بناءً على اشتباه معقول في ارتكابه جريمة، أو

عندما يعتبر حجزه أمراً معقولاً بالضرورة لمنعه من ارتكاب الجريمة أو الهروب بعد ارتكابها.

د- حجز حدث وفقاً للنظام القانوني بهدف الإشراف على تعليمه، أو بهدف تقديمه إلى السلطة الشرعية المختصة.

هـ- حجز الأشخاص طبقاً للقانون لمنع انتشار مرض معد، أو الأشخاص ذوي الخلل العقلي، أو مدمني الخمر أو المخدرات، أو المتشردين.

و- إلقاء القبض على شخص أو حجزه لمنع دخوله غير المشروع إلى أرض الدولة، أو شخص تتخذ ضده فعلاً إجراءات إبعاده أو تسليمه.

2- كل من يلقي القبض عليه يُخطر فوراً - وبلغة يفهمها - بالأسباب التي قبض عليه من أجلها والتهم الموجهة إليه.

3- أي شخص يلقي القبض عليه أو يحجز وفقاً لنص الفقرة 1/ج من هذه المادة، يقدم فوراً إلى القاضي، أو أي موظف آخر مخول قانوناً بممارسة سلطة قضائية، ويقدم للمحاكمة خلال فترة معقولة أو يفرج عنه مع الاستمرار في المحاكمة.

4- ويجوز أن يكون الإفراج مشروطاً بضمانات لحضور المحاكمة.

5- أي شخص يجرم من حرته بالقبض عليه أو حجزه، له حق اتخاذ الإجراءات التي يتقرر بها بسرعة مدى شرعية القبض عليه أو حجزه بمعرفة محكمة، ويفرج عنه إذا لم يكن حجزه مشروعاً.

6- لكل من كان ضحية قبض أو حجز مخالف لأحكام هذه المادة حق وجوبي في التعريض.

المادة 6

1- لكل شخص - عند الفصل في حقوقه المدنية والتزاماته، أو في اتهام جنائي موجه إليه - الحق في مرافعة علنية عادلة خلال مدة معقولة أمام محكمة مستقلة غير منحازة مشكلة طبقاً للقانون.

ويصدر الحكم علنياً. ويجوز منع الصحفيين والجمهور من حضور كل الجلسات أو بعضها حسب مقتضيات النظام العام أو الآداب أو الأمن القومي في مجتمع ديمقراطي. أو عندما يتطلب ذلك مصلحة الصغار أو حماية الحياة الخاصة للأطراف. وكذلك إذا رأت المحكمة في ذلك ضرورة قصوى في ظروف خاصة حيث تكون العلنية ضارة بالعدالة.

- 2- كل شخص يتهم في جريمة يعتبر بريئاً حتى تثبت إدانته طبقاً للقانون.
- 3- لكل شخص يتهم في جريمة الحقوق الآتية كحد أدنى:
 - أ - إخطاره فوراً - وبلغة يفهما وبالتفصيل - بطبيعة الاتهام الموجه ضده وسببه.
 - ب - منحه الوقت الكافي والتسهيلات المناسبة لإعداد دفاعه.
 - ج - تقديم دفاعه بنفسه، أو بمساعدة محام يختاره هو، وإذا لم تكن لديه إمكانيات كافية لدفع تكاليف هذه المساعدة القانونية، يجب توفيرها له مجاناً كلما تطلبت العدالة ذلك.
 - د - توجيه الأسئلة إلى شهود الإثبات، وتمكينه من استدعاء شهود نفي وتوجيه الأسئلة إليهم، في ظل ذات القواعد كشهود الإثبات.
 - هـ - مساعدته بترجم مجاناً إذا كان لا يفهم أو لا يتكلم اللغة المستعملة في المحكمة.

المادة 7

- 1- لا يجوز إدانة أي شخص بسبب ارتكابه فعلاً، أو الامتناع عن فعل لم يكن يعتبر وقت وقوع الفعل، أو الامتناع عن جريمة في القانون الوطني أو القانون الدولي. ولا يجوز توقيع عقوبات أشد من تلك المقررة وقت ارتكاب الجريمة.
- 2- لا تخل هذه المادة بمحاكمة أو عقوبة أي شخص، بسبب ارتكابه فعلاً أو امتناعه عن فعل يعتبر وقت فعله أو الامتناع عن فعله، جريمة وفقاً للمبادئ العامة للقانون في الأمم المتحدة.

المادة 8

- 1- لكل إنسان حق احترام حياته الخاصة والعائلية ومسكنه ومراسلاته.
- 2- لا يجوز للسلطة العامة أن تتعرض لممارسة هذا الحق، إلا وفقاً للقانون وبما تمليه الضرورة في مجتمع ديمقراطي لصالح الأمن القومي، وسلامة الجمهور، أو الرخاء الاقتصادي للمجتمع، أو حفظ النظام ومنع الجريمة، أو حماية الصحة العامة والآداب، أو حماية حقوق الآخرين وحياتهم.

المادة 9

- 1- لكل إنسان الحق في حرية التفكير والضمير والعقيدة. هذا الحق يشمل حرية تغيير الدين أو العقيدة، وحرية إعلان الدين أو العقيدة بإقامة الشعائر والتعليم والممارسة والرعاية، سواء على أفراد أو بالاجتماع مع آخرين، بصفة علنية أو في نطاق خاص.
- 2- تخضع حرية الإنسان في إعلان ديانته أو عقيدته فقط، للقيود المحددة في القانون والتي تكون ضرورية في مجتمع ديمقراطي لصالح أمن الجمهور، وحماية النظام العام، والصحة والآداب، أو لحماية حقوق الآخرين وحياتهم.

المادة 10

- 1- لكل إنسان الحق في حرية التعبير. هذا الحق يشمل حرية اعتناق الآراء وتلقى وتقديم المعلومات والأفكار، دون تدخل من السلطة العامة، وبصرف النظر عن الحدود الدولية. وذلك دون إخلال بحق الدولة في تطلب الترخيص بنشاط مؤسسات الإذاعة والتلفزيون والسينما.
- 2- هذه الحريات تتضمن واجبات ومسؤوليات. لذا يجوز إخضاعها لشكليات إجرائية، وشروط، وقيود، وعقوبات محددة في القانون حسبما تقتضيه الضرورة في مجتمع ديمقراطي، لصالح الأمن القومي، وسلامة الأراضي، وأمن الجماهير وحفظ النظام ومنع الجريمة، وحماية الصحة والآداب، واحترام حقوق الآخرين، ومنع إفشاء الأسرار، أو تدعيم السلطة وحياد القضاء.

المادة 11

- 1- لكل إنسان الحق في حرية الاجتماعات السلمية، وحرية تكوين الجمعيات مع آخرين، بما في ذلك حق الاشتراك في الاتحادات التجارية لحماية مصالحه.
- 2- لا تخضع ممارسة هذه الحقوق لقيود أخرى، غير تلك المحددة في القانون، حسبما تقتضيه الضرورة في مجتمع ديمقراطي لصالح الأمن القومي، وسلامة الجماهير، وحفظ النظام ومنع الجريمة وحماية الصحة والآداب، أو حماية حقوق الآخرين وحياتهم. ولا تمنع هذه المادة من فرض قيود قانونية على ممارسة رجال القوات المسلحة أو الشرطة أو الإدارة في الدولة لهذه الحقوق.

المادة 12

للرجل والمرأة في سن الزواج حق التزوج وتكوين أسرة وفقاً للقوانين الوطنية التي تحكم ممارسة هذا الحق.

المادة 13

لكل إنسان انتهكت حقوقه وحياته المحددة في هذه المعاهدة، الحق في وسيلة إنصاف فعالة أمام سلطة وطنية، ولو كان هذا الانتهاك قد وقع من أشخاص يعملون بصفة رسمية.

المادة 14

يكفل التمتع بالحقوق والحريات المقررة في هذه المعاهدة دون تمييز أيّاً كان أساسه: كالجنس أو العرق أو اللون أو اللغة أو العقيدة أو الرأي السياسي أو غيره أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الانتماء إلى أقلية قومية، أو الثروة، أو الميلاد، أو أي وضع آخر.

المادة 15

1- في وقت الحرب أو الطوارئ العامة الأخرى التي تهدد حياة الأمة، يجوز لأي طرف سام متعاقد، أن يتخذ تدابير تخالف التزاماته الموضحة بالاتفاقية في

أضيق حدود تحتها مقتضيات الحال، وبشرط ألا تتعارض هذه التدابير مع التزاماته الأخرى في إطار القانون الدولي.

2- الفقرة السابقة لا تجيز مخالفة المادة الثانية، إلا فيما يتعلق بالوفيات الناتجة عن أعمال حربية مشروعة، كما لا تجيز مخالفة المواد الثالثة والرابعة (فقرة أ) والسابعة.

3- على كل طرف سام متعاقد يستخدم حق المخالفة سالف الذكر، أن يخطر السكرتير العام لمجلس أوروبا بمعلومات كاملة عن التدابير التي اتخذها، والأسباب التي دعت إليها. كما يخطر السكرتير العام لمجلس أوروبا أيضاً عند وقف هذه التدابير واستئناف التنفيذ الكامل لأحكام المعاهدة.

المادة 16

لا يجوز تأويل أحكام المواد 10، 11، 14 على أنها تمنع الأطراف السامية المتعاقدة من فرض قيود على النشاط السياسي للأجانب.

المادة 17

ليس في أحكام هذه المعاهدة ما يجوز تأويله على أنه يجوز أية دولة أو جماعة أو فرد، أي حق في القيام بأي نشاط أو عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات المقررة في المعاهدة، أو فرض قيود على هذه الحقوق والحريات أكثر من القيود الواردة بها.

المادة 18

لا يجوز تطبيق القيود المسموح بها في هذه المعاهدة على الحقوق والحريات سالف الذكر لهدف آخر غير ما وضعت له.

القسم الثاني

المادة 19

لضمان احترام الالتزامات التي تعهدت بها الأطراف السامية المتعاقدة في هذه المعاهدة تنشأ:

- 1- لجنة أوروبية لحقوق الإنسان، يشار إليها فيما بعد باسم (اللجنة).
- 2- محكمة أوروبية لحقوق الإنسان، يشار إليها باسم (المحكمة).

القسم الثالث

المادة 20

تشكل اللجنة من عدد من الأعضاء يساوي عدد الأطراف السامية المتعاقدة، ولا يجوز أن تضم اللجنة عضوين من جنسية دولة واحدة.

المادة 21

- 1- ينتخب أعضاء اللجنة بمعرفة لجنة الوزراء بالأغلبية المطلقة للأصوات، وذلك من قائمة يعدها مكتب الجمعية الاستشارية. ولكل مجموعة من ممثلي الأطراف السامية المتعاقدة في الجمعية الاستشارية، أن تقدم ثلاثة مرشحين، منهم اثنان على الأقل من جنسيتها.
- 2- تتبع ذات الإجراءات كلما أمكن تطبيقها، لإكمال عدد اللجنة في حالة انضمام دول أخرى للمعاهدة، ولشغل المراكز التي تخلو.

المادة 22

- 1- ينتخب أعضاء اللجنة لمدة ست سنوات، ويجوز تجديد انتخابهم، على أن تنتهي مدة سبعة أعضاء ممن تم اختيارهم في الانتخاب الأول، بانقضاء ثلاث سنوات.
- 2- يحدد الأعضاء الذين تنتهي مدة عضويتهم بانقضاء ثلاث سنوات بطريق الاقتراع بمعرفة السكرتير العام، فور انتهاء الانتخاب الأول.
- 3- ولضمان تنفيذ تلك القاعدة بقدر الإمكان، يجب تجديد نصف العضوية في اللجنة كل ثلاث سنوات. ويجوز للجنة الوزراء - قبل اتخاذ إجراءات أي انتخاب لاحق - أن تقرر أن مدة أو مدد العضوية للعضو أو الأعضاء الذين سيجري انتخابهم، تكون لفترة مختلفة عن ست سنوات، ولكن لا تزيد عن تسع سنوات ولا تقل عن ثلاث سنوات.

4- إذا تداخلت أكثر من مدة عضوية، وطبقت لجنة الوزراء القاعدة السابقة، فإن تحديد مدد العضوية يتم بطريق القرعة بمعرفة السكرتير العام، فور انتهاء الانتخاب.

5- عضو اللجنة الذي ينتخب ليحل محل عضو آخر لم تنته مدة عضويته، يكمل فقط المدة الباقية لعضوية سلفه.

6- تستمر عضوية أعضاء اللجنة إلى أن يحل غيرهم محلهم. وبعد استبدالهم يستمرون في التعامل مع الحالات التي مازالت لديهم محل دراسة.

المادة 23

يؤدي أعضاء اللجنة أعمالهم فيها بصفاتهم الفردية.

المادة 24

يجوز لكل طرف سام متعاقد أن يبلغ اللجنة، عن طريق السكرتير العام لمجلس أوروبا، بأي مخالفة لأحكام المعاهدة من جانب أي طرف سام متعاقد آخر.

المادة 25

1- يجوز للجنة أن تتلقى الشكاوي المرسلة إلى السكرتير العام لمجلس أوروبا من أي شخص، أو من المنظمات غير الحكومية، أو من مجموعات الأفراد بأنهم ضحايا انتهاك للحقوق الموضحة بهذه المعاهدة من جانب أحد الأطراف السامية المتعاقدة، بشرط أن يكون هذا الطرف السامي المتعاقد الذي قدمت ضده الشكوى، قد سبق أن أعلن اعترافه باختصاص اللجنة في تلقي هذه الشكاوي، وتتعهد الأطراف السامية المتعاقدة التي قامت بهذا الإعلان ألا تعوق بأي حال من الأحوال الممارسة الفعالة لهذا الحق.

2- يجوز أن يتم الإعلان المذكور محددًا بمدة معينة.

3- تودع هذه الإعلانات لدى السكرتير العام لمجلس أوروبا، الذي يقوم بإرسال نسخ منها إلى الأطراف السامية المتعاقدة وينشرها.

4- تباشر اللجنة السلطات المخولة لها في هذه المادة، بعد أن يتم ارتباط ست أطراف سامية متعاقدة على الأقل بهذه الإعلانات، وفقاً للفقرات السابقة.

المادة 26

تبدأ اللجنة عملها بعد أن يستنفذ الشاكي جميع طرق الإنصاف الداخلية، وطبقاً للمبادئ العامة المعترف بها في القانون الدولي، خلال ستة أشهر من تاريخ القرار النهائي المتخذ في الداخل.

المادة 27

1- لا تنتظر اللجنة في الشكاوي التي تقدم طبقاً للمادة 25 في الأحوال الآتية:

- أ - إذا كانت الشكاوى مجهولة.
- ب- إذا كانت اللجنة قد فحصت شكاوى مطابقة لها مادياً من قبل، أو سبق تقديمها في إجراءات تحقيق دولية أخرى أو تسوية، أو كانت لا تنطوي على وقائع جديدة.

2- ترفض اللجنة نظر أي شكاوى تقدم لها طبقاً للمادة 25، إذا ثبتت أنها تخالف أحكام المعاهدة الحالية، ولا تستند بياناتها إلى أساس، أو تنطوي على تعسف في استخدام حق الشكاوى.

3- ترفض اللجنة أي شكاوى ترد إليها إذا تبين أنها غير مقبولة طبقاً للمادة 26.

المادة 28

في حالة قبول اللجنة لشكاوى قدمت إليها:

- أ - تقوم اللجنة - في سبيل تحديد الوقائع - بفحص الشكاوى مع ممثلي الأطراف. وإذا اقتضى الأمر إجراء تحقيق، تلتزم الدول المعنية بأن تقدم تسهيلات الضرورية بعد تبادل وجهات النظر مع اللجنة.
- ب- تضع اللجنة نفسها في خدمة الأطراف المعنية؛ بهدف الوصول إلى تسوية ودية للموضوع، على أساس احترام حقوق الإنسان حسبما تقرها هذه المعاهدة.

المادة 29

بعد أن تقبل اللجنة الشكوى المقدمة لها طبقاً للمادة 25، يجوز لها مع ذلك أن تقرر بالإجماع رفض الشكوى، إذا تبينت أثناء الفحص وجود أحد أسباب عدم قبولها المحددة في المادة 27. في هذه الحالة يبلغ القرار إلى الأطراف.

المادة 30

إذا توصلت اللجنة إلى تسوية ودية طبقاً للمادة 28، تعد تقريراً يرسل إلى الدول المعنية، ولجنة الوزراء، وكذلك السكرتير العام لمجلس أوروبا للنشر. هذا التقرير يقتصر على بيان موجز للوقائع والحل الذي تم الوصول إليه.

المادة 31

- 1- إذا لم يتم الوصول إلى حل، تعد اللجنة تقريراً مشفوعاً برأيها فيما إذا كانت الوقائع المعروضة، تنبئ عن مخالفة من جانب الدولة المعنية للالتزامها في ظل المعاهدة. ويجوز إثبات آراء أعضاء اللجنة حول هذه المسألة في التقرير.
- 2- يحال التقرير إلى لجنة الوزراء، كما يحال أيضاً إلى الدول المعنية التي لا يجوز لها نشره.
- 3- عند إحالة التقرير إلى لجنة الوزراء، يجوز للجنة أن تبدي الاقتراحات التي تراها مناسبة.

المادة 32

- 1- إذا لم يتم إحالة الموضوع إلى المحكمة طبقاً للمادة 48 من هذه المعاهدة، خلال ثلاثة أشهر من تاريخ إحالة التقرير إلى لجنة الوزراء، تصدر لجنة الوزراء قراراً بأغلبية ثلثي الأعضاء أصحاب حق حضور هذه اللجنة، بما إذا كان هناك انتهاك للمعاهدة.
- 2- إذا كان قرار لجنة الوزراء إيجابياً، تحدد فيه مهلة يتعين على الدول السامية المتعاقدة أن تتخذ خلالها التدابير المطلوبة في القرار.

- 3- إذا لم تتخذ الدول السامية المتعاقدة تدابير مرضية خلال المهلة، تصدر لجنة الوزراء قراراً بالأغلبية الموضحة في الفقرة الأولى - بما يترتب على قرارها الأصلي من أثر-، وتنشر التقرير.
- 4- تتعهد الدول السامية المتعاقدة بأن تلتزم بأي قرار تتخذه لجنة الوزراء بالتطبيق للفقرات السابقة.

المادة 33

تعقد اللجنة اجتماعاتها سرية.

المادة 34

مع عدم الإخلال بأحكام المادة 29، تتخذ اللجنة قراراتها بأغلبية الأعضاء الحاضرين الذين أدلوا بأصواتهم.

المادة 35

تجتمع اللجنة حسبما تتطلب الظروف، ويوجه السكرتير العام لمجلس أوروبا الدعوة للاجتماع.

المادة 36

تضع اللجنة قواعد الإجراءات الخاصة بها.

المادة 37

يتولى السكرتير العام لمجلس أوروبا تزويد اللجنة بالسكرتارية.

القسم الرابع

المادة 38

تكون محكمة حقوق الإنسان الأوروبية من عدد من القضاة، يساوي عدد أعضاء مجلس أوروبا، ولا يجوز أن تضم قاضيين من جنسية واحدة.

المادة 39

- 1- تنتخب الجمعية الاستشارية أعضاء المحكمة بأغلبية الأصوات المعطاة، وذلك بالاختيار من قائمة الأسماء المحددة بمعرفة مجلس أوروبا، وكل دولة عضو تسمى ثلاثة مرشحين منهم اثنان على الأقل من جنسيتها.
- 2- تتبع نفس الإجراءات طالما أمكن تطبيقها، لإكمال المحكمة في حالة انضمام أعضاء جدد إلى مجلس أوروبا، وكذلك لشغل العضوية الشاغرة.
- 3- يجب أن يكون المرشحون ممن يتمتعون بصفات أخلاقية سامية، وحائزين للمؤهلات المطلوبة لشغل وظيفة قضائية عليا، أو مستشارين قانونيين ذوي كفاءة معترف بها.

المادة 40

- 1- ينتخب أعضاء المحكمة لمدة تسع سنوات، يجوز تجديد انتخابهم، على أن تنتهي مدة عضوية أربعة أعضاء ممن تم اختيارهم في الانتخاب الأول بمضي ثلاث سنوات، كما تنتهي مدة عضوية أربعة أعضاء آخرين منهم بمضي ست سنوات.
- 2- يتم اختيار الأعضاء الذين تنتهي مدة عضويتهم، بانقضاء المدد سالفه الذكر (ثلاث سنوات وست سنوات)، بمعرفة السكرتير العام بطريق القرعة فور إتمام الانتخاب الأول.
- 3- لضمان تنفيذ تلك القاعدة بقدر الإمكان، يجب تجديد ثلث العضوية في المحكمة كل ثلاث سنوات. يجوز للجمعية الاستشارية أن تقرر قبل اتخاذ إجراءات أي انتخاب لاحق، أن تقرر أن مدة أو مدد العضوية لواحد أو أكثر ممن سيجري انتخابهم، تكون لمدة تختلف عن تسع سنوات، ولكن لا تزيد عن اثني عشرة سنة ولا تقل عن ست سنوات.
- 4- في حالة تداخل أكثر من مدة عضوية، وطبقت الجمعية الاستشارية الفقرة السابقة، يتم تحديد مدد العضوية عن طريق قرعة يجريها السكرتير العام فور انتهاء الانتخاب.

- 5- عضو المحكمة الذي ينتخب، ليحل محل عضو آخر لم تنته مدة عضويته، يشغل هذا المركز طوال المدة الباقية لسلفه.
- 6- يمارس أعضاء المحكمة مهام وظائفهم، إلى أن يحل غيرهم محلهم وبعد استبدالهم يستمرون في نظر الحالات المعروضة عليهم.

المادة 41

تنتخب المحكمة رئيسها ونائب الرئيس لمدة ثلاث سنوات، ويجوز إعادة انتخابهم.

المادة 42

يتقاضى أعضاء المحكمة مكافأة عن كل يوم عمل تحددها لجنة الوزراء.

المادة 43

تتكون المحكمة - لنظر كل دعوى تعرض أمامها - من غرفة مشورة تضم سبعة قضاة، يكون بينهم بحكم وظيفته القاضي الذي ينتمي بجنسيته إلى الدول المعنية كطرف في الدعوى، فإذا لم يوجد تختار تلك الدولة شخصاً آخر يحل محله بصفته قاضياً، وتختار أسماء باقي القضاة بطريق القرعة بمعرفة الرئيس قبل افتتاح الدعوى.

المادة 44

للأطراف السامية المتعاقدة واللجنة فقط حق تقديم الدعوى للمحكمة.

المادة 45

يمتد الاختصاص القضائي للمحكمة إلى جميع الدعاوى فيما يتعلق بتفسير وتطبيق هذه المعاهدة، والتي تشير إليها الأطراف السامية المتعاقدة واللجنة تطبيقاً للمادة.

المادة 46

1- لأي من الأطراف السامية المتعاقدة، أن تعلن في أي وقت اعترافها بالأثر الملزم

لقضاء المحكمة بذاته دون اتفاق خاص في جميع المسائل المتعلقة بتفسير وتطبيق هذه المعاهدة.

2- يجوز أن يكون الإعلان المشار إليه في الفقرة السابقة غير مشروط، أو مشروطاً بالمعاملة بالمثل من جانب بعض الأطراف السامية المتعاقدة أو طرف معين، أو لمدة محددة.

3- تودع هذه الإعلانات لدى السكرتير العام لمجلس أوروبا ويجب عليه أن يرسل نسخاً منها إلى الأطراف السامية المتعاقدة.

المادة 47

لا تنظر المحكمة الدعوى إلا بعد أن تعترف اللجنة بفشل جهود التسوية الودية خلال فترة الثلاثة أشهر الموضحة بالمادة 32.

المادة 48

لكل من الجهات الآتية تقديم الدعوى إلى المحكمة، بشرط أن يكون الطرف السامي المتعاقد المعني - إذا كان واحداً - أو الأطراف السامية المتعاقدة المعنية إن كانوا أكثر من واحد خاضعين للقضاء الملزم للمحكمة. أو بموافقة الطرف السامي المتعاقد المعني - إذا كان واحداً - أو الأطراف السامية المتعاقدة المعنية إن كانوا أكثر من واحد:

أ - اللجنة.

ب- الطرف السامي المتعاقد الذي يدعي أحد رعاياه أنه ضحية.

ج- الطرف السامي المتعاقد الذي عرض الحالة على اللجنة.

د- الطرف السامي المتعاقد الذي قدمت ضده الشكوى.

المادة 49

في حالة النزاع بشأن اختصاص المحكمة تحسم هذه المسألة بحكم المحكمة.

المادة 50

إذا تبينت المحكمة أن قراراً أو تدبيراً اتخذ من جانب سلطة قانونية، أو أي سلطة أخرى لأحد الأطراف السامية المتعاقدة بالمخالفة للالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة، وكان القانون الداخلي للطرف المذكور يسمح فقط بتعويض جزئي عن الآثار الضارة لهذا القرار أو التدبير، فللمحكمة حسبما تراه ضرورياً، أن تقضي بترضية عادلة للطرف المضرور.

المادة 51

- 1- تصدر أحكام المحكمة مسببة.
- 2- إذا لم يعبر الحكم في مجمله أو في جزء منه عن إجماع آراء القضاة فلأي قاض حق تقديم رأي مفصل.

المادة 52

حكم المحكمة نهائي.

المادة 53

تعهد الأطراف السامية المتعاقدة بأن تتقبل نتائج قرارات المحكمة في أي دعوى تكون طرفاً فيها.

المادة 54

يجال حكم المحكمة إلى لجنة الوزراء التي تتولى الإشراف على تنفيذه.

المادة 55

تضع المحكمة لائحتها الخاصة وتحدد الإجراءات الخاصة بها.

المادة 56

يتم الانتخاب الأول لأعضاء المحكمة، بعد أن يصدر ثمانية أطراف سامية متعاقدة الإعلان المذكور بالمادة 46.

لا يجوز تقديم أي دعوى أمام المحكمة قبل إجراء هذا الانتخاب.

القسم الخامس

المادة 57

على كل طرف سام متعاقد أن يقدم - بناء على طلب السكرتير العام لمجلس أوروبا- بياناً بالطريقة التي يضمن بها قانونه الداخلي التنفيذ الفعال لأحكام هذه المعاهدة.

المادة 58

يتحمل مجلس أوروبا تمويل مصروفات اللجنة والمحكمة.

المادة 59

لأعضاء اللجنة والمحكمة - أثناء تأديتهم لوظائفهم - حق التمتع بالامتيازات والحصانات الموضحة بالمادة 40 من القانون الأساسي لمجلس أوروبا، والاتفاقيات التي تمت في ظله.

المادة 60

لا يجوز تفسير هذه المعاهدة لاستنتاج قيد أو انتقاص أي من حقوق الإنسان والحريات الأساسية التي تحميه القوانين الداخلية لأي من الأطراف السامية المتعاقدة، أو الاتفاقيات الأخرى التي تكون طرفاً فيها.

المادة 61

لا تخل هذه المعاهدة بالسلطات المخولة للجنة الوزراء بمقتضى القانون الأساسي لمجلس أوروبا.

المادة 62

تتفق الأطراف السامية المتعاقدة على أنها لن تستفيد من المعاهدات والاتفاقيات النافذة بينها، لتطلب إخضاع النزاع الناشئ من تطبيق هذه المعاهدة لطرق تسوية أخرى غير تلك المحددة في المعاهدة، ما لم يوجد اتفاق خاص على ذلك.

المادة 63

- 1- يجوز لأي دولة لدى تصديقها أو في وقت لاحق، أن تعلن بإخطار موجه إلى السكرتير العام لمجلس أوروبا، أن هذه المعاهدة تسري على كل أو أي من الإقليم أو الأقاليم التي تكون هي مسؤولة عن علاقاتها الدولية.
- 2- تسري المعاهدة على الإقليم أو الأقاليم المسماة في الإخطار منذ اليوم الثلاثين بعد استلام هذا الإخطار من جانب السكرتير العام لمجلس أوروبا.
- 3- ومع ذلك، تطبق أحكام هذه المعاهدة على تلك الأقاليم مع الاعتبار المناسب للمتطلبات المحلية.
- 4- يجوز لأي دولة أصدرت إعلاناً بالتطبيق للفقرة الأولى من هذه المادة في أي وقت لاحق، أن تعلن بالنسبة لإقليم أو أكثر من الأقاليم التي أصدرت بشأنها الإعلان، أنها تقبل اختصاص اللجنة بتلقي الشكاوي من الأفراد أو المنظمات غير الحكومية، أو مجموعات الأفراد تطبيقاً للمادة 25 من هذه المعاهدة.

المادة 64

- 1- يجوز لأي دولة عند التوقيع على هذه المعاهدة أو عند إيداع وثائق التصديق عليها، أن تحتفظ بشأن أي حكم خاص في المعاهدة، بالقدر الذي لا يصبح معه أي قانون نافذ في إقليمها مخالفاً لهذا الحكم. ولن يسمح بالتحفظات ذات الطابع العام في ظل هذه المادة.
- 2- يجب أن يتضمن أي تحفظ يتم إيداعه طبقاً لهذه المادة بياناً موجزاً عن القانون المعني.

المادة 65

- 1- لا يجوز للطرف السامي المتعاقد أن يعلن نقضه هذه المعاهدة، إلا بعد مضي خمس سنوات من تاريخ اليوم الذي أصبح فيه طرفاً فيها. وبعد مرور مهلة ستة أشهر يتضمنها إخطار يوجه إلى السكرتير العام لمجلس أوروبا، الذي يتولى إبلاغه إلى الأطراف السامية المتعاقدة الأخرى.

- 2- لا يترتب على إعلان نقض هذه المعاهدة إعفاء الطرف السامي المتعاقد من التزاماته في ظل هذه المعاهدة بالنسبة لأي فعل يشكل انتهاكاً لهذه الالتزامات، متى وقع الفعل من جانبه قبل التاريخ الذي أصبح فيه إعلان نقض المعاهدة نافذاً.
- 3- إذا فقد أي طرف سام متعاقد عضويته في مجلس أوروبا لا يصبح طرفاً في هذه المعاهدة وفقاً لذات الأحكام.
- 4- يجوز نقض الاتفاقية طبقاً لأحكام الفقرات السابقة بالنسبة لأي إقليم تم الإعلان عن سريان المعاهدة عليه طبقاً لنصوص المادة 63.

المادة 66

- 1- هذه الاتفاقية مفتوحة لتوقيع الأعضاء في مجلس أوروبا، ويتم التصديق عليها وتودع وثائق التصديق لدى السكرتير العام لمجلس أوروبا.
- 2- يبدأ نفاذ هذه المعاهدة بعد إيداع عشر وثائق تصديق.
- 3- ويبدأ نفاذ المعاهدة بالنسبة لأي تصديق لاحق من تاريخ إيداع وثائق التصديق.
- 4- يتولى السكرتير العام لمجلس أوروبا، إخطار جميع أعضاء مجلس أوروبا بنفاذ المعاهدة، وأسماء الأطراف السامية المتعاقدة التي صدقت عليها، وإيداع جميع وثائق التصديق التي قد تقدم فيما بعد.

حررت بروما في الرابع من نوفمبر 1950 باللغتين الإنجليزية والفرنسية وكلتاها بالتساوي رسمية معتمدة في نسخة واحدة تظل مودعة بأرشفة مجلس أوروبا. ويتولى السكرتير العام إرسال نسخ رسمية لكل من الموقعين. (الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان)

6- الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان 1969:

سبقت الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، عدة مواثيق تقرر حقوق الإنسان، منها القرار رقم 30 الموقع من أعضاء منظمة الدول الأمريكية، خلال المؤتمر الأمريكي

التاسع الذي عقد في (بوغوتا) عاصمة كولومبيا عام 1948، وقد دار حول أن كل البشر يولدون أحراراً، ومتساوون في الكرامة وفي الحقوق - وحيث أن الطبيعة قد منحتهم العقل والضمير - يجب أن يتصرفوا كإخوة لبعضهم البعض.

وإن الوفاء بالواجبات من قبل أي فرد، هو مطلب أساسي بالنسبة لحقوق الكافة، والحقوق والواجبات متلازمة في كل نشاط اجتماعي وسياسي للإنسان، فبينما الحقوق ترفع من قدر وحرية الشخصية، فإن الواجبات تعبر عن جلال تلك الحرية.

والواجبات ذات الطبيعة القانونية تسلم جداً للآخرين بطبيعة أخلاقية تدعم هذه الواجبات من حيث المبدأ وتكون أساساً لها.

وبقدر ما يكون التطور الروحي هو الغاية الأسمى للوجود الإنساني وأرقى درجة من التعبير عنه، فإن واجب الإنسان خدمة هذه الغاية بكل قوته وبشئى موارده.

وحيث أن الثقافة هي التعبير الاجتماعي والتاريخي الأسمى لذلك التطور الروحي، فمن واجب الإنسان حفظ وممارسة وتشجيع الثقافة بكل وسيلة في استطاعته.

وحيث إن السلوك الأخلاقي يشكل أنبل ثمار الحضارة، فمن واجب كل إنسان على الدوام أن يضعه موضع احترام.

وحيث أن الشعوب الأمريكية تفر بكرامة الفرد، وتقر دساتيرها الوطنية بأن المؤسسات القضائية والسياسية التي تنظم الحياة في المجتمع الإنساني - تحمي - كهدف أساسي لها، حقوق الإنسان الأساسية، وتوفر الظروف التي تسمح له أن يحقق التقدم الروحي والمادي ويبلغ السعادة. الدول الأمريكية قد أقرت في مناسبات متكررة، أن حقوق الإنسان الأساسية لا تنشأ من حقيقة أنه مواطن لدولة معينة، لكن تقوم على أساس صفات شخصيته الإنسانية، الحماية الدولية لحقوق

الإنسان يجب أن تكون هي الدليل الأساسي لقانون أمريكي متطور، تأكيد الدول الأمريكية على حقوق الإنسان الأساسية، والضمانات التي توفرها الأنظمة الداخلية للدول تمثل النظام الأساسي للحماية، التي تقرها الدول الأمريكية كنظام مناسب للظروف الاجتماعية والقضائية الحالية، من غير الاعتراف من جانبها أنها يجب أن تقوم بتقوية ذلك النظام بشكل متزايد على المستوى الدولي؛ حيث أن الظروف أصبحت أكثر تشجيعاً.

أما الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، والتي دخلت حيز التنفيذ في عام 1978 فتستمد العديد من أحكامها من الإعلان الأمريكي لحقوق الإنسان عام 1776، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948، والميثاق الأوربي لحقوق الإنسان 1950، بالإضافة إلى العهدين الدوليين لحقوق الإنسان؛ وهما العهد الأول الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والعهد الثاني الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية اللذين أعدتهما الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1966.

وتأتى الاتفاقية على ذكر الحقوق المدنية والسياسية، كحق الفرد في الاعتراف به كشخص أمام القانون، والحق في الحياة، والحق في السلامة، وحظر الاسترقاق، والحق في الحرية، والضمانات القضائية في حالة الاتهام، ومبدأ المشروعية، وعدم رجعية القوانين الجزائية، والحق في حماية الشرف والكرامة وحرية الفكر والضمير والدين، والحق في الاجتماع والتجمع، والحق في الزواج وتشكيل الأسرة، والحق في الجنسية، وفي الملكية الخاصة، والحق في التنقل والمساواة أمام القانون.

والاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان من الناحية القانونية، شبيهة بمعاهدة الدول الأوربية بما تحويه من حقوق سياسية ومدنية. السعيد؛ وآخرون (2009)

7- الميثاق العربي لحقوق الإنسان 2004م

اعتمد من قبل القمة العربية السادسة عشرة التي استضافتها تونس في 23 مايو

الديباجة:

انطلاقاً من إيمان الأمة العربية بكرامة الإنسان الذي اعزه الله منذ بدء الخليقة، وبأن الوطن العربي مهد الديانات وموطن الحضارات ذات القيم الإنسانية السامية، التي أكدت حقه في حياة كريمة على أسس من الحرية والعدل والمساواة.

وتحقيقاً للمبادئ الخالدة للدين الإسلامي الحنيف والديانات السماوية الأخرى في الأخوة والمساواة والتسامح بين البشر. واعتزازاً منها بما أرسته عبر تاريخها الطويل من قيم ومبادئ إنسانية، كان لها الدور الكبير في نشر مراكز العمل بين الشرق والغرب، ما جعلها مقصداً لأهل الأرض والباحثين عن المعرفة والحكمة.

وإيماناً منها بوحدة الوطن العربي مناضلاً دون حريته، مدافعاً عن حق الأمم في تقرير مصيرها، والمحافظة على ثرواتها وتنميتها، وإيماناً بسيادة القانون ودوره في حماية حقوق الإنسان في مفهومها الشامل والمتكامل، وإيماناً بأن تمتع الإنسان بالحرية والعدالة وتكافؤ الفرص هو معيار أصالة أي مجتمع. ورفضاً لأشكال العنصرية والصهيونية كافة؛ التي تشكل انتهاكاً لحقوق الإنسان، وتهديداً للسلم والأمن العالمين، وإقراراً بالارتباط الوثيق بين حقوق الإنسان والسلم والأمن العالمين، وتأكيداً لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وأحكام العهدين الدوليين للأمم المتحدة بشأن الحقوق المدنية والسياسية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومع الأخذ في الاعتبار إعلان القاهرة بشأن حقوق الإنسان في الإسلام.

وبناءً على ما تقدم اتفقت الأطراف في هذا الميثاق على الآتي:

مادة 1

يهدف هذا الميثاق في إطار الهوية الوطنية للدول العربية والشعور بالانتماء الحضاري المشترك، إلى تحقيق الغايات الآتية:

1- وضع حقوق الإنسان في الدول العربية ضمن الاهتمامات الوطنية الأساسية،

التي تجعل من حقوق الإنسان مثلاً سامية وأساسية توجه إرادة الإنسان في الدول العربية، وتمكنه من الارتقاء نحو الأفضل، وفقاً لما ترتضيه القيم الإنسانية النبيلة.

- 2- تنشئة الإنسان في الدول العربية على الاعتزاز بهويته، وعلى الوفاء لوطنه أرضاً وتاريخاً ومصالح مشتركة، مع التشبع بثقافة التأخي البشري والتسامح والانفتاح على الآخر، وفقاً لما تقتضيه المبادئ والقيم الإنسانية، وتلك المعلنة في المواثيق الدولية لحقوق الإنسان.
- 3- إعداد الأجيال في الدول العربية لحياة حرة مسؤولة، في مجتمع مدني متضامن وقائم على التلازم بين الوعي بالحقوق، والالتزام بالواجبات. وتسوده قيم المساواة والتسامح والاعتدال.
- 4- ترسيخ المبدأ القاضي بأن جميع حقوق الإنسان عالمية، وغير قابلة للتجزئة ومترابطة ومتشابكة.

مادة 2

- 1- للشعوب كافة الحق في تقرير مصيرها، والسيطرة على ثرواتها ومواردها. ولها الحق في أن تقرر بجرية اختيار نمط نظامها السياسي، وأن تواصل بجرية تنميتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- 2- للشعوب الحق في العيش تحت ظل السيادة الوطنية والوحدة الترابية.
- 3- أن أشكال العنصرية والصهيونية والاحتلال والسيطرة الأجنبية كافة، هي تحد للكرامة الإنسانية، وعائق أساسي يحول دون الحقوق الأساسية للشعوب، ومن الواجب إدانة جميع ممارساتها والعمل على إزالتها.
- 4- للشعوب كافة الحق في مقاومة الاحتلال الأجنبي.

مادة 3

- 1- تتعهد كل دولة طرف في هذا الميثاق، بأن تكفل لكل شخص خاضع لولايتها

حق التمتع بالحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الميثاق، من دون تمييز بسبب العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو المعتقد الديني أو الرأي أو الفكر أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو الإعاقة البدنية أو العقلية.

- 2- تتخذ الدول الأطراف في هذا الميثاق التدابير اللازمة لتأمين المساواة الفعلية في التمتع بالحقوق والحريات، كافة المنصوص عليها في هذا الميثاق، بما يكفل الحماية من جميع أشكال التمييز بأي سبب من الأسباب المبينة في الفقرة السابقة.
- 3- الرجل والمرأة متساويان في الكرامة الإنسانية والحقوق والواجبات، في ظل التمييز الإيجابي الذي أقرته الشريعة الإسلامية، والشرائع السماوية الأخرى، والتشريعات والمواثيق النافذة لصالح المرأة.

وتتعهد تبعا لذلك كل دولة طرف باتخاذ كل التدابير اللازمة لتأمين تكافؤ الفرص والمساواة الفعلية بين النساء والرجال في التمتع بجميع الحقوق الواردة في هذا الميثاق.

مادة 4

- 1- في حالات الطوارئ الاستثنائية التي تهدد حياة الأمة والمعلن قيامها رسمياً، يجوز للدول الأطراف في هذا الميثاق، أن تتخذ في أضيق الحدود التي يتطلبها الوضع، تدابير لا تنفيها بالالتزامات المترتبة عليها بمقتضى هذا الميثاق، بشرط ألا تتنافى هذه التدابير مع الالتزامات الأخرى المترتبة عليها، بمقتضى القانون الدولي، وألا تنطوي على تمييز يكون سببه الوحيد هو العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الأصل الاجتماعي.
- 2- لا يجوز في حالات الطوارئ الاستثنائية مخالفة أحكام المواد الآتية، المادة 5 والمادة 8 والمادة 9 والمادة 10 والمادة 13 والمادة 14 فقرة (6) والمادة 15 والمادة 18 والمادة 19 والمادة 20 والمادة 22 والمادة 27 والمادة 28 والمادة 29 والمادة 30، كما لا يجوز تعليق الضمانات القضائية اللازمة لحماية تلك الحقوق.

3- على أية دولة طرف في هذا الميثاق استخدمت حق عدم التقيد، أن تعلم الدول الأطراف الأخرى فوراً، عن طريق الأمين العام لجامعة الدول العربية بالأحكام التي لم تتقيد بها، وبالسبب التي دفعتها إلى ذلك وعليها في التاريخ الذي تنهي فيه عدم التقيد أن تعلمها بذلك مرة أخرى وبالطريقة ذاتها.

مادة 5

- 1- الحق في الحياة حق ملازم لكل شخص.
- 2- يحمي القانون هذا الحق، ولا يجوز حرمان أحد من حياته تعسفاً.

مادة 6

لا يجوز الحكم بعقوبة الإعدام، إلا في الجنايات بالغة الخطورة وفقاً للتشريعات النافذة وقت ارتكاب الجريمة، وبمقتضى حكم نهائي صادر عن محكمة مختصة، ولكل محكوم عليه بعقوبة الإعدام الحق في طلب العفو أو استبدالها بعقوبة أخف.

مادة 7

- 1- لا يجوز الحكم بالإعدام على أشخاص دون الثمانية عشر عاماً، ما لم تنص التشريعات النافذة وقت ارتكاب الجريمة على خلاف ذلك.
- 2- لا يجوز تنفيذ حكم الإعدام على امرأة حامل حتى تضع حملها أو على أم مرضع إلا بعد انقضاء عامين على تاريخ الولادة، وفي كل الأحوال تغلب مصلحة الرضيع.

مادة 8

- 1- يحظر تعذيب أي شخص بدينياً أو نفسياً أو معاملته معاملة قاسية أو مهينة أو حاطة بالكرامة أو غير إنسانية.
- 2- تحمي كل دولة طرف كل شخص خاضع لولايتها من هذه الممارسات، وتتخذ التدابير الفعالة لمنع ذلك، وتعد ممارسة هذه التصرفات أو الإسهام فيها جريمة يعاقب عليها لا تسقط بالتقادم.

كما تضمن كل دولة طرف في نظامها القانوني إنصاف من يتعرض للتعذيب وتمتعه بحق رد الاعتبار والتعويض.

مادة 9

لا يجوز إجراء تجارب طبية أو علمية على أي شخص أو استغلال أعضائه من دون رضائه الحر وإدراكه الكامل للمضاعفات التي قد تنجم عنها، مع مراعاة الضوابط والقواعد الأخلاقية والإنسانية والمهنية، والتقييد بالإجراءات الطبية الكفيلة بضمان سلامته الشخصية وفقاً للتشريعات النافذة في كل دولة طرف. ولا يجوز بأي حال من الأحوال الاتجار بالأعضاء البشرية.

مادة 10

يحظر الرق والاتجار بالأفراد في جميع صورهما ويعاقب على ذلك، ولا يجوز بأي حال من الأحوال الاسترقاق والاستعباد.

تحظر السخرة والاتجار بالأفراد من أجل الدعارة أو الاستغلال الجنسي أو استغلال دعارة الغير أو أي شكل آخر أو استغلال الأطفال في النزاعات المسلحة.

مادة 11

جميع الأشخاص متساوون أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحمايته من دون تمييز.

مادة 12

جميع الأشخاص متساوون أمام القضاء، وتضمن الدول الأطراف استقلال القضاء وحماية القضاة من أي تدخل أو ضغوط أو تهديدات، كما تضمن حق التقاضي بدرجاته لكل شخص خاضع لولايتها.

مادة 13

1- لكل شخص الحق في محاكمة عادلة تتوافر فيها ضمانات كافية، وتجريها محكمة مختصة ومستقلة ونزيهة ومنشأة سابقاً بحكم القانون. وذلك في مواجهة أية

تهمة جزائية توجه إليه، أو للبت في حقوقه أو التزاماته، وتكفل كل دولة طرف لغير القادرين مالياً، الإعانة العدلية للدفاع عن حقوقهم.

2- تكون المحاكمة علنية، إلا في حالات استثنائية تقتضيها مصلحة العدالة في مجتمع يحترم الحريات وحقوق الإنسان.

مادة 14

1- لكل شخص الحق في الحرية وفي الأمان على شخصه، ولا يجوز توقيفه أو تفتيشه أو اعتقاله تعسفاً وبغير سند قانوني.

2- لا يجوز حرمان أي شخص من حريته، إلا للأسباب والأحوال التي ينص عليها القانون سلفاً، وطبقاً للإجراء المقرر فيه.

3- يجب إبلاغ كل شخص يتم توقيفه بلغة يفهمها، بأسباب ذلك التوقيف لدى وقوعه، كما يجب إخطاره فوراً بالتهمة أو التهم الموجهة إليه، وله الحق في الاتصال بذويه.

4- لكل شخص حرم من حريته بالتوقيف أو الاعتقال، حق الطلب في العرض على الفحص الطبي، ويجب إبلاغه بذلك.

5- يقدم الموقوف أو المعتقل بتهمة جزائية أمام أحد القضاة، أو أحد الموظفين المخولين قانوناً مباشرة وظائف قضائية، ويجب أن يحاكم خلال مهلة معقولة أو يفرج عنه. ويمكن أن يكون الإفراج عنه، إذا كان توقيفه أو اعتقاله غير قانوني.

6- لكل شخص حرم من حريته بالتوقيف أو الاعتقال حق الرجوع إلى محكمة مختصة، تفصل من دون إبطاء في قانونية ذلك وتأمراً بالإفراج عنه، إذا كان توقيفه أو اعتقاله غير قانوني.

7- لكل شخص كان ضحية توقيف أو اعتقال تعسفي أو غير قانوني، الحق في الحصول على التعويض.

مادة 15

لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص تشريعي سابق، ويطبق في جميع الأحوال القانون الأصلح للمتهم.

مادة 16

كل متهم بريء حتى تثبت إدانته بحكم بات وفقاً للقانون، على أن يتمتع خلال إجراءات التحقيق والمحاكمة بالضمانات الآتية:

- 1- إخطاره فوراً وبالتفصيل وبلغه يفهمها بالتهم الموجهة إليه.
- 2- إعطاؤه الوقت والتسهيلات الكافية لإعداد دفاعه، والسماح له بالاتصال بذويه.
- 3- حقه في أن يحاكم حضورياً أمام قاضيه الطبيعي، وحقه في الدفاع عن نفسه شخصياً، أو بواسطة محام يختاره بنفسه ويتصل به بحرية وفي سرية.
- 4- حقه في الاستعانة مجاناً بمحام يدافع عنه، إذا تعذر عليه القيام بذلك بنفسه، أو إذا اقتضت مصلحة العدالة ذلك، وحقه إذا كان لا يفهم أو لا يتكلم لغة المحكمة في الاستعانة بمترجم من دون مقابل.
- 5- حقه في أن يناقش شهود الاتهام بنفسه أو بواسطة دفاعه، وحقه في استحضار شهود النفي بالشروط المطبقة في استحضار شهود الاتهام.
- 6- حقه في ألا يجبر على الشهادة ضد نفسه، أو أن يعترف بالذنب.
- 7- حقه إذا أدين بارتكاب جريمة في الطعن وفقاً للقانون، أمام درجة قضائية أعلى.
- 8- وفي جميع الأحوال للمتهم الحق في أن تحترم سلامته الشخصية وحياته الخاصة.

مادة 17

تكفل كل دولة طرف بوجه خاص للطفل المعرض للأخطار، أو الجانح الذي تعلق به تهمة، الحق في نظام قضائي خاص بالأحداث في جميع أطوار التتبع والمحاكمة وتنفيذ الأحكام، وفي معاملة خاصة تتفق مع سنه وتصون كرامته وتيسر تأهيله وإعادة إدماجه وقيامه بدور بناء في المجتمع.

مادة 18

لا يجوز حبس شخص ثبت قضائياً إبعاده عن الوفاء بدين ناتج عن التزام تعاقدى.

مادة 19

- 1- لا يجوز محاكمة شخص عن الجرم نفسه مرتين. ولمن تتخذ ضده هذه الإجراءات، أن يطعن في شرعيتها ويطلب الإفراج عنه.
- 2- لكل متهم ثبتت براءته بموجب حكم بات، الحق في التعويض عن الأضرار التي لحقت به.

مادة 20

- 1- يعامل جميع الأشخاص المحرومين من حريتهم معاملة إنسانية تحترم الكرامة المتأصلة في الإنسان.
- 2- يفصل المتهمون عن المدانين، ويعاملون معاملة تتفق مع كونهم غير مدانين.
- 3- يراعى في نظام السجون أن يهدف إلى إصلاح المسجونين وإعادة تأهيلهم اجتماعياً.

مادة 21

- 1- لا يجوز تعريض أي شخص على نحو تعسفي أو غير قانوني للتدخل في خصوصياته، أو شئون أسرته أو بيته أو مراسلاته أو التشهير بمس شرفه أو سمعته.
- 2- من حق كل شخص أن يحمي القانون من مثل هذا التدخل أو المساس.

مادة 22

لكل شخص الحق في أن يعترف له بشخصيته القانونية.

مادة 23

تتعهد كل دولة طرف في هذا الميثاق، بأن تكفل توفير سبيل فعال للتظلم لأي شخص انتهكت حقوقه أو حرياته المنصوص عليها في هذا الميثاق حتى لو صدر هذا الانتهاك من أشخاص يتصرفون بصفتهم الرسمية.

مادة 24

لكل مواطن الحق في:

- 1- حرية الممارسة السياسية.
- 2- المشاركة في إدارة الشؤون العامة، إما مباشرة، أو بواسطة ممثلين يختارون بحرية.
- 3- ترشيح نفسه أو اختيار من يمثله بطريقة حرة ونزيهة وعلى قدم المساواة بين جميع المواطنين؛ بحيث تضمن التعبير الحر عن إرادة المواطن.
- 4- أن تتاح له على قدم المساواة مع الجميع، فرصة تقلد الوظائف العامة في بلده على أساس تكافؤ الفرص.
- 5- حرية تكوين الجمعيات مع الآخرين والانضمام إليها.
- 6- حرية الاجتماع وحرية التجمع بصورة سلمية.
- 7- لا يجوز تقييد ممارسة هذه الحقوق بأي قيود غير القيود المفروضة طبقاً للقانون، والتي تقتضيها الضرورة في مجتمع يحترم الحريات وحقوق الإنسان، لصيانة الأمن الوطني أو النظام العام أو السلامة العامة أو الصحة العامة أو الآداب العامة أو لحماية حقوق الغير وحرياتهم.

مادة 25

لا يجوز حرمان الأشخاص المتمين إلى الأقليات، من التمتع بثقافتها واستخدام لغتها وممارسة تعاليم دينها، وينظم القانون التمتع بهذه الحقوق.

مادة 26

- 1- لكل شخص يوجد بشكل قانوني على إقليم دولة طرف حرية التنقل واختيار مكان الإقامة في أية جهة من هذا الإقليم في حدود التشريعات النافذة.
- 2- لا يجوز لأية دولة طرف إبعاد أي شخص لا يحمل جنسيتها ومتواجد بصورة شرعية على أراضيها، إلا بموجب قرار صادر وفقاً للقانون وبعد تمكينه من عرض تظلمه على الجهة المختصة ما لم تحتم دواعي الأمن الوطني خلاف ذلك وفي كل الأحوال يمنع الإبعاد الجماعي.

مادة 27

- 1- لا يجوز بشكل تعسفي أو غير قانوني منع أي شخص من مغادرة أي بلد بما في ذلك بلده أو فرض حظر على إقامته في أية جهة أو إلزامه بالإقامة في هذا البلد.
- 2- لا يجوز نفي أي شخص من بلده أو منعه من العودة إليه.

مادة 28

لكل شخص الحق في طلب اللجوء السياسي إلى بلد آخر، هرباً من الاضطهاد، ولا ينتفع بهذا الحق من يجري تتبعه من أجل جريمة تهتم الحق العام ولا يجوز تسليم اللاجئين السياسيين.

مادة 29

- 1- لكل شخص الحق في التمتع بجنسية، ولا يجوز إسقاطها عن أي شخص بشكل تعسفي أو غير قانوني.
- 2- للدول الأطراف أن تتخذ الإجراءات التي تراها مناسبة، وبما يتفق مع تشريعاتها الداخلية الخاصة بالجنسية، في تمكين الأطفال من اكتساب جنسية الأم، مع مراعاة مصلحة الطفل في كل الأحوال.
- 3- لا ينكر حق الشخص في اكتساب جنسية أخرى، مع مراعاة الإجراءات القانونية الداخلية لبلده.

مادة 30

- 1- لكل شخص الحق في حرية الفكر والعقيدة والدين، ولا يجوز فرض أية قيود عليها، إلا بما ينص عليه التشريع النافذ.
- 2- لا يجوز إخضاع حرية الإنسان في إظهار دينه أو معتقده أو ممارسة شعائره الدينية بمفرده أو مع غيره، إلا للقيود التي ينص عليها القانون، والتي تكون ضرورية في مجتمع متسامح يحترم الحريات وحقوق الإنسان، لحماية السلامة

العامة أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة أو لحماية حقوق الآخرين وحررياتهم الأساسية.

3- للآباء أو الأوصياء حرية تأمين تربية أولادهم دينياً وخلقياً.

مادة 31

حق الملكية الخاصة مكفول لكل شخص، ويحظر في جميع الأحوال مصادرة أمواله كلها أو بعضها بصورة تعسفية أو غير قانونية.

مادة 32

1- يضمن هذا الميثاق الحق في الإعلام وحرية الرأي والتعبير، وكذلك الحق في استقاء الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأية وسيلة، ودونما اعتبار للحدود الجغرافية.

2- تمارس هذه الحقوق والحريات في إطار المقومات الأساسية للمجتمع، ولا تخضع إلا للقيود التي يفرضها احترام حقوق الآخرين أو سمعتهم أو حماية الأمن الوطني أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة.

مادة 33

1- الأسرة هي الوحدة الطبيعية والأساسية للمجتمع. والزواج بين الرجل والمرأة أساس تكوينها، وللرجل والمرأة ابتداءً من بلوغ سن الزواج، حق التزوج وتأسيس أسرة وفق شروط وأركان الزواج، ولا ينعقد الزواج إلا برضاء الطرفين رضاءً كاملاً لا إكراه فيه، وينظم التشريع النافذ حقوق وواجبات الرجل والمرأة عند انعقاد الزواج وخلال قيامه ولدى انحلاله.

2- تكفل الدولة والمجتمع حماية الأسرة وتقوية أواصرها وحماية الأفراد داخلها، وحظر مختلف أشكال العنف وإساءة المعاملة بين أعضائها وخصوصاً ضد المرأة والطفل. كما تكفل للأمم المتحدة والطفولة والشيوخ وذوي الاحتياجات الخاصة، الحماية والرعاية اللازمين، وتكفل أيضاً للناشئين والشباب أكبر فرص التنمية البدنية والعقلية.

- 3- تتخذ الدول الأطراف كل التدابير التشريعية والإدارية والقضائية، لضمان حماية الطفل وبقائه ونمائه ورفاهيته في جو من الحرية والكرامة، واعتبار مصلحته الفضلى المعيار الأساسي لكل التدابير المتخذة بشأنه في جميع الأحوال، وسواء كان معرضاً للانحراف أو جانحاً.
- 4- تتخذ الدول الأطراف كل التدابير الضرورية لضمان الحق في ممارسة الرياضة البدنية وخصوصاً للشباب.

مادة 34

- 1- العمل حق طبيعي لكل مواطن، وتعمل الدولة على توفير فرص العمل قدر الإمكان لأكبر عدد ممكن من المقبلين عليه، مع ضمان الإنتاج وحرية العمل وتكافؤ الفرص، ومن دون أي نوع من أنواع التمييز على أساس العرق أو اللون أو الجنس أو الدين أو اللغة أو الرأي السياسي أو الانتماء النقابي أو الأصل الوطني أو الأصل الاجتماعي أو الإعاقة أو أي موضع آخر.
- 2- لكل عامل الحق في التمتع بشروط عمل عادلة ومرضية، وتؤمن الحصول على أجر مناسب لتغطية مطالب الحياة الأساسية له ولأسرته، وتكفل تحديد ساعات العمل والراحة والإجازات المدفوعة الأجر، وقواعد حفظ الصحة والسلامة المهنية وحماية النساء والأطفال والأشخاص ذوي الإعاقات أثناء العمل.
- 3- تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في حمايته من الاستغلال الاقتصادي، ومن أداء أي عمل يرجح أن يكون خطيراً، أو أن يمثل إعاقة لتعليم الطفل أو أن يكون مضراً بصحته أو بنموه البدني أو العقلي أو الروحي أو المعنوي أو الاجتماعي، ولهذا الغرض ومع مراعاة أحكام الصكوك الدولية الأخرى ذات الصلة. وتقوم الدول الأطراف بوجه خاص بما يأتي:
- أ - تحديد سن أدنى للالتحاق بالعمل.
- ب - وضع نظام مناسب لساعات العمل وظروفه.

- ج- فرض عقوبات أو جزاءات أخرى مناسبة لضمان إنفاذ هذه الأحكام بفعالية.
- د- لا يجوز التمييز بين الرجل والمرأة في حق الاستفادة الفعلية من التدريب والتكوين والتشغيل وحماية العمل والأجور، عند تساوي قيمة ونوعية العمل.
- هـ- على كل دولة طرف أن تضمن الحماية الضرورية للعمال الوافدين إليها طبقاً للتشريعات النافذة.

مادة 35

- 1- لكل شخص الحق في حرية تكوين الجمعيات أو النقابات المهنية والانضمام إليها، وحرية ممارسة العمل النقابي من أجل حماية مصالحه.
- 2- لا يجوز فرض أي من القيود على ممارسة هذه الحقوق والحريات، إلا تلك التي ينص عليها التشريع النافذ، وتشكل تدابير ضرورية لصيانة الأمن القومي أو السلامة العامة أو النظام العام أو حماية الصحة العامة أو الآداب العامة أو حماية حقوق الآخرين وحررياتهم.
- 3- تكفل كل دولة طرف، الحق في الإضراب في الحدود التي ينص عليها التشريع النافذ.

مادة 36

تضمن الدول الأطراف حق كل مواطن في الضمان الاجتماعي بما في ذلك التأمين الاجتماعي.

مادة 37

الحق في التنمية، هو حق من حقوق الإنسان الأساسية، وعلى جميع الدول أن تضع السياسات الإنمائية والتدابير اللازمة لضمان هذا الحق، وعليها السعي لتفعيل قيم التضامن والتعاون فيما بينها، وعلى المستوى الدولي للقضاء على الفقر، وتحقيق

تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية، وبموجب هذا الحق لكل مواطن المشاركة والإسهام في تحقيق التنمية والتمتع بمزاياها وثمارها.

مادة 38

لكل شخص الحق في مستوى معيشي كاف له ولأسرته، ويوفر الرفاهية والعيش الكريم من غذاء وكساء ومسكن وخدمات، وله الحق في بيئة سليمة. وعلى الدول الأطراف اتخاذ التدابير اللازمة وفقاً لإمكاناتها لإنفاذ هذه الحقوق.

مادة 39

1- تقرر الدول الأطراف بحق كل فرد في المجتمع، بالتمتع بأعلى مستوى من الصحة البدنية والعقلية يمكن بلوغه، وفي حصول المواطن مجاناً على خدمات الرعاية الصحية الأساسية، وعلى مرافق علاج الأمراض من دون أي نوع من أنواع التمييز.

2- تشمل الخطوات التي تتخذها الدول الأطراف التدابير الآتية:

أ - تطوير الرعاية الصحية الأولية، وضمان مجانية وسهولة الوصول إلى المراكز التي تقدم هذه الخدمات، بصرف النظر عن الموقع الجغرافي أو الوضع الاقتصادي.

ب- العمل على مكافحة الأمراض وقائياً وعلاجياً، بما يكفل خفض الوفيات.

ج- نشر الوعي والثقيف الصحي.

د- مكافحة الممارسات التقليدية الضارة بصحة الفرد.

هـ- توفير الغذاء الأساسي ومياه الشرب النقية لكل فرد.

و- مكافحة عوامل التلوث البيئي وتوفير التصريف الصحي.

ز- مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية والتدخين والمواد الضارة بالصحة.

مادة 40

1- تلتزم الدول الأطراف بتوفير الحياة الكريمة لذوي الإعاقات النفسية والجسدية،

والتي تكفل لهم كرامتهم. مع تعزيز اعتمادهم على أنفسهم وتيسير مشاركتهم الفعلية في المجتمع.

2- توفر الدول الأطراف الخدمات الاجتماعية مجاناً لجميع ذوي الإعاقات. كما توفر الدعم المادي للمحتاج من هؤلاء الأشخاص وأسرتهم أو للأسر التي ترعاها. كما تقوم بكل ما يلزم لتجنب إيوائهم في مؤسسات الرعاية وفي جميع الأحوال تراعى المصلحة الفضلى للشخص المعوق.

3- تتخذ الدول الأطراف كل التدابير اللازمة للحد من الإعاقات بكل السبل الممكنة، بما فيها برامج الصحة الوقائية ونشر الوعي والتثقيف.

4- توفر الدول الأطراف كل الخدمات التعليمية المناسبة للأشخاص ذوي الإعاقات، أخذاً في الاعتبار أهمية الدمج في النظام التعليمي، وأهمية التدريب والتأهيل المهني والإعداد لممارسة العمل، وتوفير العمل المناسب في القطاع الحكومي أو الخاص.

5- توفر الدول الأطراف كل الخدمات الصحية المناسبة للأشخاص ذوي الإعاقات، بما فيها إعادة التأهيل لدمجهم في المجتمع.

6- تمكن الدول الأطراف الأشخاص ذوي الإعاقات من استخدام مرافق الخدمة العامة والخاصة.

مادة 41

- 1- نحو الأمية التزام واجب على الدولة، ولكل شخص الحق في التعليم.
- 2- تضمن الدول الأطراف لمواطنيها مجانية التعليم على الأقل في مرحلتيه الابتدائية والأساسية، ويكون التعليم الابتدائي إلزامياً ومتاحاً بمختلف مراحل وأوضاعه للجميع من دون تمييز.
- 3- تتخذ الدول الأطراف في جميع الميادين، كل التدابير المناسبة لتحقيق الشراكة بين الرجل والمرأة، من أجل تحقيق أهداف التنمية الوطنية.

- 4- تضمن الدول الأطراف توفير تعليم يستهدف التنمية الكاملة لشخصية الإنسان، وتعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية.
- 5- تعمل الدول الأطراف على دمج مبادئ حقوق الإنسان، والحريات الأساسية في المناهج والأنشطة التعليمية وبرامج التربية والتكوين والتدريب الرسمية وغير الرسمية.
- 6- تضمن الدول الأطراف وضع الآليات الكفيلة بتحقيق التعلم المستمر مدى الحياة لكل المواطنين، ووضع خطة وطنية لتعليم الكبار.

مادة 42

- 1- لكل شخص حق المشاركة في الحياة الثقافية، وفي التمتع بفوائد التقدم العلمي وتطبيقاته.
- 2- تعهد الدول الأطراف باحترام حرية البحث العلمي، وتكفل حماية المصالح المعنوية والمادية الناتجة عن الإنتاج العلمي أو الأدبي أو الفني.
- 3- تسعى الدول الأطراف للعمل المشترك وتعزيز التعاون فيما بينها على كل الأصعدة، وبمشاركة كاملة لأهل الثقافة والإبداع ومنظماتهم؛ من أجل تطوير البرامج العملية والترفيهية والثقافية والفنية وتنفيذها.

مادة 43

لا يجوز تفسير هذا الميثاق أو تأويله على نحو ينتقص من الحقوق والحريات التي تحميها القوانين الداخلية للدول الأطراف، أو القوانين المنصوص عليها في المواثيق الدولية والإقليمية لحقوق الإنسان، التي صدقت عليها أو أقرتها بما فيها حقوق المرأة والطفل والأشخاص المنتمين إلى الأقليات.

مادة 44

تعهد الدول الأطراف بأن تتخذ طبقاً لإجراءاتها الدستورية، ولأحكام هذا الميثاق ما يكون ضرورياً لأعمال الحقوق المنصوص عليها من تدابير تشريعية أو غير تشريعية.

مادة 45

- 1- تنشأ بموجب هذا الميثاق لجنة تسمى (لجنة حقوق الإنسان العربية) يشار إليها فيما بعد باسم (اللجنة)، وتتكون من سبعة أعضاء تنتخبهم الدول الأطراف في هذا الميثاق بالاقتراع السري.
- 2- تؤلف اللجنة من مواطني الدول الأطراف في هذا الميثاق، ويشترط في المرشحين لعضوية اللجنة، أن يكونوا من ذوي الخبرة والكفاية العالية في مجال عملها. وعلى أن يعمل أعضاء اللجنة بصفتهم الشخصية وبكل تجرد ونزاهة.
- 3- لا يجوز أن تضم اللجنة أكثر من شخص واحد من مواطني الدولة الطرف. ويجوز إعادة انتخابه مرة واحدة فقط ويراعى مبدأ التداول.
- 4- ينتخب أعضاء اللجنة لمدة أربع سنوات، على أن تنتهي ولاية ثلاثة من الأعضاء المنتخبين في الانتخاب الأول، مرة بعد عامين ويجددون عن طريق القرعة.
- 5- يطلب الأمين العام لجامعة الدول العربية من الدول الأطراف، تقديم مرشحها قبل ستة أشهر من موعد الانتخابات. يبلغ الأمين العام الدول الأطراف بقائمة المرشحين قبل شهرين من موعد انتخاب أعضاء اللجنة. وينتخب لعضوية اللجنة من يحصل على أعلى نسبة من أصوات الحاضرين. وإذا كان عدد الحاصلين على أعلى الأصوات، أكثر من العدد المطلوب بسبب التساوي في الأصوات بين أكثر من مرشح، يعاد الانتخاب بين المتساوين مرة أخرى. وإذا تساوت الأصوات يختار العضو أو الأعضاء المطلوبون عن طريق القرعة، ويجرى الانتخاب لأول مرة لعضوية اللجنة في موعد لا يقل عن ستة أشهر من دخول الميثاق حيز النفاذ.
- 6- يدعو الأمين العام الدول الأطراف إلى اجتماع يخصص لانتخابات أعضاء اللجنة، ويعقد في مقر جامعة الدول العربية ويعد النصاب مكتملاً لانعقاد الاجتماع بحضور غالبية الدول الأطراف. وإذا لم يكتمل النصاب يدعو الأمين

العام إلى اجتماع آخر. وينعقد بحضور ما لا يقل عن ثلث الدول الأطراف، وإذا لم يكتمل النصاب في هذا الاجتماع يدعو الأمين العام إلى اجتماع ثالث ينعقد بأي عدد من الحاضرين فيه من الدول الأطراف.

7- يدعو الأمين العام اللجنة لعقد اجتماعها الأول، تنتخب خلاله رئيسا لها من بين أعضائها لمدة عامين قابلة للتجديد لمدة مماثلة ولمرة واحدة وتضع اللجنة ضوابط عملها وأسلوب ودورية اجتماعاتها.

8- تعقد اللجنة اجتماعاتها في مقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ويجوز لها عقد اجتماعاتها في أي بلد طرف في هذا الميثاق بناء على دعوة منه.

مادة 46

1- يعلن الأمين العام عن المقاعد الشاغرة بعد إخطاره من قبل رئيس اللجنة في الحالات الآتية:

أ - الوفاة.

ب - الاستقالة.

ج - إذا انقطع عضو في اللجنة - بإجماع رأي أعضائها الآخرين - عن الاضطلاع بوظائفه بدون تقديم عذر مقبول وبسبب غير الغياب ذي الطابع المؤقت.

2- إذا أعلن شغر مقعد ما طبقا للفترة (1) وكانت ولاية العضو الذي يجب استبداله لا تنتضي خلال الأشهر الستة التي تلي إعلان شغور مقعده، يقوم الأمين العام لجامعة الدول العربية بإبلاغ ذلك إلي الدول الأطراف في هذا الميثاق، التي يجوز لها خلال مهلة شهرين تقديم مرشحين وفقا للمادة 45 من أجل ملء المقعد الشاغر.

3- يضع الأمين العام لجامعة الدول العربية قائمة بأسماء جميع المرشحين على هذا النحو بالترتيب الأبجدي، ويبلغ هذه القائمة إلي الدول الأطراف في هذا الميثاق وإذ ذاك يجري الانتخاب اللازم لملء المقعد الشاغر طبقا للأحكام الخاصة بذلك.

4- كل عضو في اللجنة انتخب لملء مقعد أعلن شغوره طبقاً للفقرة (1) يتولي مهام العضوية فيها حتى انقضاء ما تبقي من مدة ولاية العضو الذي شغل مقعده في اللجنة بمقتضي أحكام تلك الفقرة.

5- يوفر الأمين العام ضمن ميزانية جامعة الدول العربية ما يلزم من موارد مالية وموظفين ومرافق، لقيام اللجنة بعملها بصورة فعالة ويعامل خبراء اللجنة فيما يتعلق بالمكافأة وتغطية المصاريف معاملة خبراء الأمانة العامة.

مادة 47

تتعهد الدول الأطراف بأن تضمن لأعضاء اللجنة الحصانات اللازمة والضرورية لحمايتهم، ضد أي شكل من أشكال المضايقات أو الضغوط المعنوية أو المادية أو أي تبعات قضائية، بسبب موافقهم أو تصريحاتهم في إطار قيامهم بمهامهم كأعضاء في اللجنة.

مادة 48

1- تتعهد الدول الأطراف بتقديم تقارير بشأن التدابير التي اتخذتها لإعمال الحقوق والحريات، المنصوص عليها في هذا الميثاق وبيان التقدم المحرز للتمتع بها، ويتولى الأمين العام لجامعة الدول العربية بعد تسلمه التقارير إحالتها إلى اللجنة للنظر فيها.

2- تقوم الدول الأطراف بتقديم التقرير الأول إلى اللجنة خلال سنة من تاريخ دخول الميثاق حيز التنفيذ، بالنسبة لكل دولة طرف وتقرير دوري كل ثلاثة أعوام. ويجوز للجنة أن تطلب من الدول الأطراف معلومات إضافية ذات صلة بتنفيذ الميثاق.

3- تدرس اللجنة التقارير التي تقدمها الدول الأطراف وفقاً للفقرة (2) بحضور من يمثل الدولة المعنية لمناقشة التقرير.

4- تناقش اللجنة التقرير وتبدي ملاحظاتها وتقدم التوصيات الواجب اتخاذها طبقاً لأهداف الميثاق.

- 5- تحيل اللجنة تقريراً سنوياً يتضمن ملاحظاتها وتوصياتها إلى مجلس الجامعة عن طريق الأمين العام.
- 6- تعتبر تقارير اللجنة وملاحظاتها الختامية وتوصياتها وثنائق علنية تعمل اللجنة على نشرها على نطاق واسع.

مادة 49

- 1- يعرض الأمين العام لجامعة الدول العربية هذا الميثاق - بعد موافقة مجلس الجامعة عليه - على الدول الأعضاء للتوقيع والتصديق أو الانضمام إليه.
- 2- يدخل هذا الميثاق حيز النفاذ بعد شهرين من تاريخ إيداع وثيقة التصديق السابعة لدي الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.
- 3- يصبح هذا الميثاق نافذا بالنسبة لكل دولة - بعد دخوله حيز النفاذ - بعد شهرين من تاريخ إيداع وثيقة تصديقها أو انضمامها لدي الأمانة العامة.
- 4- يقوم الأمين العام بإخطار الدول الأعضاء بإيداع وثيقة التصديق أو الانضمام.

مادة 50

يمكن لأي دولة طرف بوساطة الأمين العام تقديم اقتراحات مكتوبة لتعديل هذا الميثاق، وبعد تعميم هذه التعديلات على الدول الأعضاء يدعو الأمين العام الدول الأطراف للنظر في التعديلات المقترحة، لإقرارها قبل عرضها على مجلس الجامعة لاعتمادها.

مادة 51

يبدأ نفاذ التعديلات بالنسبة للدول الأطراف التي صادقت عليها بعد اكتمال تصديق ثلثي الدول الأطراف على التعديلات.

مادة 52

يمكن لأي دولة طرف أن تقترح ملاحق إضافية اختيارية لهذا الميثاق، ويتخذ في إقرارها الإجراءات التي تتبع في إقرار تعديلات الميثاق.

مادة 53

- 1- يجوز لأي دولة - عند توقيع هذا الميثاق أو عند إيداع وثائق التصديق عليه أو الانضمام إليه - أن تحتفظ على أي مادة في الميثاق على ألا يتعارض هذا التحفظ، مع هدف الميثاق وغرضه الأساسي.
- 2- يجوز - في أي وقت - لأي دولة طرف أبدت تحفظاً وفقاً للفقرة (1) من هذه المادة، أن تسحب هذا التحفظ بإرسال إشعار إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية.
- 3- يقوم الأمين العام بإشعار الدول الأعضاء بالتحفظات المبداة وبطلبات سحبها.
- 8- إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام 1990م:

تم إجازته من قبل مجلس وزراء خارجية منظمة مؤتمر العالم الإسلامي القاهرة في 5 أغسطس 1990م.

الديباجة:

تأكيداً للدور الحضاري والتاريخي للأمة الإسلامية التي جعلها الله خير أمة أوتت البشرية حضارة عالمية متوازنة، ربطت الدنيا بالآخرة وجمعت بين العلم والإيمان، وما يرجى أن تقوم به هذه الأمة اليوم لهداية البشرية الحائرة بين التيارات والمذاهب المتناقضة، وتقديم الحلول لمشكلات الحضارة المادية المزمنة.

ومساهمة في الجهود البشرية المتعلقة بحقوق الإنسان التي تهدف إلى حمايته من الاستغلال والاضطهاد، وتهدف إلى تأكيد حريته وحقوقه في الحياة الكريمة التي تتفق مع الشريعة الإسلامية.

وثقة منها بأن البشرية التي بلغت في مدارج العلم المادي شأناً بعيداً، لا تزال، وستبقى في حاجة ماسة إلى سند إيماني لحضارتها، وإلى وازع ذاتي يجرس حقوقها. وإيماناً بأن الحقوق الأساسية والحريات العامة في الإسلام جزء من دين المسلمين،

لا يملك أحد بشكل مبدئي تعطيلها كلياً أو جزئياً، أو خرقها أو تجاهلها في أحكام إلهية تكليفية أنزل الله بها كتبه، وبعث بها خاتم رسله وتمم بها ما جاءت به الرسالات السماوية وأصبحت رعايتها عبادة، وإهمالها أو العدوان عليها منكرات في الدين، وكل إنسان مسئول عنها بمفرده، والأمة مسؤولة عنها بالتضامن، وأن الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي تأسيساً علي ذلك تعلن ما يلي:

المادة 1

- 1- البشر جميعاً أسرة واحدة جمعت بينهم العبودية لله والنبوة لآدم، وجميع الناس متساوون في أصل الكرامة الإنسانية، وفي أصل التكليف والمسؤولية دون تمييز بينهم بسبب العرق أو اللون أو اللغة أو الجنس أو المعتقد الديني أو الانتماء السياسي أو الوضع الاجتماعي، أو غير ذلك من الاعتبارات. وأن العقيدة الصحيحة هي الضمان لنمو هذه الكرامة علي طريق تكامل الإنسان.
- 2- أن الخلق كلهم عيال الله وأن أحبهم إليه أنفعهم لعياله، وأنه لا فضل لأحد منهم علي الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح.

المادة 2

- 1- الحياة هبة الله وهي مكفولة لكل إنسان، وعلي الأفراد والمجتمعات والدول حماية هذا الحق من كل اعتداء عليه، ولا يجوز إزهاق روح دون مقتض شرعي.
- 2- يجرم اللجوء إلي وسائل تفضي إلي إفناء ينبوع البشري.
- 3- المحافظة علي استمرار الحياة البشرية إلي ما شاء الله واجب شرعي.
- 4- سلامة جسد الإنسان مصنونة، ولا يجوز الاعتداء عليها، كما لا يجوز المساس بها بغير مسوغ شرعي، وتكفل الدولة حماية ذلك.

المادة 3

- 1- في حالة استخدام القوة أو المنازعات المسلحة، لا يجوز قتل من لا مشاركة لهم في القتال؛ كالشيخ والمرأة والطفل، وللجريح والمريض الحق في أن يداوي،

وللأسير أن يطعم ويؤوى ويكسى، ويحرم التمثيل بالقتلى، ويجب تبادل الأسري وتلاقي اجتماع الأسر التي فرقها ظروف القتال.

2- لا يجوز قطع الشجر أو إتلاف الزرع والضرع أو تخريب المباني والمنشآت المدنية للعدو بقصف أو نسف أو غير ذلك.

المادة 4

لكل إنسان حرمة والحفاظ علي سمعته في حياته وبعد موته وعلي الدول والمجتمع حماية جثمانه ومدفنه.

المادة 5

1- الأسرة هي الأساس في بناء المجتمع، والزواج أساس تكوينها وللرجال والنساء الحق في الزواج، ولا تحول دون تمتعهم بهذا الحق قيود، منشؤها العرق أو اللون أو الجنسية.

2- علي المجتمع والدولة إزالة العوائق أمام الزواج وتيسير سبله وحماية الأسرة ورعايتها.

المادة 6

1- المرأة مساوية للرجل في الكرامة الإنسانية، ولها من الحق مثل ما عليها من الواجبات، ولها شخصيتها المدنية وذمتها المالية المستقلة، وحق الاحتفاظ باسمها ونسبها.

2- علي الرجل عبء الإنفاق علي الأسرة ومسئولية رعايتها.

المادة 7

1- لكل طفل عند ولادته حق علي الأبوين والمجتمع والدولة في الحضانة والتربية والرعاية المادية والصحية والأدبية، كما تجب حماية الجنين والأم وإعطاؤهما عناية خاصة.

2- للأباء ومن يحكمهم، الحق في اختيار نوع التربية التي يريدون لأولادهم، مع

وجوب مراعاة مصالحهم ومستقبلهم في ضوء القيم الأخلاقية والأحكام الشرعية. للأبوين علي الأبناء حقوقهما وللأقارب حق علي ذويهم وفقاً لأحكام الشريعة.

المادة 8

لكل إنسان التمتع بأهليته الشرعية؛ من حيث الإلزام والالتزام وإذا فقدت أهليته أو انتقصت قام وليه مقامه.

المادة 9

- 1- طلب العلم فريضة والتعليم واجب علي المجتمع والدولة، وعليها تأمين سبله ووسائله وضمان تنوعه؛ بما يحقق مصلحة المجتمع، ويتيح للإنسان معرفة دين الإسلام وحقائق الكون وتسخيرها لخير البشرية.
- 2- من حق كل إنسان علي مؤسسات التربية والتوجيه المختلفة من الأسرة والمدرسة وأجهزة الإعلام وغيرها، أن تعمل علي تربية الإنسان دينياً ودينيوياً، تربية متكاملة متوازنة تنمي شخصيته، وتعزز إيمانه بالله واحترامه للحقوق والواجبات وحمايتها.

المادة 10

الإسلام هو دين الفطرة، ولا يجوز ممارسة أي لون من الإكراه علي الإنسان، أو استغلال فقره أو جهله علي تغيير دينه إلي دين آخر أو إلي الإلحاد.

المادة 11

- 1- يولد الإنسان حراً، وليس لأحد أن يستعبده أو يذله أو يقهره أو يستغله ولا عبودية لغير الله تعالى.
- 2- الاستعمار بشتى أنواعه وباعتباره من أسوأ أنواع الاستعباد، محرم تحريماً مؤكداً، وللشعوب التي تعانيه الحق الكامل للتحرر منه، وفي تقرير المصير، وعلي جميع الدول والشعوب واجب النصر لها في كفاحها لتصفية كل أشكال الاستعمار

أو الاحتلال، ولجميع الشعوب الحق في الاحتفاظ بشخصيتها المستقلة، والسيطرة علي ثرواتها ومواردها الطبيعية.

3- للأبوين علي الأبناء حقوقهما وللأقارب حق علي ذويهم وفقاً لأحكام الشريعة.

المادة 12

لكل إنسان الحق في إطار الشريعة في حرية التنقل، واختيار محل إقامته داخل بلاده أو خارجها، وله إذا اضطهد حق اللجوء إلي بلد آخر، وعلي البلد الذي لجأ إليه أن يجيره حتى يبلغه مأمناً، ما لم يكن سبب اللجوء اقراراً جريماً في نظر الشرع.

المادة 13

العمل حق تكفله الدولة والمجتمع لكل قادر عليه، وللإنسان حرية اختيار العمل اللائق به، مما تتحقق به مصلحته ومصلحة المجتمع، وللعامل حقه في الأمن والسلامة، وفي كافة الضمانات الاجتماعية الأخرى. ولا يجوز تكليفه بما لا يطيقه، أو إكراهه، أو استغلاله، أو الإضرار به، وله - دون تمييز بين الذكر والأنثى - أن يتقاضى أجراً عادلاً مقابل عمله دون تأخير، وله العلاوات والفروقات التي يستحقها، وهو مطالب بالإخلاص والإتقان، وإذا اختلف العمال وأصحاب العمل، فعلي الدولة أن تتدخل لفض النزاع ورفع الظلم وإقرار الحق والإلزام بالعدل دون تحيز.

المادة 14

للإنسان الحق في الكسب المشروع، دون احتكار أو غش أو إضرار بالنفس أو بالغير والربا ممنوع مؤكداً.

المادة 15

1- لكل إنسان الحق في التملك بالطرق الشرعية، والتمتع بحقوق الملكية، بما لا يضر به أو بغيره من الأفراد أو المجتمع، ولا يجوز نزع الملكية إلا لضرورات المنفعة العامة ومقابل تعويض فوري وعادل.

2- تحرم مصادرة الأموال وحجزها إلا بمقتضى شرعي.

المادة 16

لكل إنسان الحق في الانتفاع بثمرات إنتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني أو التقني، وله الحق في حماية مصالحه الأدبية والمالية العائدة له، علي أن يكون هذا الإنتاج غير مناف لأحكام الشريعة.

المادة 17

- 1- لكل إنسان الحق في أن يعيش بيئة نظيفة من المفاسد والأوبئة الأخلاقية، تمكنه من بناء ذاته معنوياً، وعلي المجتمع والدولة أن يوفر له هذا الحق.
- 2- لكل إنسان علي مجتمعه ودولته حق الرعاية الصحية والاجتماعية بتهيئة جميع المرافق العامة، التي تحتاج إليها في حدود الإمكانيات المتاحة.
- 3- تكفل الدولة لكل إنسان حقه في عيش كريم يحقق له تمام كفايته وكفاية من يعوله، ويشمل ذلك المأكل والملبس والسكن والتعليم والعلاج وسائر الحاجات الأساسية.

المادة 18

- 1- لكل إنسان الحق في أن يعيش آمناً علي نفسه ودينه وأهله وعرضه وماله.
- 2- للإنسان الحق في الاستقلال بشؤون حياته الخاصة في مسكنه وأسرته وماله واتصالاته، ولا يجوز التجسس أو الرقابة عليه أو الإساءة إلي سمعته وتجب حمايته من كل تدخل تعسفي.
- 3- للمسكن حرمة في كل الأحوال، ولا يجوز دخوله بغير إذن أهله أو بصورة غير مشروعة، ولا يجوز هدمه أو مصادرته أو تشريد أهله منه.

المادة 19

- 1- الناس سواسية أمام الشرع، يستوي في ذلك الحاكم والمحكوم.
- 2- حق اللجوء إلي القضاء مكفول للجميع.
- 3- المسؤولية في أساسها شخصية.

- 4- لا جريمة ولا عقوبة إلا بموجب أحكام الشريعة.
5- المتهم برئ حتى تثبت إدانته بمحاكمة عادلة تؤمن له فيها كل الضمانات الكفيلة بالدفاع عنه.

المادة 20

لا يجوز القبض علي إنسان أو تقييد حريته أو نفيه أو عقابه بغير موجب شرعي، ولا يجوز تعريضه للتعذيب البدني أو النفسي أو لأي من أنواع المعاملات المذلة أو القاسية أو المنافية للكرامة الإنسانية، كما لا يجوز إخضاع أي فرد للتجارب الطبية أو العلمية إلا برضاه وبشرط عدم تعرض صحته وحياته للخطر، كما لا يجوز سن القوانين الاستثنائية التي تحول ذلك للسلطات التنفيذية.

المادة 21

أخذ الإنسان رهينة محرم بأي شكل من الأشكال ولأي هدف من الأهداف.

المادة 22

- 1- لكل إنسان الحق في التعبير بحرية عن رأيه، بشكل لا يتعارض مع المبادئ الشرعية.
2- لكل إنسان الحق في الدعوة إلي الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفقاً لضوابط الشريعة الإسلامية.
3- الإعلام ضرورة حيوية للمجتمع، ويحرم استغلاله وسوء استعماله والتعرض للمقدسات وكرامة الأنبياء فيه، وممارسة كل ما من شأنه الإخلال بالقيم أو إصابة المجتمع بالتفكك أو الانحلال أو الضرر أو زعزعة الاعتقاد.
4- لا يجوز إثارة الكراهية القومية والمذهبية، وكل ما يؤدي إلي التحريض علي التمييز العنصري بكافة أشكاله.

المادة 23

- 1- الولاية أمانة يحرم الاستبداد فيها وسوء استغلالها تحريماً مؤكداً، ضماناً للحقوق الأساسية للإنسان.

2- لكل إنسان حق الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده بصورة مباشرة أو غير مباشرة، كما أن له الحق في تقلد الوظائف العامة وفقاً لأحكام الشريعة.

المادة 24

كل الحقوق والحريات المقررة في هذا الإعلان مقيدة بأحكام الشريعة الإسلامية.

المادة 25

الشريعة الإسلامية هي المرجع الوحيد لتفسير أو توضيح أي مادة من مواد هذه الوثيقة.

9- الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب 1963م:

لقد أعطى هذا الميثاق بعد الاستقلال الأولوية في حل مشاكل الأمن والتنمية على حقوق الإنسان وحرياته، غير أن ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية الذي تم توقيعه في العاصمة الإثيوبية (أديس أبابا) عام 1963م، يؤكد عدم التزام الدول الإفريقية بالمبادئ التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948م.

وتجدر الإشارة إلى أن تاريخ إبرام الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان يرجع إلى الأربعينات من القرن الماضي؛ حيث صدر العديد من المبادرات الخاصة والشعبية لإبرام مثل هذه المعاهدة. واعتباراً من النصف الثاني من الستينات انتقلت المبادرات إلى بعض الدول الإفريقية، وأثار بعضها مطالب متعلقة بهذا الشأن من خلال لجان الأمم المتحدة.

وقد أوصى مؤتمر رؤساء حكومات منظمة الوحدة الإفريقية بمنروfia، بإعداد ميثاق إفريقي لحقوق الإنسان والشعوب ينص بصورة خاصة على هياكل تطوير حقوق الإنسان.

وفي عام 1986 دخل الميثاق حيز التنفيذ باستكمال النصاب القانوني لتصديقات

الدول اللازمة لسريانه، وقد بلغ عدد الدول المصادقة على الميثاق في عام 1991م (41) دولة من بين (51) دولة أعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية من بينها (7) أقطار عربية.

ولما كانت الدول الإفريقية ضحية الاستعمار والتمييز العنصري، فقد كان من الطبيعي أن تبين مقدمة الميثاق الحرص على التحرير الكامل لإفريقيا، وعلى الالتزام بالقضاء على الاستعمار، والاستعمار الجديد، والفصل العنصري والصهيونية، ويتكون الميثاق الإفريقي من مقدمة و 68 مادة مقسمة إلى ثلاثة أجزاء، الجزء الأول: يتضمن الحقوق والواجبات، ويتضمن الجزء الثاني: تدابير الحماية وتكوين اللجنة الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب واختصاصاتها وإجراءاتها والمبادئ التي يمكن تطبيقها، وتناول الجزء الثالث: الأحكام المتعلقة بالميثاق، مثل التصديق والتسجيل واللغات. السعيد؛ وآخرون (2009)

تطبيق حقوق الإنسان على المستوى العالمي :

يعد الالتزام الوطني المساهم الوحيد الأكثر أهمية في نظام قوى؛ فهو مصدر ما يطلق عليه (الإرادة السياسية) التي تسند أغلب النظم القوية، وإذا كانت الدولة لها سجل جيد في مجال حقوق الإنسان، فلن يقتصر الأمر على أن يظهر النظام القوى غير مهدد نسبياً، وإنما سيصبح الدعم الإضافي الذي يقدمه للجهود الوطنية مقبولاً ومرحباً به، وتقدم قوة النظام الأوربي غير المسبوقة، المثال المدهش لقوة الالتزام الوطني.

إن أهمية المجتمع الثقافي تشير إليها حقيقة أن نظم الإنقاذ إقليمية فقط، وفي ظل غياب الإجماع الاجتماعي والثقافي والأيدولوجي، فمن المرجح أن تظهر الإجراءات القوية وكأنها عرضة للاستخدام وسوء الاستخدام الحزبي لقبولها، حتى بواسطة الدول ذات السجلات الجيدة والالتزام الوطني القوى.

إن فكرة مهيمنة مثل حقوق الإنسان، قد تجتذب إلى ذاتها قوة؛ فالقوة قد

تندمج فيما حولها، بدلاً عن خلق أفكار مهيمنة، مثل حقوق الإنسان والنظم المنبثقة منها. على سبيل المثال، لقد لعبت الجاذبية الأيديولوجية الطاغية لفكرة حقوق العمال دوراً حاسماً في نجاح منظمة العمل الدولية. أما في أوروبا، فلم تأت القوة المهيمنة من قبل دولة واحدة سائدة، وإنما من ائتلاف بنى حول السيادة الأيديولوجية لفكرة حقوق الإنسان.

إن الهيمنة الأيديولوجية لحقوق الإنسان ضرورية لتفسير نسوء النظام الأفريقي لحقوق الإنسان، في وجه الاحترام الزائد للسيادة من قبل منظمة الوحدة الأفريقية. ولا يمكن فهم نشوء النظام العالمي لحقوق الإنسان، دون أخذ هذا الدافع الذي نوقش من قبل تحت مصطلح الاعتماد الأخلاقي الواعي المتبادل في الاعتبار.

ولكن القوة المهيمنة تتطلب في النهاية قوة مادية، وحتى الأفكار المهيمنة لديها قدرة محدودة لجذب مثل هذه القوة، ويمكن للأفكار المهيمنة أن تجتذب قبولاً لنظم ضعيفة نسبياً. ولكن بالنسبة لمسافة أبعد من الأنشطة التعزيزية، فإن المطلوب أكثر من ذلك؛ أي بمجرد طلب توضيحات ضخمة بالسيادة.

ومن الممكن أن نتوقع استمرار التطوير في وجهة إجراءات تعزيزية قوية، ولكننا نتوقع مقاومة الدول وعادة بنجاح لأي جهود ونمو إضافي؛ للعبور إلى أنشطة الإنفاذ والتطبيق.

إن القضية الأخلاقية التي يستند إليها التدخل الإنساني قوية جداً؛ لأن الانتهاكات الفظيعة لحقوق الإنسان في الخارج تبدو سبباً أخلاقياً كافياً من الصعب تجاهله، حتى أن (ميشيل والزيير Michael Walzer) الذي قدم أقوى حجة أخلاقية ضد التدخل على أسس تعددية، يسمح بالتدخل كرد لانتهاكات حقوق الإنسان التي تهز الضمير الأخلاقي لأغلب الناس، ويجد نقاد النظرية القانونية للتدخل الإنساني أن ذلك مبدأ أخلاقي سليم.

ورغم ذلك.. فإن الاعتبارات العملية والسياسية تشير إلى أنه لا ينبغي إقرار

التدخل الإنساني كقاعدة عامة، كما يشير الدليل الدامغ للتجربة الحزينة؛ أن نظرية التدخل الإنساني - مهما كان مبررها الأخلاقي - في الواقع عذر إضافي للتدخلات ذات المصلحة الذاتية من قبل الأقوياء ضد الضعفاء، كما أن التدخل الإنساني يصبح فعلاً سياسياً فاسداً بسبب التمييز؛ لأن التدخل من طرف واحد - سواء لأسباب إنسانية أو غيره؛ هو أداة سياسية متاحة أساساً للأقوياء أو ذوى الصلات القوية.

وعادة ما تقابل الإبادة الجماعية بانعدام الفعل الدولي، لأسباب تتدرج من المصالح الاقتصادية والأمنية إلى انعدام الرغبة في الفعل، ويمكننا أن نشير إلى حالات عديدة لم يتم فيها حتى محاولة التدخل الإنساني في أي من هذه الحالات. والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الذي يدفع الدول على اتخاذ خطوات لمواجهة التدخل الإنساني؟

يبدو أن الشروط الضرورية للفعل في أن تكون تكاليفه ضئيلة، وأن تنعدم اهتمامات الحرب الباردة، وأن يتحقق مستوى عالٍ من الاهتمام الشعبي بالحدث. وما لم تدرك أحداث القتل الواسع في الخارج من قبل المواطنين، وينعدم تغليب المصالح الأمنية والسياسية والاقتصادية والإيديولوجية، فإن فرض التدخل الإنساني لن تفهم أبداً. بل إن هذا التدخل لا يحدث بالتأكيد، إلا إذا كانت هناك مصالح وطنية إنسانية وواضحة تهدف الدولة إلى تعميقها، وذلك يؤكد تدخل الهند في بنجلاديش، وفرنسا في إمبراطورية أفريقيا الوسطى لخلع الإمبراطور (بوكاسا).

وعملياً.. يقتصر التدخل الإنساني في خطوات تتخذ ضد الضعفاء والأقطار الطرفية نسبياً. ومن المقبول القول بأن ذلك أفضل من لا شيء، وهو البديل الوحيد العملي؛ فقد استفاد عدد ضخم من الناس من هذه الدوافع المختلفة للتدخل. ورغم ذلك، فإن التمييز المنتظم الكامن ضمناً في أي نظام تدخل إنساني عملي، يقلل من جاذبيته إلى حد كبير.

والحقيقة.. إن أكثر المشاكل السياسية خطورة للتدخل الإنساني تنبع من كون أن عديداً من التدخلات الإنسانية المزعومة، ليس له أساس إنساني بالمرّة، وهذا أن يصدق بالنسبة للخطوات التي تتخذها القوى العظمى خصوصاً، وهى الأقطار الأكثر قدرة واحتمالاً في أن تدرس إمكانية التدخل في معظم الحالات الممكنة.

فالأهداف النبيلة للذين يوصون بقبول مبدأ التدخل الإنساني - على أسس أخلاقية - سوف تهدمها العيوب الأخلاقية التي يحاولون إصلاحها. ومن المؤكد، أن يواجه تقنين التدخل الإنساني نفس مصير المحاولات الأخرى لتقنين الأخلاقيات، على أحسن الأحوال سيتم تعيينه، وعلى أسوأها سيساء استخدامه؛ إذ يمكن للقانون - سواء محلياً أو دولياً - أن يلزم مجتمعاً ما بمعايير يتقبلها ويحترمها عموماً، ولكن الأفراد يجدون صعوبة في الالتزام بها مؤقتاً. كما أنها تساعد في حماية المجتمع من الخارجين على القانون، وتوفير بعض الضمانات للأفراد الملتزمين بالأداء سيء استخدام التزامهم لأغراض غير عادلة.

وعلى الرغم من ذلك، فإن القانون لا يستطيع جعل أغلبية الناس أو الدول أحسن مما تود أن تكون؛ لأنه يتناول موضوعاته كما في؛ أي بمعنى الأفضل الذي يطمحون إليه، ويكونون مستعدين للعمل من أجل تحقيقه، وكذلك يقوم القانون بوظيفة وعظيمة، ولكن فعاليتها تعتمد على أن تكون متقدمة على موضوعاتها بعدد من الخطوات. إن تحريم التدخل الإنساني يبدأ من الواقع السياسي الأساسي، ويصر على البقاء مرتبطاً به.

وثمة تكاليف لرفض التقدم أكثر ما ينبغي، إلى ما بعد حدود الإجماع الدولي الحالي، وهى تتمركز - في حالة التدخل الإنساني - في التضحية بالعدالة من أجل السلطة، ولكن..

هل تقنين التدخل الإنساني من طرف واحد سيعزز العدالة؟ إن الإجابة بالتأكيد لا. وبالعكس من ذلك، سيتم تعزيز المصلحة الذاتية أكثر، وسوف يساء استخدام اسم العدالة بفظاظة.

إن الحقيقة السياسية المركزية عن التدخلات الإنسانية المزعومة تكمن في واقعها غير الإنساني أو المعادى للإنسانية، وربما تمثل هذه التدخلات أكبر المخاطر لنشاط السياسة الخارجية (المزعوم) المتخذ باسم حقوق الإنسان.

إن حقوق الإنسان قضية وطنية عميقة وليست دولية، وذلك في ظل نظام دولي، حيث تكون الحكومات فيه وطنية وليست عالمية؛ مما يجعل حقوق الإنسان بالضرورة قضية وطنية بالأساس، فالدول في المنتهك الرئيسي لحقوق الإنسان، وهى كذلك الفاعل الرئيسي الذي تحكمه المعايير الدولية. لذلك فإن التأثير المحتمل للفعل الدولي محدود، كما تقل احتمالات الأعمال والإنفاذ الدولي؛ لأن الفعل الدولي من أجل حقوق الإنسان يستند إلى اعتماد أخلاقي متبادل واع، ويعد الحافز الوحيد للتدخل الدولي - بعد الإقناع الأخلاقي - هو التجارة أو المعونات، وهذا يجعل الانتقام عالي التكلفة نسبياً، كما أنه من المحتمل النظر إلى شرعية وسائل التدخل على أنها مشكوك فيها؛ لعدم ارتباطها بالانتهاكات بوضوح ومباشرة.

وفى أحسن الظروف، يشكل احترام حقوق الإنسان قضية غير مريحة بالنسبة للحكومات، وكلما كانت دوافع الموجودين في السلطة أقل نقاءً، كلما كانت حقوق الإنسان أكثر إثارة للضجر، فمن الذي يمنع الحكومة من الاستسلام لإغراءات وعجرفة الموقع والسلطة؟ من الذي يجبر الحكومة على احترام حقوق الإنسان؟ لذلك فالمتحدى الوحيد هو الشعب نفسه الذي تنتهك حقوقه، فحكومة تحترم حقوق الإنسان، في الغالب نتاج نضالات سياسية ووطنية متواصلة ضد انتهاكات حقوق الإنسان.

لقد أنشئت أغلب الحكومات التي تحترم حقوق الإنسان من القاعدة للقامة وليس العكس. كما لا يحتمل أن تؤدي الأبوية - سواء وطنية أو دولية - إلى احترام حقوق الإنسان.

خلاصة القول.. إن النضالات من أجل حقوق الإنسان، في سلسلة من النضالات الوطنية، ويمكن للفعل الدولي أن يدعم هذه النضالات أو أن يجبطها، بل قد يمنعها في بعض الأوقات. وهكذا فالفعل الدولي عامل مهم في مصير حقوق الإنسان، ولكنه ليس أكثر العوامل أهمية. فهو صورة من صور التفاعل بين عالمية حقوق الإنسان وخصوصيتها، فالأخلاقية العالمية لحقوق الإنسان والتي قننت مجموعة من المعايير الدولية الآمرة، يجب أن تتحقق من خلال خصوصية الفعل الوطني. (دونللي، 1998)

الفصل الثالث

الإسلام دين ودولة

الفصل الثالث

الإسلام دين ودولة

لقد وجدنا أنه من الضروري قبل البدء في مناقشة موضوع كتابنا أثر صيانة حقوق الإنسان النفسية على إدارة الموارد البشرية، أن نتحدث عن قضية لا تقل في خطورتها عن خطورة ضياع الأخلاق على المجتمعات الإنسانية، ألا وهي قضية فصل الدين عن أمور الحياة المتعددة، والبعد عن تطبيق الشريعة الإسلامية بالذات على مجالات الحياة المختلفة، والرد على الرأي القائل بأن الإسلام هو دين فقط.

والحقيقة أننا لا نبالغ إذا قلنا أن السبب الرئيسي وراء مشاكل العالم الإسلامي، بل ومشاكل العالم أجمع، إنما يرجع إلى إهمالنا لتطبيق الشريعة الإسلامية، وما صنعناه من حالة فصل بين الدين والحياة. ذلك الدين العالمي الذي بعث به الرسول ﷺ للناس كافة، والهدف تحقيق السعادة للإنسان في كل مكان، وكل زمان، وذلك بإشباع حاجات الإنسان المادية منها، والنفسية.. فقد تخطت الشريعة الإسلامية الحقوق المادية للإنسان، إلى العناية بحقوقه النفسية التي عنى بها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

إن رسالة الإسلام لم تكن موضعية محددة، يختص بها جيل من الناس دون

جيل، أو قبيل دون قبيل، بل كانت رسالة عامة للجميع. قال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان: 1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٨ ﴾ [سبأ: 28].

وما يبين عالمية رسالة الإسلام، ما اتصفت به الرسالة من صفات تؤكد عالميتها، ومنها:

1- أنه ليس فيها ما يصعب على الناس اعتقاده، أو يشق عليهم العمل به، قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: 286].

وفي البخاري من حديث أبي سعيد المقبري أن رسول الله ﷺ قال: "إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه".

2- أن ما لا يختلف باختلاف الزمان والمكان، كالعقائد والعبادات جاء مفصلاً تفصيلاً كاملاً، موضحاً بالنصوص المحيطة، فليس لأحد أن يزيد أو ينقص منه، وما يختلف باختلاف الزمان والمكان، كالمصالح المدنية، والأمور السياسية والحربية، جاء مجملًا، ليتفق مع الناس في جميع العصور، ويهتدي به أولوا الأمر في إقامة الحق والعدل.

3- أن كل ما فيها من تعاليم إنما يقصد به حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، وبديهي أن هذا يناسب الفطر ويساير العقول، ويجارى التطور، ويصلح لكل زمان ومكان. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِّصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣٢ ﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِنَافِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣ ﴾ [الأعراف: 32-33]

وقال جل شأنه: ﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: 156-157].

ومن هذه الصفات تتضح لنا الكثير من أهداف رسالة الإسلام، نذكر منها:

- 1- تزكية النفس وتطهيرها عن طريق المعرفة بالله وعبادته.
- 2- تدعيم الروابط الإنسانية، وإقامتها على أساس من الحب والرحمة والإخاء والمساواة والعدل. (سابق، د.ت: ص ص 9، 10)
- 3- ومن الهدف السابق تتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة: 2].

وحسبنا دليل على أهمية تطبيق الشريعة على الأمور الدنيوية، أن التشريع الديني المحض - كأحكام العبادات - لا يصدر إلا عن وحي الله لنبيه ﷺ، من كتاب أو سنة، أو بما يقره عليه من اجتهاد وكانت مهمة الرسول في هذا الشأن لا تتجاوز دائرة التبليغ والتبيين: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ [النجم: 3-4].

أما التشريع الذي يتصل بالأمور الدنيوية من قضائية، وسياسية، وحرية، فقد أمر الرسول ﷺ بالمشاورة فيها، وكان يرى الرأي فيرجع عنه لرأى أصحابه، كما وقع في غزوة بدر وأحد، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إليه ﷺ، يسألونه عما لم يعلموه، ويستفسرونه فيما خفي عليهم من معاني النصوص، ويعرضون عليه ما فهموه منها، فكان أحياناً يقرهم على فهمهم، وأحياناً يبين لهم موضع الخطأ فيما ذهبوا إليه. سابق (د.ت: ص 11)

بالمدينة إلا أنها كانت دولة مستوفية جميع أركانها ولقد وضع الرسول الخطوط العريضة لدولة إسلامية من نظام للضرائب، ونظام قانوني وأنظمة إدارية وعسكرية ... الخ، وكانت تنطوي هذه الأنظمة على نواة أو جذور تطورها وملاءمتها مع ظروف البيئة المتغيرة، وكان ما يصدره الرسول من تعليمات وأوامر وأحكام تنطوي على جزاءات دنيوية عاجلة، لا مجرد تهديدات بجزاءات في الآخرة، كما كان لديه أعوان إداريون.

إن الكثيرين من الباحثين الغربيين ومن المستشرقين الذين بحثوا هذا الموضوع قد انتهت بهم بحوثهم إلى أن الإسلام دين ودولة، وأن الرسول ﷺ لم يكن رسولا فحسب، وإنما كان كذلك حاكماً ورئياً للدولة حيث يقول: "أن الرسول كان رئيساً للدولة ورئياً دينياً، فقد كان هو الذي يهيمن على السلطة السياسية، كما يقوم بمهام السلطة التشريعية وبمهمة القضاء..... الخ. (متولي، د.ت: ص ص 56-58)

ونرى أن السبب الرئيسي وراء هذه الحالة من التغير، هو التقليد الأعمى للغرب، والنقل عنهم دون تنفيذ ودراسة نخرج منها بما يتناسب معنا من حيث شريعتنا، وقيم مجتماعتنا الإسلامية، بل ذهب الأمر إلى أن البعض منا بدأ الأخذ عن الغرب أمور جاءت في سنة الرسول ﷺ، مثل ما جاء عن الحبة السوداء، وهي حبة البركة، فعندما اكتشف الأمريكيان قيمة وفائدة حبة البركة التي أوصانا بها النبي ﷺ صنعوها في شكل حبوب وجعلوا اسمها " حبة البركة " وروجوها في الأسواق فأصبح لها قيمة واستخدمها الناس وصدقوا منافعها، وفي ألمانيا عرفوا الحجامة وقيمتها وأثرها فاستخدموها بل وقاموا بتدريسها في كليات الطب البديل باعتبارها إحدى أقوى وسائل تنشيط جهاز المناعة لمقاومة جميع الأمراض دون أن يذكروا مصدرها أو يروا الأحاديث النبوية العديدة التي تمتدحها كأفضل وسيلة للتداوي من الأمراض. (حشيش، 2009: ص 19)

لقد احترمنا ما أمرنا به الرسول الكريم وهو في الأساس علم ألهى نبأ به النبي ﷺ، مجرد أن علمنا أن الغرب أهتم به وأجله، نفس الأمر يحدث في ما تشهده

المجتمعات الإسلامية من إضراب منقول أساساً عن الغرب، ولكن كالعادة هو نقل فوضوي غير منظم، ويرجع ذلك إلى سببين:

- الأول: أننا نسينا أن علينا واجبات مثل ما نطالب به من حقوق.
- الثاني: أن معظم الحكومات شعرت أنها ولية أمرنا أو "كبير الأسرة"، وبالتالي فعلينا أن ننصاع لها صاغرين فهي تفهم أفضل منا!.

فالناس شعرت أن الدولة تحترم الطرف صاحب الصوت العالى الذي يطلق عليك الكلمات ويحاصرك فقرروا جميعاً أن يكونوا المعتمدين والمحتجين على سلام النقابات، أو في ساحات المصانع، أو أمام المساجد، أو حتى أمام المجالس النيابية.

ونحن في الدول العربية والإسلامية نعيش حالة غريبة من التناقض، نقول أننا نريد أن نصبح مثل الدول المتقدمة في الإضرابات للمطالبة برفع الأجور.. لكننا لا نتطرق قط إلى عدد الساعات التي يعملونها.. متوسط الإنتاج في العالم المتقدم 7 ساعات يومياً وعندنا 40 دقيقة على الأكثر، ولأننا نتعلق بالظواهر وننسى الجوهر، تعلقنا بأحوالهم المادية ورفضنا أن يكون علينا نفس الالتزامات التي عليهم.. حجتنا أننا لا نأخذ أجراً يماثل ما يتقاضونه مع أننا نقف خلفهم بمسافات طويلة في مهارات العمل والإنتاج والتحصيل وغيرها. (إبراهيم، 2009: ص1)

وقد وصلت فوضى الإضرابات إلى مهن حيوية حيث أضرب الصيادلة في مصر عن العمل وأغلقوا صيدلياتهم (جريدة الأهرام، 2009: ص1)، ويعد ذلك كارثة بكل المقاييس، فهي مهنة تتعلق بحياة الناس وصحتهم، ولها نظام يختلف عن أي مهنة أخرى، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تمتنع عن نجدة الناس لمجرد الاعتراض على قرار حكومي، حتى ولو كان قرار غير مدروس، وهو في ذلك يساير ما تعيشه الأمة الإسلامية من فوضى في كل شيء له علاقة بالتنظيم وتنمية المجتمع، والتي وصلت في النهاية إلى فوضى الفتاوى الدينية.

الفصل الرابع

علم النفس: مفاهيم وتعريفات

الفصل الرابع

علم النفس : مفاهيم وتعريفات

مما لا شك فيه أن تعريف أي علم من العلوم، وبخاصة إذا كان من العلوم الإنسانية شأن علم النفس، يعتبر شائكاً إلى حدٍ بعيدٍ بحيث يكاد يستحيل على القائم به أن ينجح في وضع التعريف المثالي، والذي يحقق به الخاصية الشهيرة للتعريف الدقيق من حيث كونه جامعاً مانعاً. ذلك أن الحدود الفاصلة بين علم وغيره في كثير من الحالات تكون حدوداً هلامية يكتنفها الكثير من الغموض، ويشوبها الكثير من الخلط، حتى أنه نشأت بعض العلوم الحديثة نسبياً تقع بين علم وآخر آخذة من هذا ومتداخلة مع ذلك.

فهناك على سبيل المثال: علم النفس الاجتماعي الذي يأخذ من علم النفس ويتداخل مع علم الاجتماع، وعلم النفس الفسيولوجي الذي يأخذ من الفسيولوجيا^(*) ويتداخل مع علم النفس، وغير ذلك الكثير.

(*) الفسيولوجيا: أحد فروع علم البيولوجي، ويهتم بدراسة ظاهرة الحياة في الكائنات الحية بصورة عامة، أي دراسة الوظائف الحيوية لها، ويقسم إلى فسيولوجيا الحيوان، وفسيولوجيا الحيوان لكن المبادئ واحدة في القسمين.

إذن ما هو علم النفس؟

علم النفس هو العلم الذي يدرس السلوك الإنساني بأوسع معني لمصطلح السلوك، بحيث يشمل نشاط الإنسان في تفاعله مع بيئته تعديلاً لها حتى تصبح أكثر ملاءمة له، أو تكيفه ذاتياً معها حتى يحقق لنفسه أكبر قدر من التوافق.

والسلوك بهذا المعني الشامل الواسع يتضمن ما هو ظاهر يمكن للآخر إدراكه كتناول الطعام، والشراب، والمشي. كما يتضمن ما هو غير مدرك إلا من صاحبه مثل التفكير الصامت والتخيل والتذكر والأوهام والمخاوف والآمال، وما إلى ذلك من انفعالات قد لا يستطيع أن يدركها حتى القائم بها، ذلك مثل ما يعتمل داخل النفس من دوافع ورغبات وآمال ومخاوف لا يشعر بها صاحبها، حتى وإن شعر بها فهو لا يعرف كنهها الحقيقي لأنها لا شعورية في أساسها مثل سلوك النائم في تخیلات أحلامه وما يراه فيها، بل وحركته الفعلية أثناءها كالكلام بصوت مسموع، أو المشي أثناء النوم، ومثل أيضاً أعراض الأمراض النفسية ومظاهرها عموماً.

كما يتضمن السلوك بالمثل ما تقوم به أجهزته الجسمية من نشاطات قد نستطيع الإحساس بها كالتنفس وطرفة العين، وقد لا نستطيع أن نحسها حتى لو قصدنا إلى ذلك مثل إفرازات المعدة وإفرازات السكر في الدم..

ومن الجدير بالذكر أن علم النفس كثيراً ما يلجأ إلى دراسة سلوك الحيوان مما يبدو مناقضاً لتعريفنا الذي عرضناه، حيث دراستنا لسلوك الإنسان، لكننا ينبغي أن نذكر أن علم النفس عندما يدرس سلوك الحيوان. على الأقل حتى يومنا هذا - إنما يكون هادفاً أساساً منه إلى إلقاء مزيد من الضوء وتحقيق مزيد من المعرفة بسلوك الإنسان؟ ذلك أن العالم النفسي كثيراً ما يري ضرورة إجراء تجارب لفهم سلوك الإنسان وتفسيره، لكنه يعجز عن ذلك أو تعترضه عقبات تحول دون غرضه فيستبدل التجريب على الحيوان بالتدريب على الإنسان. (طه، 1979: ص ص 11-13)

ويمثل ذلك نقطة اختلاف لا مجال للمقارنة بين مصدر العلم في القرآن الكريم،

وبين مصدره في علم النفس، فالأول من عند الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان والعالم بطبيعته، فهو علم إلهي لا يحتاج إلى تجريب للوصول إلى حقائق، أما علم النفس لأنه علم دنيوي يكتشفه البشر يقوم على التجربة والرؤية والاستنباط والخروج بنتائج قد تكون صحيحة وقد تكون خاطئة.

أما صفات الإنسان في القرآن الكريم هي صفات لا تحمل الخطأ. والجدير بالذكر هنا أن الاختلاف لا يعني عدم توافق علم النفس مع ما جاء به القرآن الكريم من تفسيرات، فالعلم الدنيوي الموجود أصلاً في كتاب الله عز وجل يحتاج إلى الاكتشاف عن طريق البحث، والمشاهدة، والتحليل، وإجراء التجارب حتى نصل في النهاية إلى دليل يضاف إلى كم الأدلة الكونية التي تثبت أن القرآن حق، وأنه أنزل من عند الله، وليس كما يدعي أعداءه.

ونضرب لذلك مثلاً بتجربة (تريون Tryon) التي قام فيها بدراسة توارث القدرة على تعلم اجتياز المتاهة في ثمانية عشر جيلاً من الفئران البيض فكان يعرض الفئران لاختبار يقيس به هذه القدرة لدى كل منها.

ثم يزوج بين أفضل أبناء جيل الآباء الممتازين في قدرتهم على تعلم اجتياز المتاهة تزواجا انتقائياً في كل جيل من هذه الأجيال الثمانية عشرة، وفي مقابل هؤلاء كان يزوج بين أقل أبناء جيل الضعفاء في قدرتهم على تعلم اجتياز المتاهة تزواجا انتقائياً بالمثل في تلك الأجيال، وهكذا كانت ذكور الفئران الممتازة في القدرة على تعلم اجتياز المتاهة تتزوج مع إناث الفئران الممتازة، كما كانت ذكور الفئران الضعيفة في هذه القدرة تتزوج مع إناث الفئران الضعيفة. وقد كان "تريون" يضبط تلك الظروف البيئية التي كانت تعيش فيها كل من مجموعتي الممتازين والضعاف مثل مكان الإقامة والتغذية والتهوية والحرارة والرطوبة - بحيث يحقق للمجموعتين تعادل البيئة - وقد تبين لـ"تريون" من تجربته هذه أن القدرة على تعلم اجتياز المتاهة تتأثر بعامل الوراثة بشكل واضح، وليست هذه القدرة يمكن أن تقابل ما يعرف بالذكاء عند الإنسان. طه (1979: ص ص 14، 15)

والسلوك الإنساني كما هو ملاحظ ظاهرة معقدة لها دوافع متعددة. شعورية، ولا شعورية، وشبه شعورية. كما تتدخل فيها عوامل نفسية، ومادية، وعقلية، وجسمية، واجتماعية. ولكي نبرهن على ما نقول فإن نظرة إلى طالب يؤدي الامتحان في مادة الرياضة على سبيل المثال، نجد أن هناك عوامل كثيرة تؤثر في مستوي تحصيله، ومنها:

- مستوي طموحه.
- دوافعه ورغباته في النجاح.
- مستوي ذكائه.
- حبه أو ميله أو عدم ميله لهذه المادة العلمية.
- الحالة النفسية والمزاجية للطالب أثناء أدائه الامتحان.
- البيئة المادية حوله: الضوضاء، الإضاءة، الرطوبة، الحرارة، التهوية.
- نضج الطالب الانفعالي والجسمي.
- البيئة الاجتماعية حول الطالب: علاقاته مع زملائه الذين يؤدون الامتحان معه، والملاحظين عليه.

مما سبق يتضح لنا أن علم النفس يستند إلى الملاحظة العلمية، والتجريب مستخدماً في ذلك أساليب القياس الكمي^(*) الدقيقة، كالاختبارات النفسية الموضوعية المقننة والسيكوفيزيائية والإحصاء، وهذا يرجع تاريخه إلى عام 1879، ذلك الذي أسس فيه العالم الفسيولوجي "وليام فونت" William Wundt " أول معمل لعلم النفس التجريبي "Experimental Psychology" بجامعة ليسبنج بألمانيا، والذي كان مزوداً بأجهزة خاصة وأدوات يمكن بها إجراء تجارب على كيفية التعلم والتذكر والانتباه والتفكير، وعلى الحواس من إبصار وسمع ولمس كذلك قياس سرعة

(*) القياس الكمي: يتضمن جمع معلومات رقمية، مثل الإحصاءات حول موضوع معين، وعلى الرغم من أهمية القياس الكمي إلا أنه لا يكفي فهو يقدم منظورا ذا بعد واحد.

التنفس والنبض وذلك أثناء الانفعال وغيره. وكان هذا أمراً يصعب تصديقه في ذلك الوقت. إذ كان المعتقد وقتها أن الشعور والعقل (النفس) أمور لا يمكن إخضاعها للقياس.

أما علم النفس الذي يجول بخاطر العامة فقد بدأ مع التفكير البدائي، وكان الخيال هو المنبع الذي يعتمد عليه. وعلم النفس هذا عاش منذ ذلك التاريخ البعيد، وما زال يعيش بيننا يحاول به الفرد العادي أن يفهم نفسه وغيره. فالإنسان البدائي حاول تفسير سلوكه فلم يجد أمامه إلا أن يفترض أن هناك كائناً آخر خفياً داخله.

وأساطير (هوميروس) الإغريقية تحدثنا عن "نفس" داخل الظواهر الطبيعية تحركها، وتتحكم فيها. على أن علم النفس ظل فترة طويلة فرعاً من الفلسفة كغيره من العلوم الأخرى.

حتى أن المدارس الإغريقية الفلسفية اهتمت بالنفس واعتبرتها مصدر الحركة والحياة والعمليات العقلية، وإن كان هناك خلط كبير بين الروح والنفس والعقل إلا أنهم كانوا يرددون أن الروح مادة كالهواء لكنها بلغت حداً كبيراً من الرقة والشفوف (الشفافية). (عوض، 1980: ص ص 1-3)

وهذا ما أبطله القرآن الكريم والذي تحدث فيه المولي عز وجل عن الروح ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85] فالروح هي من الأسرار الإلهية التي لم ولن يطلع على علمها بشر، والوصول إلى تعريف لها سواء في الماضي أو الحاضر نتيجة اجتهادات بشرية لا يعني صحتها، فكم من النظريات أثبت خطأها فيما بعد - فعلي سبيل المثال تحليل القدماء لنظرية الرؤية، فقد توصلوا بتفكيرهم المحدود أن العين تُصدر ضوءاً على الأشياء فتوضحها للرؤية، وقد اثبت العلم الحديث أن سقوط الضوء على الأشياء هو الذي يعكس صورتها فتراها العين. انطلاقاً من أن الإنسان لا يري في الظلام، مما يجعل من النظرية الأولى مجرد ترهات لا قيمة لها، بعد أن وجدت من يؤمن بها، ويصدقها في حينها.

وجدير بالذكر أنه في أواخر القرن التاسع عشر، عندما أقر علم النفس أول مرة بأنه فرع مستقل من فروع المعرفة، اهتم الباحثون النفسانيون اهتماماً كلياً تقريباً بعلم النفس البحت، ولاسيما سيكولوجية المعرفة، وقد طرأ اليوم تحول في التأكيد والتعميق. إذ احتل علم النفس التطبيقي مكانة عظيمة، فحدث هناك تطور ملحوظ في فروع أخرى إلى جانب المعرفة، وخاصة في القياسات العقلية وفي علم النفس الاجتماعي وسيكولوجية الدوافع. وسائر هذا التحول في التأكيد تطور سريع في الأساليب. (نايت؛ نايت، 1965: ص 9)

أهمية علم النفس:

لقد عاش العالم في تسابق بين الدول الكبرى الرأسمالية منها والشيوعية - لغزو العالم نفسياً فيما يسمي بالحرب النفسية. وقد ظهرت أهمية هذا السلاح في الحرب العالمية الأولى، إذ استغله الحلفاء إلى أقصى حد ضد ألمانيا مما أدى إلى اعتقاد "هتلر" وحزبه النازي أن ألمانيا لم تهزم عسكرياً، بل هُزمت اقتصادياً وبالحرب النفسية. فقام بتنظيم أجهزة الدعاية لديه، ووضعها تحت إشراف "جوبلز" الذي أصبح فيما بعد من كبار المشرعين في هذا الميدان، فلما جاءت الحرب العالمية الثانية أولت الدول المحاربة هذا السلاح عنايتها. وخاض علماء النفس الحرب بسلاحهم جنباً إلى جنب مع القوات المحاربة وانتهت الحرب العسكرية، واستمرت الحرب النفسية، والتي تسمي بأسماء عدة منها: الحرب الباردة، أو حرب العقائد، أو حرب اكتساب الرأي العام، أو الدعاية، وإن كان علماء النفس يفضلون تسميتها بالإعلام لأنها دعاية تقوم على أسس علمية نفسية.

ويرون أن الدعاية الناجحة: هي التي تقوم على حقائق وتهدف إلى التعريف والإعلام ويكون عمادها الصدق. وهي بذلك ضرورية في الحرب وفي السلم على السواء. (جلال، 1966: ص ص 21، 22)

وإن كان البعض يرى عكس ذلك، فهناك من ينظر إلى الدعاية على أنها قائمة

على الأكاذيب، وإضفاء الأهمية على أمور ليست بتلك الأهمية المنسوبة إليها، والتقليل من أهمية أمور أخرى تستحق بلورتها في صورة تليق بقيمتها، بعكس الإعلام الذي يعتمد على الحقائق المجردة، والأخبار الصحيحة، والوضوح، والشفافية. ويبدو أن الخلط بين الدعاية، وبين الإعلام، يرجع إلى اتفاق الهدف بينهما، وهو التأثير في الرأي العام، والسير به إلى حيث نريد من أهداف.

وجدير بالذكر أن الحرب النفسية مازالت موجودة حتى الآن تؤدي دورها وبصورة أعم وأشمل من الماضي نتيجة التطور الإعلامي الرهيب، وتحول العالم إلى قرية كونية صغيرة، تلك الحرب التي يشنها الغرب بنجاح خاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي أخذت من حقيقة قوتها العسكرية، وثرواتها مادة يوهمون بها العالم أنهم باستطاعتهم الوصول إلى أي مكان تحت أي ذريعة ومسمي، وأنها فوق الأعراف الدولية والمواثيق والاتفاقيات وفوق الهيئات الدولية أيضاً، كقوة قادرة ومسيطرة على العالم، نفس الحرب استخدمها الكيان الصهيوني ومازال يستخدمها لإرهاب الجوار، أو لاستنزاف الدول بدعوى المساعدات أو بدعوى التعويضات، أيضاً إيهام العالم أنه وسط بحر من الأعداء وأن له الحق في حماية نفسه بكافة الأسلحة وعلى رأسها أسلحة الدمار الشامل، ورغم الرأي القائل بأن الدعاية الناجحة هي التي تقوم على حقائق، إلا أن الكيان الصهيوني استطاع أن يحقق النجاح لحربه النفسية دون وجود حقائق، بل مجرد أمور مزيفة نسجتها خيالات مريضة استطاعت وللأسف أن تسيطر على العالم، وتفعل ما تشاء، ويرجع ذلك إلى استخدامها وسائل الإعلام المؤثرة عالمياً، والتي تسيطر عليها لبث دعايتها المغرضة، وكسب تعاطف الدول، ولا يمكن أن ننكر أن من أسباب نجاح الكيان الصهيوني في دعايته، استعداد الدول المتعاطفة معه للتصديق انطلاقاً من سياستها التي هدفت من البداية إلى زرع هذا الكيان في المنطقة. أيضاً نفس الأمر قامت به كوريا الشمالية في مواجهتها للتهديدات الأمريكية والتي وصلت إلى حد التهديد بالحرب، فقد استطاعت أن تأخذ من حقيقة تسليحها أداة إعلامية رادعة تثبت للعالم من خلالها

خاصة الولايات المتحدة أنها قادرة على صد أي هجوم حتى ولو كان لأقوي دولة في العالم وهناك من الأمثلة الكثير.

كما أن هذه الوسيلة تستغلها بعض الدول في كسب الرأي العام داخل الدول المعادية، وتحوله إلى صفها أو تقلل من حدة عداوته تجاهها على الأقل، وأن تبقي على صداقة الأصدقاء، وأن تكسب المحايدين، أو تبقيهم على حيادهم. وكما توجه الدعاية إلى الخارج فهي توجه إلى الداخل أيضاً - خاصة في الدول ذات الحكم الشمولي - إذ يهتم الحكومات تماسك الجبهة الداخلية - جبهة الشعب - وتكتيل قواه لتحقيق المبادئ التي يؤمن بها ويسعى إلى نشرها.

أيضاً من الأهمية: أن تقدم الأمم يقاس بطاقتها الإنتاجية، وبمدي توفر الخدمات فيها للأفراد، وعدالة توزيع هذه الخدمات، مع استمرار الفائض لديها من الإنتاج ورأس المال، وهذه هي المبادئ التي تنص عليها الاشتراكية العربية، والإنتاج وإن كانت تقوم به الآلة غير أن سيد هذه الآلة هو الإنسان، وهنا يأتي دور علم النفس. فقد كان الاعتقاد السائد قديماً أن المهندس هو المسئول الوحيد عن تصميم الآلة وصنعها، غير أن المهندس وإن كانت له دراية بالآلة غير أن درايته بالإنسان الذي يديرها محدودة، فكان لابد من اشتراك عالم النفس معه في تصميمها حتى يسهل على العامل إدارتها بأقل جهد دون أن يكون هناك أي خطر على حياته، ويسمي دور عالم النفس في هذه الناحية في علم النفس "بالهندسة البشرية".

أيضاً لما كان الأفراد يختلفون فيما بينهم في قدراتهم واستعداداتهم وميولهم فهم بذلك يختلفون فيما يصلحون له من أعمال. فمن تؤهله قدراته واستعداداته وميوله لأن يكون طبيباً، قد لا تؤهله لأن يكون مهندساً أو محامياً أو معلماً. إذ تتطلب كل مهنة وكل حرفة قدرات واستعدادات وميول معينة، ويحتم تنوع المهن واختلافها فيما تتطلبه من قدرات واستعدادات وميول، كذا اختلاف الأفراد في هذه القدرات والاستعدادات والميول، ضرورة التوفيق بين الأفراد والمهن لوضع كل فرد في المكان المناسب له، مما يؤدي إلى تكيف الفرد في مهنته وإقباله عليها

وإنتاجه فيها، ومن ثم التقدم في كافة المجالات، ويقوم علماء النفس بعملية التوفيق بين الأفراد والمهنة فيما هو معروف "بالتوجيه المهني".

وهذا ما يحتاج إليه الوطن العربي في ظل نظام تعليمي يقوم على الحفظ بغية الحصول على أعلى الدرجات للحصول على مقعد داخل كليات القمة والتي تتحدد حسب الحيشية الاجتماعية لخريجيها في مجتمع معين، وفي وقت معين، مما جعلنا في مؤخرة قطار التقدم والذي تفصل بين عربته الأولى وبين الأخيرة مئات السنين من الابتكار والتجديد والتقدم العلمي والتكنولوجي، فلا بالأطباء وحدهم تتقدم الشعوب، ولا بالحرفيين وحدهم تتقدم الدول. بل بدرجة تكيف كل منا مع مهنته، فحب المهنة من أول وأهم أسباب النجاح والابتكار، ولتحقيق ذلك لا بد وأن تتغير السياسة التعليمية إلى تشجيع ميول النشء واهتماماتهم، أيضاً ضرورة تغيير نظرة المجتمع لبعض المهن عن طريق رجال الدين، والإعلام، والأسرة العربية نفسها، انطلاقاً من مبدأ المساواة والذي يقره الإسلام، حيث لا فضل إلا بالتقوى، وأن حكمة المولى عز وجل في الاختلاف بين الناس، وترتيب طبقاتهم ليكون الجميع في خدمة الجميع في حالة رائعة من حالات التكامل الإنساني.

ومما لا شك فيه أن التقدم العلمي يؤدي إلى زيادة المعرفة المتصلة بالمهنة المختلفة، والتي أصبحت ضرورية للنجاح فيها. لذا يتضمن التوجيه المهني عملية التأهيل المهني، وخبراء التأهيل هم علماء النفس.

أيضاً لعلم النفس وظيفته في القوات المسلحة، إذ تتنوع الأعمال في القوات المسلحة مثلما تتنوع في الحياة والمصانع والمؤسسات، وتتطلب وحدات الجيش المختلفة قدرات واستعدادات مختلفة. فما يتطلبه سلاح المشاة يختلف عما يتطلبه سلاح المدفعية، أو سلاح الطيران، أو البحرية، بل وتنوع الأعمال والقيادات في السلاح الواحد، وكما يتم التوفيق بين الأفراد والمهنة والحرف في الحياة العامة وفي المصانع، يتم نفس الشيء في الجيش، إذ يقوم علماء النفس بالتعاون مع الأطباء والخبراء العسكريين بفرز المجندين وتوزيعهم على الوحدات المختلفة تبعاً لما يتطلبه

هذه الوحدات من قدرات واستعدادات، كما يسهمون في تخطيط أحسن الوسائل لتدريب الجنود، وتصميم الآلات الحربية، ومعداتها طبقاً لمبادئ الهندسة البشرية التي سبق أن أشرنا إليها.

كما يسهمون في علاج المشاكل النفسية والاجتماعية للأفراد. كما يقوم علماء النفس بتشخيص الأمراض النفسية والعقلية وعلاجها والوقاية منها. ويجدر بنا أن نفرق هنا بين عالم النفس، وأطباء الأمراض العقلية، والمحللين النفسيين. إذ كثيراً ما يخلط العامة والخاصة بينهم. فطبيب الأمراض العقلية في الأصل طبيب تخصص في الأمراض العقلية. فميدانه هو الطب. أما عالم النفس فوظيفته مساعدة هذا الطبيب في التشخيص بأدواته النفسية الخاصة التي ينفرد وحده ببحث استخدامها كما يقوم بعلاج المشاكل التي يكون الأساس فيها نفسي غير جسماني. أما المحلل النفسي.. إما طبيب أو عالم نفس يقوم بعلاج مرضاه بالتحليل النفسي، والتحليل طريقة خاصة من طرق العلاج.

بالإضافة إلى الجريمة وهي ميدان آخر من ميادين عمل عالم النفس للوقاية منها، وعلاج المجرم وتوجيهه، ولعل ميدان الأحداث المنحرفين من الميادين الهامة التي تستغل فيها خبرة الأخصائي النفسي، كذلك تأهيل ضعاف العقول، وذوي العاهات.

ويمكننا أن نجمل أهمية علم النفس في الآتي:

- 1- الدعاية.
- 2- التوجيه المهني.
- 3- الصناعة.
- 4- التربية.
- 5- القوات المسلحة.
- 6- العلاج النفسي.
- 7- الصحة العقلية.
- 8- الجريمة.
- 9- البحث العلمي في كل الميادين. جلال (1966: ص ص 23، 26)

أهداف علم النفس:

يبقى لنا بعد كل ما سبق أن نتحدث عن أهداف علم النفس، فهو شأنه شأن غيره من العلوم يتفق معها في الأهداف الأساسية للعلم. عندما يتناول ظواهره بالدراسة والبحث، وهذه الأهداف.. هي:

- 1- الفهم والتفسير.
- 2- الضبط والتحكم.
- 3- التنبؤ.

أولاً: الفهم والتفسير

الإنسان منذ بدأ تاريخه حتى الآن يجاهد ليعرف حقيقة ما يحيط به من ظواهر محاولاً فهمها وتفسيرها وعندما لم يكن يسعفه علمه أو منهجه في الوصول إلى الفهم السليم، والتفسير الصائب كان يضطر إلى التفكير الغيبي يفسر به ويعلل حدوث الظواهر معتقداً في سلامته وصدقه. وظواهر الخير ترجع إلى رضاء الآلهة عن البشر، وظواهر الكوارث والمصائب ترجع إلى غضب الآلهة عليهم وانتقامها منهم. واستعادة هذا المريض لصحته يرجع إلى التميمة المباركة من عمل هذا العراف الطيب، وهذا المرض الذي ذهب بعقل هذا المهووس فاضطرب له سلوكه واعتل تفكيره، إنما يرجع إلى شيطان نجس قد تسلل إلى جسمه فسكنه، وليس بخاف أننا لازلنا حتى اليوم نجد بقايا هذا الفهم والتفسير في مختلف المجتمعات خاصة المنغلقة منها. ذلك أن الإنسان لا يطيق الغموض ويفزع من المجهول فيسعى إلى استجلائه، حتى إن بعض علماء النفس يعد حب الاستطلاع والرغبة في المعرفة غريزة في البشر بحكم تكوينهم وطبيعتهم.

وبالمثل فإننا نجد أن هدف الفهم والتفسير والمعرفة من أول الأهداف الأساسية التي يسعى العالم لتحقيقها من بحثه في الظواهر التي تقع في مجال اختصاصه، وعلم

النفس بالمثل أيضاً يريد أن يعرف ويفهم ويفسر ويكتشف أسباب حدوث الظاهرة النفسية كالتفوق الدراسي أو التوافق المهني أو المرض الهستيرى.

ثانياً: الضبط والتحكم

من الأقوال المأثورة أنك إذا عرفت استطعت، بمعنى أن الإنسان إذا نجح في فهم أسباب حدوث الظاهرة، ومعرفة عواملها أستطاع أن يؤثر في مسار الظاهرة نفسها، ويتحكم في حدوثها. فيمكنه أن يهيئ لها أسباب حدوثها فتحدث، كما يمكنه أن يغير في هذا العامل أو ينقص من هذا أو يزيد من ذلك، أو يلغي أو يضيف، فتتأثر تبعاً لذلك الظاهرة وتتحور، بل إنها تصير وفق ما نريد أو تحتفي وقتما نشاء.

ثالثاً: التنبؤ

هو إمكانية توقع حدوث الظاهرة قبل أن تقع. وتنبئ إمكانية تحقيق هذا الهدف - كسابقه أيضاً - على استقامة فهم الظاهرة وسلامة تفسيرها ودقة معرفتها. وهذا التنبؤ يعتبر هدفاً تطبيقياً نفعياً يمثل ما يعتبر الهدف الأساسي الثاني والخاص بالضبط والتحكم.

ذلك أننا نتوقع حدوث الظاهرة متى أدركنا توافر مقوماتها وتهيؤ عواملها مما يمكننا عند ذلك من الاستعداد لملاقاة الظاهرة بما نستطيع معه جني أكبر فوائدها وتحاشي معظم أضرارها، ولذلك فعندما تسبق الرغبة في التنبؤ بالظاهرة فهمها وتفسيرها يصبح من الضروري لتحقيق التنبؤ أن نبدأ بتحقيق الفهم والتفسير لهذه الظاهرة. طه (1979).

الإسلام وعلم النفس:

من الواجب علينا أن نؤكد أن الإسلام يحث على العلم، لقوة الإسلام من جهة: فهو لا يخشى الاكتشافات العلمية الحقيقية لأنه دين الحق، ومن جهة أخرى: تأتي الاكتشافات المثبتة كأدلة عقلية تضاف إلى الكثير والكثير من الأدلة والبراهين التي تؤكد أن الدين الإسلامي حق من عند الله، وأن ما جاء به الرسول ﷺ حق، وحسبنا دليلاً ما أثبتته علم النفس والاجتماع من أن النفس السوية هي نفس قادرة على الحياة، يتسع وعيها بالقدر الذي يسمح بالفرقة بين القبح والجمال، نفس قادرة غير عاجزة عن أداء واجباتها.

فقد حرر الإسلام الفكر، وأطلق العقل في رحاب الكون الواسع ليرى ويتدبر، حراً فيما يؤمن به، ولم يكن المسلمون الأوائل مجرد قنطرة عبرت عليها الحضارات القديمة إلى عصر العلم، بل نقلوا ذلك التراث مشروحاً ومعلقاً عليه بما يجنبه العثرات ويصحح أخطاءه، ثم أضافوا إليه الكثير من الابتكارات في شتى المجالات وعلى الأخص: علوم الرياضة، والفلك، والفلسفة التي طوروها داخل إطار الفكر الإسلامي، وذلك عكس ما حدث في أوروبا - خلال العصور الوسطى - وفيها وضع رجال الدين فلسفة أفلاطون وأرسطو وكذلك المعتقدات الكنائسية فوق الشبهات والنقاش. (الفندي، 1982: ص ص 17، 18)

وهنا نود أن ندرك "وضع النفس في القرآن الكريم وعلم النفس"، إن تعريف القرآن للنفس وإشاراته إليها يتسم بالنظرة الشمولية المتكاملة؛ والتي ندركها في التنوع والتفريعات والصياغة التي بلغت حد الإعجاب والإعجاز.

والنفس الإنسانية هي ذلك الكل المركب من الجسد والروح، والذي نطلق عليه أحياناً: اسم "الذات" Self أو "الأنا"، EGO بلغة علم النفس. والنفس بهذا المعنى تحمل سمات كل من الجسم والروح، لأن صفات الجسم وخصائصه الأساسية تشكل جزءاً من سلوك الإنسان الفرد.. إن صفات الطول والقصر، السواد والبياض،

والسرعة والبطء، والنحافة والسمنة، والبلادة والنشاط، كل هذه الصفات الأساسية للجسم البشري، تجعلنا نطلق في كثير من الأحيان أن فلاناً هذا أعوج أو أرعن أو مندفع، أو أنه كسول أو لطيف الطبع أو ماكر خبيث.

بينما إذا أردنا أن نعرف صفات الروح.. وقفنا عاجزين أمام هذا المفهوم، ويعزي ذلك إلى قول ربنا سبحانه وتعالى في سورة الإسراء: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥).

إن الروح سر من أسرار الخالق جل وعلا أودعها مخلوقاته.. لأنها مصدر الخلق وأساس الحياة والوجود

ومن ثم ندرك تماماً أن النفس وهي مجموع سمات الجسد والروح، تختلف كلية عن الجسد والروح لأن صفات الكل شيء، وصفات الأجزاء المكون منه هذا الكل شيء آخر، فضلاً عن أن الكل (كوحدة) غير مجموع عناصره وأجزائه.

وهكذا ينظر القرآن الكريم إلى النفس البشرية نظرة "كاملة" شاملة ومتكاملة، في الوقت الذي نري فيه أن أقسام الجهاز النفسي كما يراها علماء النفس المحدثون تتكون من:

أولاً- اللا شعور: وهو ذلك الجزء الذي يشمل الدوافع والرغبات الجنسية، كما أنه يشمل جانين: أولهما "الهو"، وثانيهما: الاستجابات المكبوتة.

ثانياً- الشعور: وهو كل ما يمكننا تذكره من أفكار وأحداث ووقائع وهو يمثل الذات المدركة أو الأنا.

ثالثاً- الأنا العليا أو الأعلى أو الضمير: ويظهر أثناء مرحلة الطفولة وبالذات عندما يبدأ الطفل في تعليم ضبط إخراجيه.

.. ولسنا نري في هذا الصدد أي خلاف أو تباين بين ما ينادي به علماء النفس المحدثون وما يشير إليه القرآن العظيم.. ألم يقصد باللا شعور "النفس الأمارة بالسوء" .. أليس المقصود بمنطقة الشعور "النفس المطمئنة" .. كما أن الأنا العليا ما

هي إلا النفس اللوامة. ليس هناك تعارض إذن بين القرآن وعلم النفس في نظرة كل منهما إلى النفس البشرية، وأن كان الأول ذو نظرة فاحصة دقيقة تمتاز بالعمومية والشمول عن الثاني: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16].

إن مركباً يتكون من الجسد والروح هو الذي يكسب الحياة حيوية ونشاط وبهجة.. إن النفس البشرية هي صانعة الحضارات، وهي التي تعمل على تعمیر الأرض، وإقامة الوجود الإنساني حتى أبد الأبدين. (الطويل، 1982)

وجدير بالذكر أن العلاقة بين القرآن الكريم وبين علم النفس ما هي إلا حلقة من حلقات العلاقات الوثيقة بين القرآن وبين العلوم المختلفة، ومع كل اكتشاف علمي جديد تتضح تلك العلاقات، وأن القرآن سبق العلوم جميعها تأكيداً على أنه منزل من عند الله عز وجل آيات الله كثيرة جداً في الأرض.. وكلها تنطق بإعجاز القرآن.. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّبُتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 56].

هذه الآية عن الكفار يوم القيامة.. والهدف منها أن الله تعالى يخبرنا أن العذاب سيستمر في الآخرة.. وكانوا يقولون: إن مراكز الإحساس توجد في المخ.. وأن الجلد ليس به مراكز إحساس.. كان هذا هو الحديث حتى فترة وجيزة.. أما أيام نزول القرآن فلم يكن أحد يعرف شيئاً عن ذلك على الإطلاق.. فيأتي الكتاب العزيز ويقول: "كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب". فكأن العذاب له صلة بالجلد، والإحساس بالعذاب يأتي من الجلد.. ثم يكتشف العلم أخيراً أن مراكز الإحساس بالألم موجودة فعلاً في الجلد.. وهي التي تحس بالعذاب.

ونأتي إلى القرآن فنجده ربما كان أول كتاب في العالم كله.. أخبر: أنه يوجد شيء أصغر من الذرة.. فيقول سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

يَرَهُ. ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. ﴿٨﴾ (الزلزلة: 7-8)، لأن الذرة هي أدق ميزان في العالم، (وقد لفت القرآن النظر إليها)، ثم يأتي في آية أخرى ويقول عن الذرة: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس: 61]، إذن فهناك شيء أصغر من الذرة.. وهذا الشيء مقيد في كتاب عند الله ومكتوب. (الشعراوي، 1992: ص ص 40، 41)

كما سبق يتضح لنا أنه لا تعارض بين القرآن الكريم وعلم النفس، بل على العكس تماماً. فإن علم النفس وغيره من العلوم هي أدلة ضمن أدلة كونية كثيرة تؤكد على وجود الله عز وجل، وأن ما جاء به رسول الإنسانية (صلي الله عليه وسلم) هو من عند الله.. لا يرفضها إلا كل كافر.. جاهل متعصب. ثمة شيء آخر أن علم النفس من العلوم التي لها أثر على المجتمع، فالتحول الاجتماعي يتبع التحول النفسي وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

ويري أن التحول النفسي مقدمة ضرورية للتغير الاجتماعي، فالإسلام نفسه دعوة إلى التغير النفسي من عادات المجتمع المادي أو الجاهلي.. إلى عادات المجتمع الإنساني، فهو دعوة إلى التحول من مظاهر اجتماعية معينة.. إلى مظاهر أخرى مقابلة لها تماماً، عن طريق التبصير بأخطار المظاهر الاجتماعية الأولى.

فإذا كان من عادات المجتمع المادي أو الجاهلي: الإمساك عن الإنفاق على صاحب الحاجة، ويتجلى ذلك فيما يذكره الله سبحانه عن الماديين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مِنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَطَعَمَهُ. إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: 47] فإن دعوة الإسلام تتجه إلى تغيير هذه العادة في نفوس المؤمنين بالله إلى أن يصبح الإنفاق على أصحاب الحاجة عادة بديلة في نفوسهم، بحيث يستطيعون الإنفاق عليهم عن محبة ورضاء نفس. كما يصوره القرآن كصفة

من صفات المؤمنين في قوله: ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ ﴾ (٨) إِنَّمَا نَطَعْمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ [الإنسان: 8-9].

وقد جعل الإسلام الإنفاق في غير الواجبات المفروضة كالزكاة اختيارياً، ذلك الاختيار الذي يعد من الأدلة القوية على علم الله بخلقه، وبطبيعتهم الإنسانية، وبجبههم للتملك، ذلك الدافع الذي اعتبره بعض علماء النفس من الدوافع الفطرية داخل النفس البشرية، كما أننا نخرج من ذلك الاختيار بأكثر من حقيقة:

الأولى: أن الإنفاق في حقيقته امثال لأمر الله، وتنفيذه واجب على كل مسلم مؤمن بالله وبأنه وحده الرزاق، وأن البخل فيما أتانا الله من مال، إنما هو في حقيقته ضعف إيمان، وصورة من صور التدين المغشوش الذي ينطوي على النفاق، وأن ما تقوله الألسنة قد يختلف عن ما في القلوب من إيمان ويقين بالله، وبكلام الرسول الكريم وما ورد عن النبي من أفعال وأقوال تحث على الإنفاق في أوجه الخير.

الثانية: حكمة التكافل بين المسلمين، وحق الفقراء في مال الأغنياء بالقدر الذي لا يؤدي بالأغنياء إلى الفقر فيزيد عدد الفقراء بدلا من مساعدتهم !!.

الثالثة: وحكمة هذا القدر تأخذنا إلى حقيقة علم المولى عز وجل بطبيعة الإنسان وبغرائزه ودوافع سلوكه السوي أو المتطرف، فهو خالقه ويعلم ما توسوس به نفسه.

مما يؤكد على أن الإسلام حينما طالب بالإنفاق الاختياري لم يكن يريد أن ينفق الناس كل ما في حوزتهم من أموال، بل ينفقون بالقدر الذي يحفظ لهم نعيم الدنيا ونعم المولى عز وجل فيها، وعلى الجانب الآخر يحفظ لهم نعيم الآخرة، فالإسلام لم يأتي بما يشقى الناس، بل من نعم المولى عز وجل أن أجره على ما نفعه من أعمال صالحة غير محدد، وغير معلوم بما يليق باسم الرحمن، فبرحمته يضاعف الله لمن يشاء، ويعطى الأجر في الدنيا أو في الآخرة، أو في الدارين معا حسب حاجة الإنسان لأجر المولى عز وجل، وكلها أمور غيبية لا يعلمها إلا العليم الخبير، تلك القضية التي تغيب حكمتها عن بعض ضعاف النفوس والإيمان، فتؤدي بهم إلى

عصيان أوامر الله وإلى الكفر بنعم الله غير المحسوسة، فالبعض للأسف يعتبر الإنفاق في سبيل الله بصورة المختلفة بمثابة إيداع في مصرف من المصارف التي ترد المال المودع كما هو بالإضافة إلى فوائده!، ذلك الفكر التخريفي، بل والتخريبي لما لآثاره التدميرية على إيمان الفرد ومن ثم أفعاله، فإن أعطوا رضوا وأنفقوا، وان لم يعطوا نقموا وبخلوا وامتنعوا عن الإنفاق، لا يعلمون ما ادخره لهم المولى عز وجل من أجر هم في أمس الحاجة إليه يوم القيامة، وهذا الفكر المريض ينطوي على حقائق عديدة، ومنها:

- عدم الإيمان بعدل الله وبكتابه وبنبيه حتى لو ادعى صاحب الفكر عكس ذلك، فلا يمكن أن يصدر هذا الفكر المريض عن مؤمن بأن الله حق وانه ليس بظلام للعبيد، وبآيات الله العديدة التي تبشره بالأجر.
- أن الإنسان من طبيعته تعجل الأمور.
- عدم إدراك المرء للنعم التي انعم الله بها عليه، فمن مساوئ الإنسان أنه يعتبر كل نعمة ينعم بها، إنما في حق مكتسب له، ذلك الاعتبار الذي يؤدي به في النهاية، إلى عدم شكر الله على نعمه - التي يعتبرها من الأمور العادية وكأنها حق له على خالقه!

ومن ناحية أخرى النظر إلى ما يفتقده من نعم، وان من حقه أن ينالها بما يدفعه من صدقة، مما يذكرنا بصكوك الغفران التي كانت منتشرة في أوروبا في العصور الوسطى، فترة الظلام والجهل، تلك الصكوك التي يمكن للفرد فيها أن يشتري المغفرة بالمال! ذلك الفكر الساذج الذي كان وما زال بيننا ينعم بعقول الجهلاء، ويسعى فيها مدمراً ما بقى فيها من فكر قد يعيد المرء إلى صوابه، وإلى الوعي بحكمة المولى عز وجل في أوامره والامثال لها، وإلى الإيمان والتدين الحقيقي المنزه عن الغش والنفاق؛ لذلك فإن التغيير النفسي الذي يعتبر ضرورة تسبق التغيير الاجتماعي لا يرتبط في نظر الإسلام بالزمام أو إكراه عن طريق السلطة الخارجية. فالحياة النفسية يؤثر فيها الإقناع والمنطق.. ولكن الإلزام والإكراه قد

يسبب عناداً مضاداً، فإن لم يبد هذا العناد فلأنه قد غلف بالنفاق والتهرب من الالتزام.

وفيما يلي الخطوات التي يتخذها الإسلام في التغيير النفسي:

أولاً: توضيح الأخطار التي تترتب على العادات والتقاليد التي تسود المجتمع المادي.

ثانياً: بعد فترة من التوضيح: النهي عنها.

ثالثاً: الترغيب في العادات الأخرى البديلة التي تصور المستوى الإنساني.

رابعاً: بعد فترة من الترغيب: الأمر بإتباع هذه العادات المرغوبة وهنا يتم التحول،

إذا كان الإيمان صادقاً، كما تذكر سورة الحديد في قول الله تعالى: ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد: 7].

وفي قوله تعالى في السورة نفسها أيضاً: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَكْثَرَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُواوَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴾ [الحديد: 10].

فمع كون القرآن يشير في الآية الأولى إلى أن المال مستخلف عليه من الله، والمالك الحقيقي له هو الله تعالى، ويشير في الآية الثانية صراحة إلى أن الله هو الذي يؤول إليه كل ما في الدنيا: يعد بالأجر الكبير والجزاء الأوفى لمن أنفق في سبيل الله وسد حاجة محتاج معه في أمته.

وكان يكفي في الإقناع بالإنفاق أن يذكر أن المالكين للمال مفوضون فيه فقط

.. ويجب أن يسيروا إذن في إنمائه، وفي صرفه طبقاً لتعاليم المالك الحقيقي ماله، ولكن ذكر الأجر الكبير والجزاء الأوفى للمنفق هو حث له وترغيب في أن ينفق بجرئته ومشيتته. فيحفظ عليه إنسانيته التي يلتزم عن طريقها، ولا يلزم بأمر خارج عنها. وهكذا؛ فالإقناع هو العامل في التحول النفسي والاجتماعي، وليس الإكراه والإلزام.

(البهي، 1986)

الفصل الخامس

الدوافع الإنسانية وعلاقتها بالسلوك الإنساني في التعامل

الفصل الخامس

الدوافع الإنسانية

وعلاقتها بالسلوك الإنساني في التعامل

إن علماء الاجتماع والنفس قد بدأوا منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، يجهدون أنفسهم كثيراً لأجل تقديم وتطوير نظريات خاصة عن دوافع العمل، وأثر تطمين حاجات الفرد في زيادة الإنتاج وتطوير العمل نفسه، وقد استخدموا في ذلك طريقة الملاحظة والمتابعة الميدانية لتصرفات وسلوك العاملين في المصانع، ويعتبر (ماسلو) خير من كتب عن دوافع العمل، وهو يرى أن الإنسان يندفع ابتداءً نحو العمل لمواجهة احتياجاته الأساسية الفسيولوجية، والحاجة إلى الأمان، وعندما تلبى تلك الحاجات، تبرز حاجات عليا جديدة تنال نفس الأهمية التي كانت تحوز عليها الحاجات الأولى التي جرى تطمينها (إشباعها)، فتظهر الحاجات الاجتماعية ثم الحاجة إلى الاحترام. (البياع، د.ت: ص 57)

وعندما تكون عندك دوافع وبواعث نفسية، يكون عندك حماس أكثر وطاقة أكبر، ويكون إدراكك أفضل، بعكس إذا كانت عزيمتك هابطة، فلا تكون عندك طاقة ويتجه تركيزك واهتمامك نحو السلبيات فقط؛ وتكون النتيجة في التدهور في الأداء.

ولكن ما في الدوافع؟.

دافع التي في بالإنجليزية (موتيفاشن Motivation) جاء مصدرها من الكلمة اللاتينية (كايتري Matere) ومعناها يتحرك. ويعرف قاموس (ويستر Webster) كلمة الدوافع؛ بأنها الشيء الذي يدفع الإنسان للتصرف أو الحركة، ولو قمنا بتحليل كلمة (موتيفاشن Motivation)، نجد أنها مركبة من كلمتين (موتيف + أكشن/ Action + Motive)؛ يعنى التصرف الناتج عن الحركة. (الفقى، 2009: ص ص 25، 26)

ويقول (ماسلو) أن الحاجة التي تكون أساسية في وقت معين، تستحوذ على تفكير الإنسان العامل وتكون في مقدمة تفكيره، لذلك سيعمل وينظم فعالياته ونشاطاته لأجل الوصول إلى تطمين تلك الحاجة.

ويقول أيضاً أن الحاجة التي تلبى سوف لا تشكل دافعاً للعمل، لذلك فإن الإنسان دائماً يخلق حاجات جديدة تبرز عندما تطمأن الحاجة القديمة. وقد حدد (ماسلو) خمس حاجات أساسية للإنسان، وقد وضع تلك الحاجات على شكل هرم تتكون قاعدته من الحاجات الفسيولوجية. أما قمة الهرم فتتكون من الحاجة إلى تحقيق الذات.

وقد تم ترتيب الحاجات بشكل متعاقب، فمثلاً يعتبر الجوع حاجة أساسية فسيولوجية، ولكن عندما تتوفر كميات كبيرة من الغذاء في المجتمع المتقدم، ويكون بمقدور الإنسان العادي تطمين حاجاته منه، عندئذ تبدأ الحاجات الأعلى، وتستمر بالظهور ما دامت الحاجات الأدنى يجرى إشباعها باستمرار، ولكن الحاجة التي تطمئن بشكل كلى لا تبقى تمثل حاجة، كما أنه ليس ضرورياً تطمين كل مستوى من الحاجات تطميناً كلياً كي تظهر الحاجات التالية، لأن الإنسان دوماً في حالة حرمان، وعليه دوماً أن يبذل جهداً وطاقة ليحقق لنفسه الإشباع. (البياع د.ت)

ولقد كشف العالم النفسي (إبراهام ماسلو): أن كل البشر يشعرون بحاجات محددة، ويسعون إلى إشباعها، ولقد توصل إلى أن الحاجات البشرية تقنع الإنسان، وتتحكم في سلوكه.

وتمثل الحاجة غير المشبعة، قوة كامنة داخل الإنسان؛ تحثه على التصرف بحثاً عن إشباع هذه الحاجات، والتي تعد قوة دافعة لسلوك الإنسان. لذلك؛ فقد أصبح العمل ولأن العمل قد أصبح مصدراً أساسياً للكثيرين منا؛ للحصول على الحاجات الأولية، لما يوفره العمل من دخل مادي يمكن الفرد من شراء الحاجات وتوفيرها لإشباع احتياجاته. سالم (2009: ص 67)

وذلك بعكس النظرة السيئة للعمل في الماضي؛ فقد كان العمل بمثابة لعنة، إن كلمة "بونوس" وهى تعنى العمل في اليونانية مأخوذة من عقوبة، وهو ما يعنى الحزن، فقد كان العمل اليدوي للعبيد، أما الأحرار فقد كان دورهم الاشتراك في الحروب، والتجارة، والفنون وخاصة العمارة أو النحت (Rose:1985)، وقد انتقلت قيمة العمل بمرور الوقت، من النظرة الدونية له، بدءاً من اعتباره عقاب من الله على خطيئة آدم وخروجه من الجنة، والنزول إلى الأرض؛ حيث المشقة والتعب لسد حاجاته الأساسية، ثم إلى مرحلة إضفاء القيمة للعمل في فترات ظهور الأديان، وحثها على العمل، ونهاية بما هو عليه الآن من قيمة.

والحق أن كافة مراحل العمل التاريخية، لم يكن فيها العمل قيمة في حد ذاته، أو هدف يسعى الناس إليه لتحقيق تقدم المجتمع، بل كان مجرد وسيلة لإشباع الحاجات الإنسانية من مأكّل وملبس وغير ذلك من وسائل العيش. على (2011)

لذلك؛ يتوقف نجاح إدارة الموارد البشرية إلى حدٍ كبير، على مقدرة المدير على تفهم الأشخاص الآخرين، وعلى مقدرة الآخرين أيضاً على تفهم المدير، وليس من المبالغة في شيء؛ القول بأن الاتصال الإنساني هو الوسيلة التي يتم بها توحيد النشاط المنظمة، وفي أي تنظيم، مهما كان نوعه، فإن نقل المعلومات من

فرد لآخر؛ تعتبر من الضروريات الجوهرية، فبواسطة هذا النقل؛ يمكن تعديل السلوك، وإحداث التغيير المطلوب؛ ومن ثم تحقيق الأهداف. سالم (2009)

وهذا ما يؤكد قناعتنا بأهمية إدراك العوامل النفسية ودورها في حياة الأفراد، فالصعوبات النفسية مثلاً؛ تعد من أهم معوقات الاتصال الإنساني بين الناس، داخل المنشأة بين العاملين بعضهم البعض، أو بينهم وبين العملاء.

وتنقسم دوافع السلوك الإنساني إلى قسمين:

أولاً: الدوافع الفسيولوجية، وتشمل:

- 1- دوافع حفظ الذات.
- 2- دافع بقاء النوع، والذي ينقسم إلى:
 - أ - الدافع الجنسي.
 - ب- دافع الأمومة.

ثانياً: الدوافع النفسية، وتشمل:

- 1- دافع التملك.
- 2- دافع العدوان.
- 3- دافع التنافس.
- 4- دافع التدين.
- 5- الدوافع اللاشعورية.

وقبل أن نتعرض لتلك الدوافع علينا أن نقدم تعريفاً سريعاً للسلوك، والذي يعرف في مجال الدراسات النفسية: بأنه كل استجابة داخلية، أو خارجية تحدث نتيجة تعرض الإنسان، أو الحيوان لمثيرات داخلية أو خارجية، ولذلك يمكن النظر إلى السلوك وتصنيفه كالتالي:

- 1- سلوك فطري أو مورث يولد الإنسان مزوداً به، أو على الأقل مزوداً باستعداد عام للقيام به، ومن ذلك البكاء، والإخراج، والنوم، والجنس، وهو سلوك عام

يشارك فيه جميع أفراد الجنس البشري، بصرف النظر عن الاختلافات الثقافية والحضارية، وهو سلوك غير مكتسب من البيئة.

2- سلوك متعلم أو مكتسب من التفاعل والاحتكاك بالبيئة الاجتماعية والمادية التي ينشأ الفرد فيها، ومن ذلك التدخين و القراءة والكتابة أو السباحة والجري وركوب الخيل.. الخ.

3- سلوك شعوري يدركه الفرد، ويعترف به، ويعرف أهدافه ومراميه، كذهابه للجامعة بقصد التعلم، أو العمل بقصد الرزق...

4- سلوك لا شعوري لا يدركه الفرد ولا يعترف به ولا يعرف مغزاه أو أهدافه، مثل.. فلتات اللسان، وزلات القلم، ونسيان المواعيد، والعقد والأمراض النفسية والأحلام.. الخ.

5- سلوك حركي ظاهر: كالجري أو المشي أو الكلام بصوت مسموع.

6- سلوك ضمني مستتر خفي كالتفكير أو التأمل أو أحلام اليقظة.

7- سلوك داخلي: كإفراز بعض الغدد الصماء.

8- سلوك إرادي: كالجري أو المشي، وسلوك لا إرادي كضربات القلب وعملية التنفس، وتقلصات المعدة، وعملية الهضم وما إلى ذلك.

9- وهناك السلوك السوي الطبيعي كالخوف من الأسد، وسلوك غير سوي أو شاذ كالخوف من الماء أو الرعد والبرق، أو الأماكن الواسعة أو الضيقة، أو الخوف من الخيول والعناكب وما إلى ذلك.

10- سلوك بسيط: كالانعكاسات الأولية كحركة الركبة أو رمش العين، وسلوك معقد: كالتفكير أو التحدث بلغة أجنبية أو قيادة السيارة.

وهذا السلوك يصدر عن الكائن الحي بكليته، أي بما فيه من قوي جسمية ونفسية وعقلية واجتماعية. يؤكد هذا السلوك أن الإنسان وحدة جسمية نفسية عقلية روحية خلقية اجتماعية متفاعلة متكاملة.. فالسلوك ظاهرة بالغة التعقيد والتشابك، تتداخل فيه العديد من العوامل.

فالكائن الحي ينمو ويتعلم ويتفاعل، أي يؤثر ويتأثر بالبيئة الاجتماعية كالأسرة والنظم والقوانين واللوائح والعقائد وجماعات الأقران والأعراف والتقاليد والعادات والمثل العليا، كما يتفاعل مع عناصر البيئة الفيزيائية المحيطة به بما فيها من أودية وسهول، وظروف مناخية، وما فيها من مظاهر الحضارة المادية.. كلها تطبع شخصية الإنسان بطابع معين، فسكان الصحاري يختلفون في سماتهم عن سكان الحضرة، وشعوب الشرق تختلف عن شعوب الغرب... الخ.

وما لدى الإنسان من عادات وتقاليد وأفكار ومثل وعقائد وطموحات إنما تتركز في دماغه أو جهازه العصبي Hisnervooous System وكثير مما ندرسه في الإنسان يعبر عنه من خلال تعبيراته الجسمية، أو سلوكه الجسمي. (العيسوي، 2000)

دوافع السلوك:

أولاً: الدوافع الفسيولوجية:

1- دوافع حفظ الذات:

الذات هي جوهر الشخصية، ومفهوم الذات هو حجر الزاوية فيها، وهو الذي ينظم السلوك. ويقول "ألبرت Allport" (1937) أن مفهوم "الذات" مفهوم أساسي في دراسة الشخصية، ونظرية الذات لـ "كارل روجرز Rogers' self- theory" هي أحدث وأشمل نظريات الذات وذلك لارتباطها بطريقة من أشهر طرق الإرشاد والعلاج النفسي، وقد بدأ تاريخ نظرية الذات لكارل روجرز عندما بدأ روجرز الإرشاد والعلاج النفسي.

وهناك مكونات رئيسية في نظرية الذات عنده. هذه المكونات هي:

- الذات، مفهوم الذات، الخبرة، الفرد، السلوك، المجال الظاهري.
- الذات Self: مفهوم الذات قديم قدم الحضارة المصرية، وفي هذا المفهوم نمو ديني

وفلسفي عبر التاريخ، واقتبس المفكرون اليونان مثل "أفلاطون"، و"سقراط"، و"أرسطو" وفلسفوه، ثم احتضنه المفكرون العرب مثل العلامة ابن سينا في القرن العاشر، والعالم الفيلسوف أبو حامد الغزالي في القرن الحادي عشر. ولقد علمنا الله ما لم نكن نعلم عن: النفس الملهمة، والنفس اللوامة، والنفس البصيرة، والنفس المطمئنة، والنفس الأمانة بالسوء. ويقول الغزالي أن الواجهات الأربع الأولى للنفس البشرية حميدة أما الأخيرة فهي غير محمودة.

وقد ذكر ابن سينا مفهوم الذات على أنه الصورة المعرفية للنفس البشرية، وتكلم من جاء بعد ذلك من المفكرين عن مفهوم الذات متذبذبين بين الروح تارة، وبين الذات تارة.

ومنذ بداية القرن العشرين أخذت معظم النظريات النفسية تتبنى مفهوم "الذات" أو "الأنا" كمفهومين هامين في دراسة الشخصية والتوافق النفسي، ولكن النظريات اختلفت حول طبيعة الذات وبنيتها وتركيبها وأبعادها ووظائفها، وعلى كل حال فإن تعريف الذات كما حدد في نظرية "روجرز" هو: أنها كينونة الفرد أو الشخص، وتنمو الذات وتفصل تدريجياً عن المجال الإدراكي، وتتكون بنية الذات نتيجة التفاعل مع البيئة، وتشمل الذات المدركة، والذات الاجتماعية، والذات المثالية، وقد تمتص قيم الآخرين، وتسعى إلى التوافق والالتزان والثبات، وتنمو نتيجة النضج والتعلم، وتصبح المركز الذي تنتظم حوله كل الخبرات، وهذا المفهوم له وظيفة دافعية وتكامل وتنظيم وبلورة عالم الخبرة المتغير الذي يوجد الفرد في وسطه، لذا فإنه ينظم ويحدد السلوك، وينمو مفهوم الذات تكوينياً كنتاج للتفاعل الاجتماعي جنباً إلى جنب مع الدافع الداخلي لتأكيد الذات.. (زهران، 1977: ص 95-97)

ولقد قدم ماسلو تنظيماً هرمياً للدوافع في عدة مستويات هي على التوالي:

1- حاجات فسيولوجية Physiological needs.

2- حاجات الأمن Safety needs.

- 3- حاجات الانتماء والحب Belongingness and Love needs .
 4- حاجات تقدير الذات Esteem needs .
 5- حاجات تحقيق الذات Self- Actualization needs .
 6- حاجات الفهم والمعرفة Knowledge- needs .

وتشتمل الحاجات الفسيولوجية - كما حددها ماسلو - على الحاجات التي تكفل بقاء الفرد مثل الحاجة إلى الهواء والشراب والطعام. أما الحاجة إلى الأمن تشير إلى رغبة الفرد في الحماية من الخطر والتهديد والحرمان. وحدد الحاجات الاجتماعية بأنها الرغبة في الانتماء والارتباط بالآخرين. أما الحاجة إلى التقدير فتتمثل في الرغبة في تقدير الذات وتقدير الآخرين لها. وأخيراً حدد الحاجة إلى تحقيق الذات بأنها رغبة الفرد في تحقيق إمكاناته وتنميتها. ويعتمد تحقيق الذات على الفهم والمعرفة الواضحة لدى الفرد بإمكاناته الذاتية وحدودها. (خليفة، 2000: ص ص 85، 86)

وجدير بالذكر أن عندما تتحقق حاجات الفرد الخاصة بالحب، عندما يجب الآخرين ويحبونه، فإن دافعيته الخاصة بالحب والانتماء تنخفض وترتفع بدلاً منها حاجات اعتبار الذات. والتي قسمها "ماسلو" إلى مجموعتين، تشتمل المجموعة الأولى على احترام المرء لذاته، وتشتمل المجموعة الثانية على توقير الآخرين أو احترامهم لهذا الفرد. وتشتمل المجموعة الأولى على حاجات مثل الرغبة في الكفاءة، أو التمكن، أو الإقتدار، وكذلك الثقة وقوة الشخصية والإنجاز والإستقلال والحرية، إن هذا يعني أن الفرد يحتاج إلى أن يعرف أنه جدير ببعض الأشياء، وأنه قادر على التفوق في عمله وعلى التحدي خلال الحياة.

أما التوقير أو الاحترام من الآخرين فيشتمل على المكانة الاجتماعية، واعتراف الآخرين بالفرد وتقبلهم له وانتباههم إليه والمركز الاجتماعي والشهرة والذبيوع والسمعة الطيبة.. الخ.

.. وبعد إشباع كل الحاجات السابقة يأتي دور حاجات تحقيق الذات، وقد حدد ماسلو حاجة تحقيق الذات باعتبارها الرغبة في تحقيق المرء كل ما يريد تحقيقه، إنه الاستخدام الأمثل لكل ما لدى المرء من قدرات ومواهب وإمكانات. وخلاصة القول أن هذا الدافع يعني رغبة المرء في تحسين ذاته، ويعني أيضاً: أن يكون المرء قادراً على جعل ما هو ممكن لديه فعلياً ومتحققاً. (عبد الحميد، 1995: ص ص 129، 130)

2- دوافع حفظ الذات في القرآن الكريم

يقول المولى عز وجل: ﴿ فقلنا يتنادم إن هذا عدوُّك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى ﴿١١٧﴾ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴿١١٨﴾ وأنك لا تظمؤا فيها ولا تصحنى ﴿١١٩﴾ فوسوس إليه الشيطان قال يتنادم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه: 117-120].

ذكر الله سبحانه وتعالى في بعض آيات القرآن أهم الدوافع الفسيولوجية التي تقوم بحفظ الذات وبقاء الفرد مثل الجوع، والعطش، والتعب، والحرارة، والبرودة، والألم، والتنفس، لقد خاطب الله تعالى آدم عليه السلام، وهو في الجنة مذكراً له ما هو فيه من نعيم حيث لا يؤذيه الشعور بالجوع أو العطش، وحيث لا يعري فيخدش حياءه وتؤذيه تقلبات الجو، وحيث لا يشعر بحرارة الشمس حيث لا توجد شمس في الجنة، ومخذراً له من الوقوع في شرك الشيطان الذي يريد أن يخرج من الجنة ليهبط إلى حياة الأرض التي سيشقى فيها هو وأبناؤه بالسعي والعمل المتواصل بالصيد والحرث والزرع لإشباع دافع الجوع، وحفر الآبار والضرب في الأرض للوصول إلى مجاري الأنهار لإشباع دافع العطش، وصنع الملابس لاتقاء العري الذي يعرضه لتقلبات الجو، والالتجاء إلى ظلال الأشجار والكهوف وبناء المساكن لاتقاء حرارة الشمس وبرودة الليل. (نجاتي، 1982: ص ص 25، 26)

والمعنى: تحذير لآدم من أن يسعى الشيطان في إخراجه منها (من الجنة) هو وزوجه

حواء عليها السلام، فتتعب وتعني وتشقى في طلب الرزق، فإنك هاهنا في عيش رغيد هنئ بلا كلفة ولا مشقة، وقد قرن بين الجوع والعري في الآيات لأن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر، أيضاً فالظماً حر البطن وهو العطش، والضحي حر الظاهر وهذا أيضاً متقابلان. (ابن كثير، د.ت: ص 496)

وفي هذه الآيات إشارة إلى ثلاثة دوافع هامة من دوافع حفظ الذات، وهي دوافع.. الجوع والعطش وتجنب الحرارة (وكذلك البرودة) المفردة. كما تشير هذه الآيات أيضاً إلى دافع حب البقاء ودافع التملك.

وتعمل دوافع حفظ الذات في خدمة دافع حب البقاء، فهي بإشباعها حاجات البدن الفسيولوجية إنما تعمل على بقاء الفرد واستمرار حياته. أما دافع التملك فهو من الدوافع النفسية التي سنتناولها فيما بعد. وقد كان دافع حب البقاء ودافع التملك مدخل الشيطان إلى نفس آدم فوسوس له: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ [طه: 120]. فنسي آدم ما حذره الله تعالى منه، وعصي أمر ربه فأكل من الشجرة، ونجد في الآيات التالية من سورة النحل إشارة إلى بعض دوافع حفظ الذات وهي: الحرارة والبرودة والتعب والألم..

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ۗ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْهَا مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۗ ﴾ [النحل: 80-81]

يذكر الله سبحانه وتعالى تمام نعمه على عبده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون إليها، ويستترون بها ويتنفعون بها بسائر وجوه الانتفاع. وجعل لهم أيضاً من جلود الأنعام بيوتاً. أي من الأدم يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر، وجعل الله عز وجل الشجر ظلالاً،

والجبال حصوناً ومعاقل، كما جعل أيضاً السراويل وهي الثياب من القطن والكتان والصوف، أيضاً الدروع من الحديد المصفح وغير ذلك، وهكذا يجعل لكم ما تستعينون به على أمركم، وما تحتاجون إليه ليكون عوناً لكم على طاعته وعبادته - لعلكم تسلمون. (ابن كثير، د.ت: ص 341)

ودوافع حفظ الذات موجودة لدى كل من الحيوان والإنسان. وتشير الآية الكريمة التالية من سورة النمل إلى دوافع حفظ الذات عند النمل مما يجعلها تتجنب ما يؤذيها، ويلحق بها الضرر، ويصيبها بالهلاك والدمار، فنجد إشارة واضحة إلى دوافع حفظ الذات عند النمل، يقول تعالى: ﴿ وَحِشْرَ لَسَلِيمَنَ جُنُودِهِ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سَلِيمَنٌ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [النمل: 17-18]

وإلى جانب دافع الجوع والذي أشارت إليه بعض آيات القرآن، يوجد انفعال الخوف في حياة الإنسان "الخوف من الموت، أو من المستقبل المجهول، أو من الأعداء، أو من غير ذلك من مصائب الدهر، كثيراً ما يكون سبباً في شقاء الإنسان. ولذلك فقد ذكرت بعض آيات القرآن كلاً من الجوع والخوف كعاملين لهما أثرهما الخطير في حياة الإنسان.

قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: 155].

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: 112].

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَعَمَّنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش: 3-4].

ومن آيات الله أن ينام الإنسان سواء بالليل أو بالنهار لإراحة بدنه من عناء العمل أثناء النهار، وطلبه للرزق من فضل الله الواسع، وقيامه بمسئوليته المعيشية المختلفة وفي هذا المعنى قال الله تعالى أيضاً:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [يونس: 67].

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذُوقُ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [غافر: 61].

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [النمل: 86].

وغيرها من الآيات التي تدل على أن الله سبحانه وتعالى جعل الليل سائراً بسواده ليستريح فيه الناس، ويسكنوا ويناموا بعد عناء العمل وكثرة الحركة والنشاط أثناء النهار، وجعل النهار مضيئاً ليتمكنوا من السعي في الأرض طلباً للرزق وللقيام بمتطلبات معاشهم. إن التعب دافع هام يدفع الإنسان إلى الراحة والنوم بعد عناء العمل أثناء النهار، فتسترد خلايا بدنه نشاطها وحيويتها، ويستيقظ الإنسان بعد النوم قوياً قادراً على مواصلة عمله في حيوية ونشاط، ويؤدي النوم إلى التخلص من التوتر البدني الذي ينشأ عن المخاوف التي تنتاب الإنسان، وعن كثير من المشكلات والصعاب التي يتعرض لها أثناء حياته اليومية. يتضح ذلك مما جاء في القرآن في وصف حال المسلمين أثناء موقعة بدر حينما استولى على بعضهم الخوف. نجاتي (1982)

قال تعالى: ﴿ إِذِغْشِيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنفال: 11].

فقد أدي نعاسهم إلى إزالة خوفهم مما أعاد إليهم حالة الأمن والاطمئنان،

أيضاً من الدوافع الفسيولوجية الضرورية للحياة - دافع التنفس - فالإنسان يحتاج إلى تنفس الأكسجين ليعيش. فإذا قل الأكسجين شعر بدافع قوي يدفعه إلى استنشاقه. فإذا انعدم الأكسجين نهائياً مات الإنسان، وقد أشار الله تعالى إلى أهمية التنفس في حياة الإنسان في قوله تعالى:

﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ فَثَمَنٌ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت: 40].

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُنجِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ [يونس: 22].

ومن هنا تتضح أهمية دافع التنفس كدافع فسيولوجي فطري يؤدي وظيفة هامة في حفظ الذات وبقائها، ما يشعر به الإنسان من خوف شديد إذا ما أحاط به خطر يهدده. وقد أشار الله تعالى - في الآية السابقة - على حالة الذعر التي تصيب الإنسان إذا كان في الفلك في عرض البحر وهبت عليه عاصفة شديدة، وأحاط به الموج من كل مكان، وشعر بخطر الموت غرقاً". نجاتي (1982)

3- دافعا بقاء النوع:

أ- الدافع الجنسي.

ب- دافع الأمومة.

ويعتبرهما علماء النفس القسم الثاني من الدوافع الفسيولوجية بعد دوافع حفظ الذات، وجدير بالذكر أن الدافع هو حالة داخلية أو استعداد داخلي فطري أو مكتسب شعوري أو لا شعوري، عضوي أو اجتماعي أو نفسي، يثير السلوك، ذهنياً كان أو حركياً، ويوصله ويسهم في توجيهه إلى غاية شعورية، أو لاشعورية. فمن الدوافع ما هو فطري، وما هو مكتسب، ثم ما هو شعوري، وما هو لاشعوري.

فالدافع الفطري يمتاز بأنه عام ومشارك بين جميع الأفراد، ودافعا الجنس والأمومة من الدوافع الفطرية، ولكن هذا لا يمنع من وجود بعض الحالات الفردية الشاذة التي تنحرف عندها هذه الدوافع، فالدافع نحو الأمومة قد يضعف عند بعض الأمهات، أو الدافع الجنسي عندما يتخذ شكلاً شاذاً عند بعض الرجال والنساء كما هو الحال في حالات الشذوذ الجنسي.

وإلى جانب ذلك فإن الدافع الفطري يمتاز بظهوره منذ الميلاد، أو على الأقل في سن مبكرة أي قبل أن يستفيد الفرد من الخبرة ومن أساليب التربية التي يقدمها له المنزل والمدرسة والمجتمع بأسره، فهو لا يتكون بالاكْتساب عن طريق الخبرة والتعلم، فالطفل الصغير ليس في حاجة إلى من يعلمه كيفية البكاء، أو الصراخ، أو كيف يقوم بعملية الإخراج، أو كيف يمتص ثدي أمه. العيسوي (2000: ص50)

ويلاحظ أن غرائزنا تنقسم إلى مجموعتين رئيسيتين هما:

المجموعة الأولى، وتتكون من غرائز	المجموعة الثانية، وتتكون من غرائز
1- الهرب.	1- الجنس.
2- النفور أو التقزز.	2- التجمع.
3- حب الاستطلاع.	3- البناء أو الإنشاء.
4- المقاتلة.	4- الاستحواذ أو التملك.
5- الخنوع.	
6- تأكيد الذات.	
7- الأبوة أو الوالدية (الأمومة).	

شكل (5) جدول تقسيم الغرائز

وترتبط غرائز المجموعة الأولى بانفعالات سبعة: فالخوف يرتبط بالهرب، والاشمئزاز يرتبط بالنفور أو التقزز، والدهشة ترتبط بحب الاستطلاع، والغضب

يرتبط بالمقاتلة، والعبودية ترتبط بالخنوع، والازدهار يرتبط بتأكيد الذات، والحنان يرتبط بالأبوة أو الوالدية (الأمومة).

غير أن الجوانب الوجدانية من استثارة هذه الغرائز ليست من الوضوح والبروز بحيث تدفع الإنسان إلى أن يعطيها أسماء معينة، ولذلك لم يضع "مكدوجل" قائمة بأسماء الانفعالات التي تصحب المجموعة الثانية". (سويف، د.ت: ص 200)

وقد ذكر "مكدوجل" في أحد مؤلفاته تصنيفاً آخر يحتوي على 14 غريزة لدي الكائن الحي يصحب استثارة كل منها انفعال خاص، وهي:

انفعالها	الغريزة
الغضب.	المقاتلة
الحنو.	الوالدية
الخوف.	الهرب
التعجب.	حب الاستطلاع
الجوع.	البحث عن الطعام
الاشمئزاز.	النفور
الشعور بالضعف.	الاستغاثة
الشعور بالنقص.	الخنوع
الزهو.	السيطرة
حب التملك.	التملك
العمل والنشاط.	الحل والتركيب
الشعور بالوحدة.	حب الاجتماع
التسلية.	الضحك
الشهوة الجنسية	الغريزة الجنسية

شكل (6) الغرائز والانفعالات المصاحبة لها

وقد أضاف "مكدوجل" إلى هذه القائمة في عام 1933م بعض الغرائز الأخرى، وهي: غريزة الراحة، غريزة النوم، غريزة الهجرة. وأنه لا يتم تعديل الغرائز في جانبها الإدراكي، وجانبها النزوعي فحسب، بل إن هنالك مجالاً أكبر تتعدل فيه الغرائز، وتتحول إلى ميول مركبة وعواطف.

وقد لاقت نظريته ولازالت تلقي كثيراً من النقد، ذلك أن إرجاع السلوك الإنساني إلى الفطرة يتنافى مع الاتجاه العلمي، فالفطرة لا تخضع للبحث العلمي، كما أنها لا تخضع للسيطرة والتحكم الذي هو من أهم أهداف العلم.

كذلك يهاجم البعض نظرية الغرائز على أساس أنه لا يوجد اتفاق بين المنادين بها على عدد الغرائز، ولا على أنواعها، فقد قال "مكدوجل" بـ 14 غريزة، وقال "وليم جيمس" بـ 32 غريزة، وقال غيره بـ 100 غريزة، بينما رد "فرويد" سلوك الإنسان إلى غريزتين، ومثل هذا الاختلاف إنما يشكك الباحث في صحة الأساس الذي قامت عليه نظرية الغرائز. (فهمي، د.ت)

مما سبق يصعب على العلماء تمييز الغريزة الإنسانية، فالفصل بين السلوك المكتسب، وبين السلوك الفطري من الصعوبة التي تجعل حسم الأمر من ضروب المستحيل، نظراً إلى ما طرأ على الإنسان من آثار الحضارة، وما اكتسبه عن طريق المحاكاة والتقليد والعادات والعقائد، فلا بد لنا في البحث عن الغريزة الخالصة من هذه الآثار المكتسبة، أي أن نرجع إلى الطفل الصغير: فهو أوضح في الدلالة لأنه لا يزال بعيداً عن تأثير الكسب والعادة، أو إلى الإنسان الأول، (ولصعوبة عزل الإنسان يمكن لنا الرجوع إلى الحيوان) مثل ما حدث في تجربة "سبالدينج Spalding" في عام 1873م.. حين فكر: هل يطير الطير عن فطرة، أو عن تعود. ذلك أن آباء الطير تدفع صغارها إلى الطيران، وتدرّبها، ويكتسب الصغار منها حركة الطيران بالمحاكاة، لذلك أحضر "سبالدينج" بعض صغار الطيور الحديثة الفقس، ثم حبس كل واحد منها في قفص على حدة، ولم تكن الأقفاص من السعة بحيث تسمح لها بتحريك أجنحتها، ولما نبت ريشها وحن موعدها طيرانها أطلقها، فإذا بها تطير

وتحرك أجنحتها لأول وهلة كغيرها من الطير تماماً. ومن هذه التجربة يمكننا أن نخرج بحقيقة ثبات الغريزة وفطريتها.

بالإضافة إلى مميزاتها الأخرى، وهي:

1- الغريزة نوعية: ومعنى ذلك أنها واحدة بالنسبة لجميع أفراد النوع من جنس واحد، فلكل نوع غرائزه التي تميزه عن غيره، مثال ذلك البيوت التي تنسجها العناكب، فكل صنف منها ينسج بيتاً بشكل مخصوص، مثل تلك التي تنسج البيوت في زوايا الحيطان، هذه الوحدة في النوع ليست مطلقة، إذ أن هناك فوارق شخصية، لأن الأفراد لا يتشابهون إلى حد التطابق. ولكن هناك صفات أساسية ثابتة هي التي تسمح لعالم الحيوان أن يميز الأنواع المختلفة منه.

2- الغريزة فطرية: وهذه من أهم الصفات التي تميزها، وإذا نفينا هذه الصفة عنها فإننا ننفي بذلك وجود الغريزة نفسها. فالغريزة تخلق كاملة، لا يحتاج الكائن إلى التعلم والكسب والتدريب لتأدية العمل.

3- الغريزة عمياء: تتميز الأعمال الإرادية عند الإنسان بأن هناك غرضاً يستدعي الشعور به إتباع طريق يوصل إليه، فالغرض هو الذي يملئ على الإنسان اختياره الطريق - يشعر المريض بالمرض، فيمتنع عن تناول الطعام حتى لا يزداد به المرض -، ويتضح لنا أن التجربة الشخصية تعدل من العمل الغريزي. وعلى ذلك فإن الغريزة ليست عمياء على الإطلاق. (الأهوانى، 1938: متعدد)

ورغم أن العديد من العلماء اعتبروا دافع الجنس، ودافع الأمومة من الغرائز، إلا أن هناك من يعارض إضفاء صفة الغريزة عليهما، فيقول "بيتش Beach" في كتابه "علم النفس التجريبي": أن السلوك الجنسي ينمو ويتطور بطرق مختلفة في الحيوانات المختلفة، ويمكن التحكم فيه عن طريق عوامل داخلية، وعوامل خارجية في ذكور وإناث النوع الواحد. كما يبدو أن سلوك الأمومة يتأثر بعوامل عدة تتراوح ما بين أثر تغذية الأنثى قبل نضجها الجنسي، إلى خبرتها السابقة في العناية

بالأطفال قبل ولادتهم. والاختلافات بين الكائنات الحية واسعة جداً. ويتوقف السلوك في النوع الواحد منها على عمليات كثيرة متداخلة ومعقدة. وتناقض كل هذه الأدلة تبويب السلوك الجنسي وسلوك الأمومة تحت لفظة غريزة، أو لفظة سلوك غير متعلم. (القوصي، 1956: ص 80)

والحقيقة أنهما مزيج من الرأيين، فهي أمور فطرية داخل الإنسان، إلا أن اكتشافها يحتاج إلى عناصر عديدة تكون في النهاية البيئة المناسبة لاكتشافها ثم توجيهها بالشكل المناسب ليكون السلوك منضبطاً وسوياً. فالثدي عند المرأة مثلاً في نظر الطفل هو مصدر غذائه الذي يساعده على الحياة، وفي فترة أخرى من حياة الإنسان (رجل/ امرأة) يدرك أنه أحد مراكز الإحساس بجسد المرأة، وبه كثير من المثيرات.

أيضاً شعور الأنثى بالأمومة يأخذ شكله الحقيقي في الإحساس الفعلي بها عن طريق المرور بكافة مراحل الولادة ورغم ذلك تؤثر البيئة المحيطة، إضافة إلى النشأة في طبيعة السلوك الإنساني الناتج عن هذا الدافع.

وفيما يلي عرض دافع الجنس ثم دافع الأمومة وذلك من خلال آيات القرآن الكريم:

(أ) دافع الجنس:

وغايته الأصلية هي الاتصال الجنسي المؤدي إلى التكاثر وتظهر في الإنسان مكتملة النمو في دور المراهقة. جلال (1966: ص 210). وكما اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يوجد في طبيعة التكوين الإنساني والحيواني دوافع فسيولوجية فطرية تدفعها إلى أنواع السلوك الضرورية لحفظ الذات، فقد اقتضت حكمته كذلك أن يوجد في طبيعة تكوينهما دافعين فسيولوجيين فطريين يدفعانها إلى القيام بنوعين هاميين من السلوك يتوقف عليهما بقاء النوع.

هذان الدافعان هما: الدافع الجنسي، ودافع الأمومة.. الدافع الجنسي عن طريقه

تتكون الأسر، ومن الأسر تتكون المجتمعات والشعوب، فتعمر الأرض، وتتعارف الشعوب، وتزدهر الحضارة، وتتقدم العلوم والصناعات، واقتضت مشيئة الله تعالى أن توجد وظيفة التناسل في النباتات أيضاً. كما اقتضت مشيئته تعالى أن يوجد كل شيء في الكون أزواجاً.

.. والدافع الجنسي أساس تكوين الأسرة حيث يسكن كل زوج إلى زوجه فيشعر بالراحة والأمن والطمأنينة، وتنشأ بينهما عواطف المحبة والمودة والرحمة، مما يؤدي إلى إستمرار الحياة الزوجية في وفاق وتعاون مما يهيئ الجو السليم لتنشأة الأطفال ورعايتهم وتكوين شخصياتهم تكويناً سليماً. نجاتي (1982)

ومن آيات القرآن الكريم ما يؤكد على هذه الأمور وأكثر من ذلك، يقول الله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ . [الحجرات: 13]

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ . [النساء: 1]

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ . [النحل: 72]

﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ . [الشورى: 11]

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ . [الرعد: 3]

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ . [الذاريات: 49]

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٦) . [يس: 36]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١) . [الروم: 21]

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١٨٩) . [الأعراف: 189]

(ب) دافع الأمومة:

ويعبر عنه بغريزة الوالدية وانفعالها المصاحب هو الحنو، وهي تستثار عند إدراك الضعف في الآخرين وحاجتهم إلى المساعدة، وتظهر متأخرة عند الإنسان، أي أنها لا تظهر على الأقل في السنوات الأولى: وتتجه بصورتها الفطرية نحو حماية الذرية، ولكنها بصورتها المعدلة تتجه إلى موضوعات أخرى كالفقراء أو العجزة أو الحيوان أو المجتمع. القوصى (1956: ص 80)

وقد شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يوجد أيضاً في طبيعة تكوين الأم دافعاً فطرياً يهيئها للقيام برسالتها الهامة في الإنجاب لبقاء النوع. فهي تتحمل مشاق الحمل والولادة عن رضا، وتقوم بإرضاع الطفل ورعايته والحنو عليه حتى ينمو ويصبح قادراً على العناية بنفسه، وقد أشار القرآن إلى ما تتحملة الأم من عناء في الحمل والولادة، كما يصف القرآن عواطف الأم وحبها لأولادها، وشغفها بهم، وخوفها عليهم، وحزنهم لبعدهم عنها، وفرحها لقربهم منها، وذلك أثناء ذكره تعالى لقصة موسى على نبينا الكريم وعليه الصلاة والسلام. ففي الآية 10 من سورة القصص يبين المولى عز وجل كيف كان فؤاد أم موسى خالياً من التفكير في أي شيء ما عدا أبنها. وكادت لفرط خوفها عليه وحزنها لفراقه أن تدل عليه لولا أن ثبت الله تعالى قلبها وأنزل السكينة والطمأنينة في نفسها، ولما رد إليها ابنها ذهب عنها الحزن، وعادت إليها سعادتها. نجاتي (1982)

يقول الله تعالى عن دافع الأمومة:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ مَنْ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: 15]

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: 14]

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ . [القصص: 10]

﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ . [القصص: 13]

ثانياً: الدوافع النفسية في القرآن الكريم، وتشمل:

1- دافع التملك:

قال تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ . [آل عمران: 14]

وفي هذه الآية يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، وحب المال كذلك، تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهذا مذموم، وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الأرحام ووجوه البر والطاعات فهذا ممدوح محمود شرعاً، وفي قوله "ذلك متاع الحياة الدنيا" أي إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة". ابن كثير (د.ت)

ومن الآيات التي تدل أيضاً على هذا الدافع قوله تعالى:

﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (٢٠) . [الفجر: 20]

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمْ لَمْ

﴿ ٤٦ ﴾ . [الكهف: 46]

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرِبُهُ مَصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴾ (٢٠) . [الحديد: 20].

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَكَادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى

﴿ ١٢٠ ﴾ [طه: 120]

ومن هذا يتضح لنا أن دافع التملك من الدوافع التي يسعى الإنسان فيها إلى تحقيق المتعة لنفسه، وللتنشئة الاجتماعية أكبر الأثر في هذا الدافع، يضاف إلى ذلك البيئة المحيطة وطبيعة العصر الذي يعيش فيه الإنسان، فعصر الرسول ﷺ يختلف عن العصر الحالي والذي يعج بالمادية وحب التملك، وقد زاد الأمر لدرجة الشذوذ في سلوك الإنسان نحو التملك، وهنا تبرز أهمية الرجوع إلى الدين، وإلى دستوره الأول الصادق المنزه عن الخطأ والهوى - القرآن الكريم - والذي تحدث فيه المولى عز وجل عن النفس البشرية بما فيها من دوافع فطرية/ فسيولوجية، ودوافع مكتسبة/ نفسية واجتماعية، تواجهها يتطلب الاعتماد على الدوافع الفطرية، ثم تهذيب السلوك الإنساني الناتج عن تلك الدوافع.

ولهذا على الباحثين بصفة عامة، وعلماء النفس بصفة خاصة، الانطلاق من القرآن الكريم - جامع العلوم - عند الحديث عن أي علم من العلوم الإنسانية حتى يكون منهج الدراسة منهج سليم لا يتعارض مع حقيقة الكون التي خلقها الله وهو أعلم بها.

وقد ذهب بعض علماء النفس مثل "ماكدوجل" إلى اعتبار التملك غريزة، غير أن الدراسات الأثنوبولوجية والسيكولوجية الحديثة لا تؤيد الرأي القائل بأن

التملك غريزة، وهي تميل إلى اعتباره دافعاً نفسياً مكتسباً. وليس من الضروري أن نستنتج من وسوسة الشيطان لآدم بأنه سيدله على "ملك لا يبلي" أن دافع التملك فطري أو غريزي عند آدم وأبنائه. فمن الممكن أن نفهم أيضاً من ذلك أن إبليس حاول أن يثير في نفس آدم دافعاً لم يكن موجوداً لديه بالفعل في ذلك الوقت. وبذلك يكون آدم قد تعلم دافع التملك عن طريق إيجاء إبليس له وتأثيره فيه. نجاتي (1982: ص 40)

وإن كنا نتفق مع ما ذهب إليه "ماكدوجل" باعتبار التملك غريزة، فقط.. تحتاج إلى الإستشارة حتى تظهر على سطح السلوك الإنساني، مثلها مثل الغريزة الجنسية التي تحتاج إلى مثيرات حتى تطفو على السطح، ونرى أن انتصار الجانب الإيماني داخل الفرد على غريزة التملك لا ينفى وجودها، وإنما يثبت إمكانية تهذيبها بما يليق بسلوك المؤمن بالله.

2- دافع العدوان:

يقول الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ . [البقرة: 36]

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ . [طه: 123]

يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس اهبطوا منها جميعاً: أي من الجنة كلكم ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ (بعضكم لبعض عدو) آدم وذريته، وإبليس وذريته، وقوله (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة. ابن كثير (د.ت: ص 479)

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ . [البقرة: 30]

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: 27-30]

وتحكي هذه الآية قصة أول عدوان، فهي أكبر حرب من طرف واحد حدثت في التاريخ حيث أن خسائرها سدس سكان العالم، وتجمع الآية بين دافع التملك وبين دافع العدوان فقد دفع (قاييل) حب التملك إلى سلوك عدواني تمثل في قتل أخيه (هايل) الذي تقبل قربانه، وكان من حقه الزواج من أخت قاييل (من البطن الواحدة) الجميلة، فأبى الأخير إلا أن يستأثر بها على أخيه، وحدث ما حدث من عدوان.

ويقول تعالى:

﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾. [آل عمران: 118]

﴿إِن يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾. [المتحنة: 2]

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾. [التوبة: 79]

وتشير هذه الآيات إلى السلوك العدواني الذي يظهر في تعبيرات لفظية من غيبة ووقية، أو سبّ وتهكم وسخرية. وقد اختلف علماء النفس والمحللون النفسيون في أمر العدوان، هل هو دافع فطري أم مكتسب؟ فذهب بعضهم مثل "فرويد"، و"لورنز" إلى اعتباره دافعاً فطرياً.

ولم يوافق كثير من علماء النفس الآخرين على اعتبار العدوان دافعاً فطرياً في الإنسان، إذ أن ذلك يعطي فكرة سلبية ومتشائمة عن الطبيعة الإنسانية حيث يبدو الإنسان، من وجهة النظر هذه، ميالاً بفطرته إلى الشر والعدوان وإيذاء الآخرين. ولذلك يميل بعض علماء النفس الآخرين مثل "فروم"، و"ماسلو" إلى تأكيد النواحي الإيجابية والتعاونية والخيرة في الطبيعة الإنسانية.

وبينت الدراسات التجريبية الحديثة أن السلوك العدواني يظهر عند الأطفال الصغار إذا قيدت حركاتهم البدنية مما يسبب لهم حالة إحباط، فيظهر نتيجة لذلك السلوك العدواني. ثم تتعدد فيما بعد أثناء نمو الطفل أنواع العوائق التي تحدث له حالات إحباط، مثل العوائق الاجتماعية والقانونية والاقتصادية والسياسية والنفسية. وبينت بعض الدراسات الأخرى أن الإحباط لا يؤدي بالضرورة إلى السلوك العدواني، بل قد تظهر أنواع أخرى من السلوك مثل طلب العون والمساعدة من الآخرين. والانسحاب، والالتجاء إلى تعاطي الخمر والمخدرات، ويدخل في هذا الموقف الكثير من العوامل الخاصة بتربية الطفل، وعلاقته بوالديه وخبراته الشخصية السابقة التي تجعل الطفل يتعلم أن يستجيب للإحباط بالسلوك العدواني هو في جزء منه سلوك مكتسب، وهذا الرأي يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم من أن بطبيعة الإنسان استعداداً لكل من الخير والشر. نجاتي (1982: ص ص 42-44)

قال الله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [١٠]. [البلد: 10]

3- دافع التنافس:

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ [٢٢] عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾
 يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾

[المطففين: الآيات 22-26]

﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيَةٌ فَاسْتَغْفِرُوا الذَّنْبَ أَيَّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ . [البقرة: 148]

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣١﴾ . [الحديد: آية 21]

والتنافس من الدوافع النفسية التي يتعلمها الإنسان من الثقافة التي ينشأ فيها. وتقوم التربية التي يتلقاها الفرد بتوجيهه إلى النواحي التي يستحسن فيها التنافس من أجل تقدمه ورقبه وفقاً للقيم التي يتمسك بها المجتمع الذي ينشأ فيه الفرد. فقد يتعلم الفرد من الثقافة التي ينشأ فيها التنافس الاقتصادي، أو التنافس السياسي، أو التنافس العلمي، أو غير ذلك من أنواع التنافس الشائعة بين الناس في مختلف الثقافات الإنسانية. وقد حث القرآن الناس على التنافس في تقوي الله، وعمل الخيرات، والتمسك بالقيم الإنسانية العليا، واتباع المنهج الرباني في الحياة سواء في علاقتهم بالله سبحانه وتعالى، أو في علاقتهم الأسرية، أو في علاقاتهم مع المجتمع حتى يحظوا بمغفرة الله ورضوانه، وينعموا بدخول الجنة". نجاتي (1982: ص ص 44، 45)

4- دافع التدين:

إن التدين من الدوافع النفسية النابعة من إيمان الفرد بالله، عليه التقرب إليه بكل ما يستطيع، في منظومة إيمانية متكاملة أساسها أداء العبادات، وأركانها السلوك الإنساني القويم، وهذا يتطلب سمات نفسية خاصة بالمؤمنين، ومنها:

أ - الفوز والنجاح وتحقيق ما يصبوا إليه الفرد بإيمانه مما يجعله يشعر بالرضا الذاتي.

ب- الخشوع والتضرع والابتهاج إلى المولي سبحانه وتعالى أثناء الصلاة، مما يكسب النفس سكينه وأمناً، وهذه صفات النفس السوية التي يشير إليها علم النفس.

ج- نبذ اللغو من الحديث وتوافه الكلام مما يضيفي على شخصية الفرد مهابة وجلالاً وثباتاً انفعالياً ضرورياً، فالمرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم ظهر.

د - الإحساس بالآخرين والعمل على مساعدتهم مادياً ومعنوياً، وفي تأدية الزكاة والصدقات تعبيراً أصيلاً عن هذا الإحساس، وبهذا يشارك الفرد في إسعاد غيره ومن ثم إسعاد نفسه.

هـ - الحفاظ على مقومات اللذة الجنسية لتكون في موضعها الشرعي بعيداً عن الفسق والزنا حتى لا يقع الفرد صريع عقدة "الشعور بالذنب"، والندم والخوف إذا تعدي حدود الله شرعاً والتي حرمها تحريماً قاطعاً.

و- العناية بمجالات وأمور الغير، والوفاء بالوعد حيث أن ذلك يجلب للفرد تقديراً ذاتياً واحتراماً ووقاراً من جانب الآخرين. الطويل (1982: ص ص 1، 2)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑪ ﴾

[المؤمنون: الآيات 1-11]

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ⑫ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ⑬ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ⑭ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ⑮ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ⑯ ﴾ [الفرقان: الآيات 63-67]

ورغم أن دافع التدين هو دافع نفسي، إلا أن له أساساً فطرياً داخل تكوين الإنسان، والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تدل على فطرة التدين.

وقد يتبادر إلى أذهان البعض من المتشككين في وجود الخالق عز وجل، وصدق رسالة الإسلام، أن القرآن الكريم تناقض آياته بعضها البعض، فقد قال المولى عز

وجل في كتابه العزيز (وهديناه النجدين). أي الخير والشر سواء، وله أن يختار بينهما متأثراً في ذلك ببيئته المحيطة، فقد يكون شريراً لا يعرف عن الدين شيئاً، أو خيراً لا يعرف عن الشر شيئاً، فتنتفي هنا ميزة الاختيار، ومن ثم يبقى الفاسد على فساده، والصالح على صلاحه.

ونرد على ذلك بأن كل من المشركين والكفار ومعتقي نظرية المادية كلهم بداخلهم التدين بأساسه الإيماني. فالمشرك يؤمن بوجود رب لا يراه، فعبد الصنم رمزاً مقتنعاً بأنه ظل الله على الأرض، ومن كفروا بوجود الله ويؤمنون بأن أصل كل شيء هو المادة الخالصة، هم أيضاً يؤمنون بتلك المادة كأساس لكل المخلوقات. فالإنسان مهما بلغ من قوة وسلطان هو في حاجة إلى من يلجأ إليه يؤمن به وبقدرته على إنقاذه، وداعماً له في كل فعل يفعله، حتى الذين لا يؤمنون بأي شيء، هم مؤمنون في ذلك بملذاتهم وانحرافهم الأخلاقي لا يريدون رادعاً يجرهم عن أفعالهم ويمنعهم عن الغرق في حيوانيتهم.

والإنسان في رحلة إيمانه وتدينه يتأثر دوماً بنشأته الاجتماعية والبيئة المحيطة به، بل والفكر السائد في مجتمعه خرافياً كان أو علمياً، فعادة ما يكون الدين موروث، تلك القضية التي شغلت الكثير من الفلاسفة والمفكرين وعلى رأسهم الإمام الغزالي في رحلته من الشك إلى اليقين، ولعل ذلك ما يبرر لنا لجوء بعض الناس نتيجة سيطرة الخرافات في مجتمعهم إلى السحر والتمايم والأفعال التي لا يقرها أي دين طلباً للحماية، من المرض أو من الحسد أو من الكوارث أو لطلب المنفعة، وذلك لأنهم لا يعلمون غير هذه الوسائل، بالإضافة إلى أنهم لم يجدوا من يثير فيهم فطرة التدين، والتي تنقسم إلى فطرة تدين خاصة بالإسلام، وفطرة تدين عامة متأصلة داخل النفس البشرية عموماً، وتحتاج إلى ما يثيرها من مثيرات حياتية، فمثلاً عندما هدمت الكعبة قبل الإسلام وأراد الناس إعادة بناءها - وكان ذلك في الجاهلية - قاموا بجمع التبرعات لبنائها - دافع التدين العام - ثم أعلنوا أثناء الجمع أن لا يوضع في هذه الأموال مال بغي، أو مال مظلمة - أي مال أخذ بالباطل دون حق

- وكانهم يؤكدون على القاعدة الإسلامية التي لم تكن ظهرت بعد، وهي أن الله طيب ولا يقبل إلا الطيب، وعلى الوجه الآخر فإن هذا الفعل ينطق بشكل غير مباشر بما جاء به القرآن بأن الدين عند الله الإسلام، دين الفطرة المتأصل داخل النفوس - دافع التدين بالإسلام - وسبحان الله العلي العظيم الذي أنبأنا بذلك في قوله الكريم:

﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِن مَّا أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: 30]

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: 172]

وفي هذه الآية "نخبرنا تعالى أنه استخراج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكنهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم". ابن كثير (1982: ص 63)

.. ومن العوامل التي تساعد على إيقاظ وبعث دافع التدين في الإنسان ما يحيط به في بعض الحالات من أخطار تهدد حياته، وتسد أمامه جميع سبل النجاة، فلا يجد منها مهرباً إلا الالتجاء إلى الله فيندفع إليه سبحانه وتعالى بدافع فطري طالباً منه المعونة والنجدة مما يحيط به من أخطار. نجاتي (1982: ص 47)

يقول تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَنَّهُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُم أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُنجَيْنَا مِن هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [يونس: 22]

﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِن أُنجَيْنَا مِن هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: آية 63]

5- الدوافع اللاشعورية:

إن الدافع اللا شعوري هو الدافع الذي لا يشعر به الفرد أثناء قيامه بالسلوك أياً كان السبب في عدم الشعور به، ولكن مدرسة التحليل النفسي "مدرسة سيجموند فرويد" تقسم الدوافع اللا شعورية إلى دوافع لا شعورية مؤقتة، وهي دوافع يمكن أن يدركها الفرد، لو أخذ بمعنى النظر في سلوكه وفي دوافعه.

ودوافع لا شعورية دائمة، وهي الدوافع المكبوتة التي يصعب على الفرد إمطاة اللثام عنها إلا بطرق علاج خاصة كالتحليل النفسي مثلاً...

(أ) الكبت:

وهو الاستبعاد اللاشعوري للمشاعر أو الأفكار أو الصدمات الانفعالية أو الحوادث المؤلمة.. استبعادها من حيز الشعور إلى حيز اللاشعور. وكبت الدوافع يعني إنكار هذه الدوافع. والإنكار يعني تجنب الفرد الواقع المؤلم أو المسبب للقلق، فهذا ينكر أن حبيته قد ماتت رغم وجود الدليل المقنع لهذه الواقعة، ولا يطيق أن يناقش هذا الدليل أو حتى فكرة موتها.

ومن وظائف الكبت أنه وسيلة دفاعية وقائية، لأنه يقي الفرد مما تعافه نفسه وما يسبب له الضيق، وما يتنافى مع مثله العليا الإجتماعية، والخلقية، والجمالية، وما يمس احترامه لنفسه، كما أنه يمنع الدوافع الثائرة المحظورة من أن تفلت من زمام الفرد فتعرضه لما لا يحب ولا يرضي، والشعور المصاحب للكبت هو الشعور بالذنب رغم هذا فإن للكبت مضار أقلها أنه خداع للذات.

ويتصل بالكبت العُقد النفسية، وهذه عبارة عن مجموعة من الأحداث والذكريات المكبوتة المشحونة بشحنة انفعالية شديدة من الخوف والغضب والاشمئزاز، ويتميز السلوك الناتج عنها بعدم تناسبه مع المثير، ذلك أنه يتميز بالقسر والنفجاجة والاندفاع.

(ب) العقد النفسية:

استعدادات مكبوتة (لا شعورية) لا يفتن الفرد لوجودها، ولا يعرف أصلها ومنشأها، تدفع الفرد إلى ضروب شاذة من السلوك الظاهر والتفكير والشعور، وهذا كله يصدر منه دون قصد أو إرادة، والعقد يمكن أن تنشأ من صدمة انفعالية واحدة، أو تجارب مؤلمة متكررة مرت بالفرد أو تكون رد فعل التربية الخاطئة في عهد الطفولة، تربية بالقيود الغير مبررة، والتخويف، أو التأثيم، أي تجعل الطفل أسير الشعور بالذنب في كل ما يقول وفي كل ما يفعل.

على أنه ينبغي لنا أن نعرف أن هناك تفاصيل عامة صاحبت ملاسات العقد النفسية تكون منسية نسياناً تاماً، وهذه يكشفها التحليل النفسي، وجدير بالذكر أن العقد تسمى بالانفعال الغالب عليها. فيقال عقدة الذنب أو عقدة النقص.

والكبت يختلف عن القمع: فالقمع هو الإستبعاد الشعوري أي الإرادي المؤقت للدوافع.. أي ضبط النفس، لذلك لا يقدر عليه الطفل. القمع إذاً عملية شعورية إرادية، تشعر فيها بالدافع ونعترف به ولا ننساه، والشعور المصاحب له هو العار على أن تكرر قمع الدافع - سواء أكانت رغبة أم كانت انفعالاً - يؤدي إلى كبته. عوض (1982: ص ص 143-145)

وقد أشار القرآن الكريم إلى التعبير اللاشعوري عن طريق فلتات اللسان عما يجيش في النفس من دوافع يحاول الإنسان كتمانها وإخفاءها. نجاتي (1982: ص 48)

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴾ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ . [محمد: 29-30]

الفصل السادس

الانفعالات الإنسانية بين القرآن الكريم وعلم النفس

الفصل السادس

الانفعالات الإنسانية

بين القرآن الكريم وعلم النفس

الانفعال هو حالة نفسية وجدانية يصحبها اضطراب نفسي وجسمي. فإذا كنت جالساً تقرأ في جريدة، ثم وقع بصرك على نعي وفاة صديق لك، فإنك تنفعل انفعال الحزن. فما هو السبب؟.

إن حياة الشخص تسير في سلسلة من الميول والعادات، يتطبع بها ويوطن النفس عليها، فإذا حدث ما يخالف نظام التفكير العادي، فإنه يصطدم بشيء جديد غير منتظر مخالف للعادة، فتحدث صدمة نفسية، هي التي تسبب اضطراب العقل والجسم.

ويأتي الانفعال فجأة دون تمهيد، كالسيارة التي تجرى على الأرض الممهدة السهلة؛ ثم تصطدم فجأة بجدار أو شجرة، فتضطرب وتهتز. فتفكيرك العادي الذي يجرى مجراه الطبيعي، هو أن صديقك حي يرزق، قمت تقرأ الجريدة تطلع فيها على الأخبار، فإذا بك تفاجأ بنأ وفاته على غير انتظار، فتحصل هذه الصدمة النفسية التي نسميها الانفعال، وكلما كانت العادات التي يعارضها الأمر الجديد متمكنة من صاحبها، قديمة التكوين، كان الانفعال أقوى وأشد.

ولابد من وجود مؤثر خارجي يؤدي إلى الانفعال، الذي يتوقف على إدراك الشخص للمؤثر. فإذا أدرك أحد الناس (نكتة) في حديث.. ضحك، وإذا لم يدركها لم يضحك. فالمؤثر في المثال السابق هو: نبأ الموت. ولا ينبغي أن يكون المؤثر شيئاً مادياً، فقد يكون المؤثر ما يتذكره أو ما يتخيله؛ فالأم حين تتذكر موت أبنها تنفعل انفعال الحزن وتبكي، وإذا تخيل شخص أنه راكب طائرة ووقعت به فإنه يخاف، وهكذا

ومن الملاحظ في وقت الانفعال؛ أن الانتباه بعد أن يكون هادئاً عادياً؛ بحيث يدرك الإنسان أغلب ما يمر به من حوادث، يتركز في مصدر الانفعال فقط، وينصرف عن كل ما عدا ذلك. ويتوقف تركيز الانتباه على حدة الانفعال، لذلك لا يدرك الشخص الأشياء التي تحيط به، كأنها غير موجودة.

كذلك تنقطع سلسلة تداعي المعاني، وتتجه الخواطر في طريق جديد أساسه مصدر الانفعال. فالتاجر الذي تتسلسل الأفكار في ذهنه، ويدور محوراً على هذا النسق: البضاعة وأنواعها، وثمانها، والعملاء، والديون التي له والتي عليه.. الخ، إذا سرق لص حافظة نقوده، انقطعت سلسلة تفكيره الأولى، وبدأ يفكر في اللص، وكيف يمسك به، وكيف يعاقبه، وكيف وقعت السرقة، وماذا يعمل إذا لم يعثر على الحافظة.. الخ.

وقد يزداد النشاط العقلي وقت الانفعال، فتزداد حدة الخيال، ويهبط على الإنسان نوع من الإلهام يتدع به الأمور الجديدة، بعد أن يكون العقل جدياً. فالانفعال قد يبعث على اختراع الأفكار الجديدة، فالغيرة بين الطلبة في المدرسة دافع إلى إحرازهم السبق في العلوم. وقد يؤدي الانفعال إلى شل حركة الفكر والعمل؛ بحيث يضطرب التفكير، ويرتبك الشخص حتى يعسر عليه فهم الموقف المحيط به، ولا يدري ماذا يقول أو يفعل، وقد يصل به الأمر إلى حد البلاهة.

ومهما يكن من شيء، فإن الإنسان في ساعة الانفعال يفقد قوة ضبط النفس،

فتصدر الأعمال لا عن روية وتفكير وعزيمة، بل عن نزوة واندفاع، لأن الإنسان لا يكون له سلطان على نفسه. وإذا كان حقاً أن التفكير قد يعمق، والخيال قد ينشط، فهو تفكير يطغى على صاحبه، فلا يستطيع أن يوجهه كما يريد. وهذا الاضطراب العقلي مدعاة إلى فقدان قوة الحكم والنقد، فيصبح الإنسان عرضة للاستهواء وسهولة التصديق.

وكثيراً ما يكشف الانفعال قناع العادات المكتسبة والآداب المتبعة، فتبرز سريرة الشخص خالصة من غشاء التقاليد ورداء العادات، حتى ليرجع الإنسان إلى الحالة الحيوانية أو يتصرف تصرف الطفل، الأهواني (1938) ويظهر ذلك جلياً عند الانفعال في مشاجرة بين اثنين، قد يتلفظ أحدهما بألفاظ خارجة عن حدود اللياقة والأدب، تكون مخالفة لما عُرِفَ عنه من سلوك قويم، وقول حسن.

كما أن هناك علاقات بين الجسم والعقل تبدو كذلك في الحالات الانفعالية. فكل حالة كالخوف، أو الغضب، أو التقرز، يمكن تحليلها إلى عناصر ثلاثة، ففي حالة الخوف مثلاً نجد ما يأتي:

- 1- إحساسات وإدراكات صادرة من الموقف أو الموضوع المسبب للخوف.
- 2- الشعور النفسي الخاص المعروف بالخوف.
- 3- حالة نزوعية ترمي للتخلص من الموضوع أو الموقف المسبب للخوف.

وإلى جانب هذا، توجد تغيرات فسيولوجية مصاحبة للانفعال، ويوجد إدراك لبعض هذه التغيرات. فلدينا إذن في الحالة الانفعالية التي نحن بصددنا نواح ادراكية تسبقها وتصحبها، وكذلك توجد تغيرات جسمية نشعر ببعضها، كجفاف اللعاب وسرعة دقات القلب وسرعة التنفس، وكثير من هذه التغيرات يمر دون أن نشعر به إطلاقاً.

ولدينا كذلك الحالة النزوعية التي تتلخص في الرغبة في الخلاص من الموقف أو الموضوع بطريقة ما. وهي في العادة طريقة الهرب.

ومن التجارب التي أجراها (كانون Cannon) لملاحظة ما يصحب الانفعال من تغيرات أنه فحص بأشعة (أكس) قطة بعد أن تناولت غذاءها، فرأى أن المعدة تقوم بحركتها المنتظمة في عملية الهضم. ثم أظهر أمام القطة كلباً كبير الحجم، فلاحظ أنه بعد إدراك القطة للكلب، ظهرت عليها بملاحظاته الإكلينيكية بعض مظاهر الخوف، ومنها: أن الأوعية الدموية انقبضت في المعدة، واتسعت في أطراف الجسم، وأن ضغط الدم قد زاد زيادة كبيرة في هذه الأطراف، وأن تغيرات عدة طرأت على إفرازات الغدد؛ مما أدى إلى زيادة العرق، وقلة اللعاب، وزيادة الأدرينالين الذي يساعد على رفع نشاط الجسم كله إلى درجة كبيرة.

وقد أثارت التغيرات الجسمية المصاحبة للانفعال، نقاشاً وبعثاً كثيرة، ولكن الأدلة التي قدمها (كانون) وأمثاله، ترجح أن الانفعال حالة تنشأ في شعور الكائن الحي بعد إدراكه نفسه في مجال معين، وترجح كذلك أن التغيرات الفسيولوجية تتبع ذلك مباشرة، ووظيفتها على حسب رأي (مكدوجل): أنها تساعد الفعل الغريزي ليتم على أكمل وجه ممكن. فإذا ما أثرت غريزة الهرب، فإن غرض الغريزة يتحقق بسرعة الهرب، ولأجل أن يتم ذلك على أكمل وجه ممكن، فإن الأعضاء الداخلية تتكيف لتساعد هذه العملية، وهي عملية الهرب، فيسرع القلب في عمله ليوزع الدم على أجزاء الجسم، وتسرع الرئتان في عملها لأخذ الهواء النقي وطرد الفاسد، حتى تتم عملية الاحتراق بسرعة، ويتوزع الدم بحيث يترك المعدة والأمعاء، إذ يمكن لهاتين أن تكفا عن عملهما جزئياً أو كلياً في هذه اللحظة، وذلك لأن الجسم في حاجة إلى كل ما به من نشاط.

واستثارة أحد المجموعتين إلى درجة كبيرة يتطلب كفاً الآخر، ويتوزع الدم أيضاً بحيث ينتشر في المخ وفي العضلات الكبيرة التي تساعد الفرد على الهرب. كذلك تقوم الغدد فوق الكلوية (الكظرية) بزيادة إفراز الأدرينالين الذي ينشط العضلات الكبيرة كالأيدي والأرجل، وبذلك تتمكن من مواصلة النشاط الذي يساعد على إتمام الفعل الغريزي. كذلك يأخذ الدم من الكبد كمية من السكر

المخزون به بعد تحويله؛ بحيث يصبح سهل الاحتراق، وبذلك تكسب العضلات نشاطاً كبيراً يساعد في أداء عملها.

وهذا الرأي الذي قال به (مكدوجل) عن وظيفة التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للانفعال، يتفق كثيراً مع رأي (كانون)، ومع رأي (داروين) الذي يسمي هذه التغيرات بالأفعال المساعدة المصاحبة.

يدلنا ما ذكرناه هنا عن الانفعال على أن الحالات الانفعالية وهي حالات نفسية صرفة يصحبها ويتبعها مباشرة تغيرات فسيولوجية ضرورية للحالة النفسية؛ أي أن هناك علاقة قوية بين الحالات النفسية والجسمية عند حدوث الشعور الانفعالي، ولو أننا لا نعلم على وجه التحقيق كنه هذه العلاقة. القوصي (1956)

تلك كانت نبذة مختصرة عن الانفعالات النفسية، وقد كان القرآن الكريم كعادته سباقاً في الحديث عن الانفعالات النفسية، وقد اخترنا بعضها للحديث عنها من خلال الآيات القرآنية؛ وهي:

1- الخوف:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [2]. [الأنفال: 2]

قال مجاهد: (وجلت قلوبهم) فرقت أي فزعت وخافت، وهذه صفة المؤمن الحق الذي إذا ذكر الله وجل قلبه.. أي خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره، وقال سفيان الثوري: هو الرجل - المؤمن - يريد أن يظلم، أو قال يهمل بمعصيته، فيقال له: اتق الله فيجل قلبه". ابن كثير (د.ت)

ويقول تعالى: ﴿ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [16]. [السجدة: 16]

ويقول أيضاً: ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [1]

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى
الْإِنْسَانَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ . [الحج: 1-2]

وانفعال الخوف حالة من الاضطراب الحاد الذي يشمل الفرد كله، وقد وصف القرآن هذا الاضطراب بالزلزال الشديد الذي يهز الإنسان هزاً شديداً، يفقده القدرة على التفكير والسيطرة على النفس. نجاتي (1982: ص 65)

يقول تعالى في ذلك: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ . [الأحزاب: 10-11]

ويقول الله عز وجل: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ . [الأنبياء: 40]

وقال: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَعْرَظًا أَوْ مَدْخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ . [التوبة: 56-57]

وهذه الآية يصف فيها المولى عز وجل، خوف المنافقين ورغبتهم في الهرب من المؤمنين. نجاتي (1982: ص 67)

وعن خوف "موسى عليه السلام" يقول عز وجل: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ . [الشعراء: 21]

ويقول: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ . [القصص: آية 21]

ويقول: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ . [النمل: 10]

ويقول: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ . [القصص: 33]

إن الأشياء التي يخافها الإنسان كثيرة، وقد ذكر القرآن بعض مخاوف الإنسان الهامة مثل الخوف من الله، والخوف من الموت، والخوف من الفقر. والخوف من الله خوف هام في حياة المؤمن، فهو يدفعه دائماً إلى تقوي الله واسترضائه وإتباع منهجه، وترك ما نهى عنه، وفعل ما أمر به، ويعتبر الخوف من الله ركناً في الإيمان به، وأساساً هاماً في تكوين شخصية المؤمن. نجاتي (1982): ص 68

كما رأينا في الآية الثانية من سورة الأنفال، وكما سنري في الآيات التالية حيث يقول المولي عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾. [البينة: 7-8]

ويقول على لسان رسوله: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر: 13].

ويقول عن المؤمنين: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾. [النور: 37]

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطًا ﴿١٠﴾﴾. [الإنسان: 10]

أيضاً هناك الخوف من الموت في قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾. [محمد: 20]

والخوف من الموت ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: يرتبط بالإنسان العادي ونواذعه الفطرية حتى مرحلة معينة تنتهي بالإيمان الحقيقي بالله والذي يخلصنا من الخوف من الموت، وهذا لا يناقض ما ذكره الله تعالى عن خوف موسى عليه السلام من أن يقتله فرعون، حيث أن هذا في بداية الرسالة المكلف بدعوة الناس إليها، وهو مازال إنسان عادى كما ذكرنا.

والقسم الثاني: الملحدون الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالحياة الآخرة فإنهم يخافون من الموت لإعتقادهم أن الموت انحلال لذواتهم وفناء وعدم لها، ولذلك فهم يجزعون لهذا المصير الذي سيتهون إليه. وقد يخاف بعضهم الموت لأنهم لا يعرفون إلى أي مصير مجهول سيؤدي بهم الموت. فإن جهلهم بالمصير الذي سيتهون إليه هو في الحقيقة ما يخيفهم ويفزعهم. نجاتي (1982: ص 70)

ويقول تعالى في الخوف من الفقر:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: آية 31]

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: 151]

وتعتبر المخاوف شارة مرضية غير منطقية، لا يعرف المريض سبباً لها، كما لا يستطيع التخلص منها أو التحكم فيها، وفي الوقت ذاته يشعر أن سلوكه في بعض المواقف يثير الخوف والقلق، ويعمل على إثارة ضحك الآخرين.

ومن المخاوف المرضية المعروفة:

- الخوف من الأماكن المغلقة.
- الخوف من الأماكن المرتفعة.
- الخوف من الأماكن المفتوحة.
- الخوف من الدم.
- الخوف من القذارة (النجاسة).
- الخوف من الازدحام.
- الخوف من الحيوانات أو من بعض أنواعها.

ويضاف إلى ذلك المخاوف من الأمور المعروفة والمحسوسة، مثل الخوف من الموت أو الخوف من الفقر، أو من المرض - وغير ذلك من الأمور المادية الملموسة - .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أي موقف مثير (للمخاوف - مثل الأماكن المغلقة أو المرتفعة أو الفقر... الخ). تصاحبه:

- 1- خبرة انفعالية (الخوف).
- 2- خبرة إدراكية (إدراك العلاقات بين أجزاء الموقف).

والذي حدث بعد فترة من الزمن في هذه الحالة، "هو التخلص من الناحية الإدراكية؛ أي نسيانها (كبتها في اللاشعور حسب تفسير فرويد)، بينما تبقى الخبرات الانفعالية (المخاوف) قابلة للتكرار بشكل آلي، عن طريق مؤثرات مشابهة (وهذا ما يفسر الخوف من نفس الفعل المثير رغم إدراكنا له ومعرفتنا المسبقة به)، فالخبرات الإدراكية المؤلمة ينساها الإنسان لأنه بطبيعته ميال إلى الابتعاد عما هو مؤلم. (فهمي، 1963: ص ص 259، 260)

2- الغضب:

في للمزيد عن هذا الانفعال يقول المولي عز وجل:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ . [الفتح:

[29

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً ءَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) [التوبة: 13]، والغلظة هنا مظهر من مظاهر الغضب الشديد لدين الله. يقول تعالى:

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جِهَدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحریم: 9]

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف: 150]

﴿قَالَ يَهْرُونَ مَامَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتُ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَومٌ لَا تَأْخُذْ بِلِحْتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: 92-94]

﴿هَتَأْتُمْ أَوْلَاءَ مُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقَوْمُ قَالَوْا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: 119]

والغضب انفعال هام يؤدي وظيفة هامة للإنسان؛ حيث إنه يساعده على حفظ ذاته، فحينما يغضب الإنسان تزداد طاقته على القيام بالمجهود العضلي العنيف (يحدث كثير من التغيرات الفسيولوجية التي من بينها إفراز هرمون الأدرينالين الذي يؤثر على الكبد، ويجعله يفرز كميات زائدة من السكر، مما يسبب زيادة الطاقة في الجسم ويجعله متهيئاً لبذل المجهودات العنيفة، التي يتطلبها الدفاع عن النفس أثناء الغضب، أو الجري أثناء الخوف).

وقد نوه القرآن - كما قرأنا في الآيات (29) من سورة الفتح، والآية (123) من سورة التوبة، والآية (9) من سورة التحريم باستخدام الشدة مع الكفار الذين يقاومون انتشار الإسلام، وهي شدة نابعة من الغضب في سبيل الله، وفي سبيل نشر دعوته، كما قال في وصف الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين.

وقد جاء في الآية (150) من سورة الأعراف، والآيات (92-94) من سورة

طه. وصف لانفعال الغضب وتأثيره في سلوك الإنسان، نجد ذلك في غضب موسى عليه السلام، حينما عاد إلى قومه ووجدهم يعبدون العجل الذي صنعه لهم السامري من الذهب، فألقى الألواح وأمسك برأس أخيه يجره إليه معاتباً.

ويميل الإنسان أن يستجيب لانفعال الغضب، بتوجيه العدوان إلى العقبات التي تعوق إشباع دوافعه أو تحقيق أهدافه، سواء كانت هذه العقبات أشخاصاً، أو عوائق مادية، أو قيوداً اجتماعية. غير أن كثيراً ما يحدث أن يُنقل الغضب أو يُحوّل إلى أشخاص آخرين لم يكونوا هم في الحقيقة، العقبة التي حالت دون تحقيق أهداف الإنسان، أو لم يكونوا هم السبب الحقيقي في إثارة إنفعال الغضب.

فقد يغضب الطفل، مثلاً، من أبيه فينقل غضبه إلى أخيه الأصغر فيضربه لأنفه الأسباب، وتعرف هذه العملية بالنقل. وقد ورد في الآيات (92، 93، 94)، من سورة طه مثال لنقل الغضب فيما قام به موسى عليه السلام، حينما غضب من قومه لعبادتهم العجل، ولكنه وجه غضبه لأول وهلة إلى أخيه هارون عليه السلام، فأمسك برأسه ولحيته يجره إليه غاضباً.

وقد يحدث أحياناً أن يغضب الإنسان من شخص ما، ولكنه في الوقت نفسه يخشى أن يظهر غضبه نحوه لما يمكن أن يلحق به من عقاب أو أذى، وفي مثل هذه الحالات قد يُنقل الغضب أيضاً فيتجه إلى أشخاص آخرين، أو إلى أشياء مادية فيقوم بتحطيمها، أو قد يتجه إلى ذاته هو نفسه، فيقوم ببعض السلوك العدواني الموجه إلى ذاته، وذكر القرآن مثلاً واقعياً يوضح عملية نقل العدوان وتوجيهه إلى الذات بدلاً من توجيهه إلى الشخص المثير للغضب في الحقيقة، وذلك حينما وصف القرآن المنافقين وذكر أنهم يعضون أناملهم من غيظهم من المؤمنين، وحينما يعض الإنسان أنامله من الغيظ، فهو إنما يوجه العدوان إلى نفسه ويقوم بإيذائها - ولو بشكل رمزي - ، بدلاً من توجيه العدوان إلى الآخرين وإيذائهم كما ورد في الآية (119) من سورة آل عمران سالفة الذكر.

وما جاء في سورة الأعراف الآية (151) يبين لنا، أنه حينما يتملك انفعال الغضب الإنسان تتعطل قدرته على التفكير السليم، وقد تصدر عنه بعض الأفعال أو الأقوال العدوانية التي قد يندم عليها فيما بعد حينما يهدأ غضبه. وقد رأينا فيما ذكرناه سابقاً من الآيات التي تصف غضب موسى عليه السلام، أنه ألقى الألواح وأمسك برأس أخيه ولحيته وجره إليه غاضباً، ومعاتباً ظناً منه أنه قصّر في نهيمهم عما فعلوه عن عبادة العجل. فلما زال غضبه وعاد إلى هدوئه وعرف أنه نهاهم عن ذلك ولكنهم استضعفوه وكادوا يقتلونه، استغفر الله على ما فعل بأخيه قبل أن يعرف حقيقة ما حدث.

ولما كان الإنسان يفقد القدرة على التفكير السليم أثناء ثورة الغضب، وفي أثناء الانفعالات الشديدة بعامة، فإنه يجدر بالإنسان أن يمتنع في أثناء ثورة الغضب عن القيام بأفعال قد يندم عليها فيما بعد، كما يجب عليه أن يتعلم كيف يسيطر على غضبه، وتتضح من ذلك الحكمة في توصية الله تعالى للناس بالتحكم في انفعال الغضب، وكظم الغيظ، كما ستعرض لذلك فيما بعد عند كلامنا عن السيطرة على الانفعالات.

للمزيد عن هذا الموضوع أنظر كتاب حقوق الإنسان النفسية بمكتبة مركز إعداد القادة

3- الحب:

إن انفعال الحب من الانفعالات المصاحبة للإنسان طوال حياته، يتدرج في العظمة والأهمية والمكانة. فأعظم أنواع هذا الانفعال هو الانفعال بحب العبد لربه وهو حب منزّه عن كل شيء. فيه اجتناب المعاصي حباً وليس خوفاً من النار، وفيه فعل الأعمال الصالحة حباً وليس طمعاً في الجنة.

ثم تأتي انفعالات الحب وتتفاوت درجاتها ما بين حب الأم والأب وحب الأصدقاء، وحب الوطن.. الخ.

وقد تحدث المولى عز وجل عن أنواع الحب في عديد من الآيات، نذكر منها قوله تعالى عن حب الذات: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188].

وعن حب فعل الخيرات والأعمال الصالحة يقول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسُ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: 49].

وعن حب الإنسان للنعم، والخوف من الشرور في صورها المختلفة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [المعارج: 19-21].

وفى الآيتين الكريميتين يجمع المولى عز وجل بين انفعال الحب، وانفعال الكره لكل ما يرى فيه الضرر.

وعن حب الناس يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوَاتُورِ اللَّهِ ۝٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢٩﴾ [المعارج: 19-29].

وقد وضع المولى عز وجل آثار انفعال الحب على أفعال الناس من إنفاق في أوجه الخير المختلفة، وجعل هذه الأفعال من صفات الإنسان المؤمن المصدق بيوم القيامة، وبالجنة والنار، وهى صفات حقيقية ثابتة خاصة فيما يتعلق بجانب الإنفاق الذي يؤجر المرء عنه عادةً في الآخرة؛ أي أنه أجر غير فورى يحصل عليه الإنسان مقابل إنفاقه، نضف إلى ذلك حبه للتملك، والمال، والقناطر المنقطة من الذهب والفضة، مما يصعب الأمر على ضعاف الإيمان فيما يتعلق بالإنفاق، خاصة أن الأجر الدنيوي قد يكون في صورة معنوية غير محسوسة، كالنجاة من الكوارث

والأزمات، أو المرض، فطالما أن الإنسان سليماً معافاً لن يحس بأجره عن صدقته في صورة الصحة التي ينعم بها، كما وصفنا سابقاً إحساس الإنسان بأن ما ينعم به من نعم؛ إنما في حق مكتسب له، وكأنه حق على خالقه لا بد وأن يأخذه، فيتخطى تلك النعم بحثاً عن كل ما يفتقده من نعم أخرى.

ويقول أيضاً: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١٣﴾﴾. [آل عمران: آية 103]

ويقول في سورة الأنفال: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾. [الأنفال: 62-63]

ويبين المولى عز وجل أن الاعتصام به هو أساس الوحدة بين الناس على أسس من الحب والألفة، حتى أن العداوة تتحول إلى أخوة، وأن الحب من الله سبحانه وتعالى، لا يباع ولا يشتري بالدرهم والدينار، بل ينعم به الله علينا بحسن الخلق ومعاملة الناس بالحسنى، وإعطاء كل ذي حق حقه، بعيداً عن العدوان والتجبر، وأخذ حقوق الناس بالباطل كما يحدث الآن من شقاق، وكرهية، وتباغض، وحسد، وما إلى ذلك من السلوك الإنساني المعيب الذي طغت عليه المادة حتى لم يعد في قلوب البعض مكان للحب أو الآخاء، طمعاً في عز زائف، ومكانة اجتماعية زائلة، ونرى أن كل ذلك كان جزاء بُعدنا عن تعاليم الدين السمحاء، حتى وصل بنا الحال إلى منع الخير عن غيرنا، انطلاقاً من أننا لن نستفيد من هذا الخير، وصدق الله العظيم حين يقول:

﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْآيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾. [الحشر: 9]

إن الطمع الدنيوي في المجد الزائل، والزعامة الهشة على أنقاض العالم العربي والإسلامي، هو الذي أدى بنا إلى ما نحن فيه من فرقة، وصلت إلى حد اتهام بعضنا البعض بالعمالة، والخيانة، هرباً من المسؤولية عما نحن فيه من إهدار للكرامة، واستباحة للعرض، والمال العربي المهدر في إنشاء الفضائيات، والباقي مخزن أغلبه في بنوك الغرب، وذلك بدلاً من أن يتحول إلى مشروعات وابتكارات تفيد الأمة المهلهلة ذاتياً، والتي اكتفت بمد يدها للمولى عز وجل داعية بالنصر على أعداء الإسلام، ولا تدرى أنها أول أعداءها !!، لقد اتفقنا على أن ندمر أنفسنا، ونمحي هويتنا، ندور في فلك من هم يستحقون الحياة عنا، في صورة مخزية من صور ما يسمى بالصراع العربي الإسرائيلي، ذلك المصطلح المخترع لتجميع القضية، وضياح الحقوق.

لقد نسينا الأخذ بالأسباب، وأولها التمسك بتعاليم الإسلام، والتمسك بسنن الله في الكون، والتعلم من الأمم السابقة التي تحدث عنها القرآن، الذي ابتعدنا عما فيه من معاني وأوامر ونواهٍ وقيم، في بحق طوق النجاة لما نحن فيه من مهانة، وصدق الله العظيم حين يقول:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ . [التوبة: 71]

وفي الحب الجنسي يقول القرآن الكريم:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ . [الروم: 21]

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ . [آل عمران: 14]

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۗ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ . [يوسف: 30]

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ ۗ وَلَقَدْ رَوَدتُّهُ ۗ عَن نَّفْسِهِ ۗ فَاسْتَعَصَمَ ۗ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَتِهِ ۗ لَيُصْجَعَنَّ ۗ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۗ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ . [يوسف: 32-33]

وقد تحدثنا عن الدافع الجنسي؛ وتبين لنا أنه من الدوافع الفطرية، والتي تمتاز بأنها دوافع عامة ومشتركة بين جميع الأفراد. وقد هذب الإسلام هذا الدافع الفطري بإضفاء الشرعية على العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة عن طريق الزواج، ووضع له الشروط اللازمة لصحته وذلك لبناء أسرة سليمة تكون نواة لمجتمع صحيح لا مكان فيه لاختلاط الأنساب.

وقد عرفنا هدف الجنس: بأن غايته الأصلية هي الاتصال الجنسي المؤدي إلى التكاثر وتظهر في الإنسان مكتملة النمو في دور المراهقة.

فالإسلام لم يرفض الجنس، ولم يصوره في صورة الشيطان الأعظم كما تفعل بعض الأسر مع أبنائها، فقد بين الإسلام أن دافع الجنس وما يصاحبه من حب جنسي هما من الأشياء الطبيعية في تكوين الإنسان، إلا أنه رفض الشاذ منه بين الرجل والمرأة أو المرأة والمرأة، كما أنه رفض ممارسة الجنس بشكل غير شرعي. فالهدف من الجنس هو بقاء النوع لإعمار الأرض، وهو من جهة أخرى من العبادة، وقد جعل الله سبحانه وتعالى صدقة للزوج الذي يجامع زوجته، بل وجعل ممارسته في الإطار الشرعي صفة من صفات المؤمنين

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ وِرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ . [المؤمنون: 5-7]؛ أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا ولواط، ولا يقربون سوي أزواجهم التي

أحلها الله لهم، ومن تعاطي ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج. (فمن ابتغي وراء ذلك)، أي غير الأزواج (فأولئك هم العادون)، أي المعتدون. وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم)، قال: فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين. ابن كثير (د.ت: ص 559)

وقد اثبت علم النفس أن الاستمناء باليد، أو ما يعرف (بالعادة السرية) له آثار نفسية سيئة على الإنسان، ما بين الشعور بالذنب، والإحساس بالنقص وعدم المساواة بغيره من البشر الذين يمارسون حياتهم بشكل طبيعي؛ مما يؤدي إلى الإحباط واليأس من الحياة.

وفى النهاية تجدر بنا الإشارة إلى المتعة الحسية؛ وهى من نعم الله على الإنسان، لتزيد سعادته في الحياة الدنيا، خاصة بين الناس الذين لا يملكون من المتع المتعددة والمختلفة سوى الطعام والجنس، فالأمر لا يقتصر على التكاثر وبقاء النوع فقط، فالأمر أوسع من ذلك بكثير، وقدرة المولى عز وجل ليست عاجزة عن إعمار الأرض بالبشر، أو بغيرهم من المخلوقات دون الجنس، فهل احتاج وجود آدم عليه السلام، وحواء، والنبي الكريم عيسى ابن مريم، لاتصال جنسي!.

ومما يؤكد هذه السعادة، ميل بعض الرجال الجنسي نحو غير زوجته من بعض النساء، نتيجة ما يحدث من ألفة بين الزوجين، واعتياد كل منهما على الآخر، مما يُحدث نوعاً من الفتور في العلاقة الجنسية بينهما، خاصة تلك العلاقات غير المتجددة شكلاً، فتصبح لبعض النساء جاذبية في أعين الرجل، والعكس، وقد عالج الإسلام هذا الأمر بغض البصر، وضرورة ارتداء النساء للزى الذي يستر ولا يشف أو يبرز مفاتها، فبالإضافة إلى سد منابع الفتنة، هناك بعد آخر لا يقل أهمية عن ذلك، وهو الحفاظ على حقوق الآخر النفسية، وطبيعة احتياجه الجنسي، ولا مكان هنا لادعاءات بعض النساء بالثقة في أنفسهن، وفى أخلاقهن، والحقيقة أننا لا ندرى أية ثقة تلك، وفى من، وأية أخلاق التي يتحدثون عنها؟!.

هل في ثقة المرأة في نفسها وفي قدرة جسدها المثير بطبيعته على جذب الرجال، وإتيانهم بأفعال يجاسبون عليها أمام الله، أم ثقة في ملائكية الرجال أنفسهم، وأنهم نزلوا من السماء، لهم العصمة من الوقوع في الزنا، وفي مقرباته من نظر وغير ذلك من المعاصي!!، وأية أخلاق تلك التي تجعل من المرأة سلعة يشاهدها كل من يمر عليها، أن ما يحدث وتجهله المرأة، هو إهانة لجسدها الذي أكرمها الله به، فهو ملكاً لخالقه ليس من حقها إهانته، وتحقيره، ولا يمكننا أن نغفل دور الأزواج في ذلك الأمر، فمن الأزواج - الذين لا يحملون من صفات الرجولة سوى أسمها وملاحمها الشكلية، وهم أبعد ما يكون عن معناها الحقيقي - من يجب ذلك، حتى يقولوا الناس عنه أنه صاحب ذوق في الاختيار، وأن زوجته جميلة!!.

كل ذلك يؤدي إلى الفتنة؛ ومن ثم وقوع المحذور، وهو الزنا بكل مقرباته انطلاقاً مما ذكرناه سابقاً من أن الإنسان يبحث دائماً عن ما ينقصه من نعم وملذات، وهذا ما يؤكد لنا صدق الدين الإسلامي المنزل من عند الله العالم بطبيعة الإنسان النفسية، حتى وإن لم يصرح بها، أو يعلمها من الأساس، وسبحان الله العظيم، إن كلاً من الرجل والمرأة في تلك العلاقة الفاترة، هما في نفس الوقت مصدر جذب لغيرهما من أزواج وزوجات يمرون بنفس العلاقة!.

إذن في علاقة مهمة تحتاج منا اهتماماً أكبر، وعناية، وثقافة، وصراحة متناهية - فالكثير من المشاكل بين الزوجين أساسها الكتمان لاعتبارات تتعلق بالتقاليد والأعراف والتنشئة التي تغلف الجنس بغلاف من الرهبة والخوف الذي يصل إلى حد الرعب في بعض الأحيان - خاصة فيما يتعلق بمواطن النفور، أو الجذب في الزوجين، ولا يدري أي منهم أن ما يمرون به من ضغط عصبي، وتوتر نفسي، ومشاكل تحدث لأتفه الأسباب؛ إنما سببها القصور في إشباع تلك الغريزة، والذي يؤدي إلى مشاكل بين الأزواج لا حد لها، وإن كنا لا نشعر أن سوء العلاقة الجنسية وما بها من منفرات لبعض الناس في الأساس لأغلب المشاكل، فهذا لا ينفي السببية، وإنما يؤكد جهلنا بما هو مفروض أن تكون عليه العلاقة الجنسية من رقى،

واحترام للآخر ورغباته، حتى نصبغها بصبغة إنسانية، تليق بالإنسان الذي كرمه المولى عز وجل.

(أ) الحب الأبوي:

لقد تحدثنا عن دافع الأمومة وما يصاحبه من حب الأم لوليدها، وذكرنا أنه يشكل مع دافع الجنس، دوافع فسيولوجية فطرية تدفعها إلى أنواع السلوك الضرورية لحفظ الذات.

ولما كان الأب لا يرتبط بأبنائه بمثل هذه الارتباطات الفسيولوجية التي تربط الأم بأبنائها، فإن علماء النفس المحدثين لا يعتبرون دافع الأبوة دافعاً فسيولوجياً كدافع الأمومة، ولكنهم يعتبرونه دافعاً نفسياً. ويظهر دافع الأبوة واضحاً في حب الأب لأبنائه، فهو مصدر متعة وسرور لهم، ومصدر قوة وجاه، وعامل هام في استمرار دور الأب في الحياة، وفي بقاء ذكراه بعد موته. يتضح ذلك من دعاء زكريا عليه السلام ربه أن يهبه غلاماً يرثه ويرث آل يعقوب:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَىٰ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرْتِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ . [مريم: 4-6]

ويلاحظ أن حب البنين جاء في القرآن مقروناً بحب المال، في كثير من الآيات كقوله تعالى:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْآيَاتُ أَن يَسْمَعُوا قَوْلَهُ ۚ بَلْ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ . [الكهف: 46]

وقوله: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ . [الإسراء: 6]

وقوله: ﴿ وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ . [نوح: 12]

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ ﴾ . [المدثر:

[13-11]

وقد أشار القرآن إلى الحب الأبوي أثناء ذكره لقصة نوح عليه السلام، وما كان يكنه من حب لابنه حينما ناداه في عطف ومحبة وحنان مطالباً له ركوب السفينة لينجو من الغرق:

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ . [هود: آية 42]

﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ . [هود: 45]

ويظهر أيضاً في حب يعقوب عليه السلام لأبنه يوسف عليه السلام وأخيه الأصغر، مما جعل أخوته يغارون منهما ويقتدون عليهما.

﴿ إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ . [يوسف: 8]

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ . [يوسف: 13]

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَعْدَىٰ عَلَىٰ يَوسُفَ وَأَبِصْرَتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ . [يوسف: 84]

(ب) حب الله، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم:

تحدثنا عن انفعال الحب وأنواعه من حب الذات، وصولاً إلى حب الوالدين، حتى وصلنا في النهاية إلى ذروة الحب المنزه عن كل غاية، حب الله وحب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، هو حب من نوع خاص، مشاعره الإيمان الصادق، وكلماته آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، حب يرجو به الإنسان رضا الله عز وجل.

لقد تحدث القرآن الكريم عن حب المؤمن لربه ولرسوله ومصطفاه ﷺ، فقد قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: 31]

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: 54]

وقال: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: 24]

وقال: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: 154]

وتبين لنا هذه الآيات أن حب الله صفة من صفات الذين آمنوا بالله وبقدرته، ويأتي بعد حب الله تعالى في ذروة السمو والنقاء والروحانية، حب رسول الله ﷺ، الذي أرسله تعالى رحمة للعالمين، ليهديهم ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، والذي اصطفاه تعالى ليكون خاتم النبيين. ورسوله للناس كافة، وأنزل عليه القرآن الكريم. ولقد كان رسول الله ﷺ، المثل الكامل للإنسان في أخلاقه وسلوكه وفيما تحلى به من محاسن الصفات والخصال، وما أدل على ذلك من وصف القرآن له بأنه على خلق عظيم.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4]

وقد أوصانا القرآن بحب الرسول ﷺ، " وقرن حب الرسول بحب الله عز وجل كما في الآية الرابعة والعشرين من سورة التوبة التي ذكرناها سابقاً أثناء كلامنا عن حب الله.

والمؤمن الصادق الإيمان يتخذ من الرسول ﷺ، الذي تحمل مشاق الدعوة، وجاهد جهاد الأبطال حتى نشر الإسلام في ربوع العالم، ونقل الإنسانية من ظلمات الضلالة إلى نور الهداية، قدوة له. نجاتي (1982: ص 84)

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا

﴾ . [الأحزاب: 21]

4- الكره:

ورد في القرآن الكريم لفظ الكره، مرة بالفتح، كرهاً، وتعنى ما أكرهك عليه غيرك؛ أي أنك مجبر على فعل ما لا تريد فعله، كما ذكرت بالضم، كرهاً؛ أي ما أكرهت نفسك عليه، فهو أمر اختياري يكون في نفس الإنسان، ولقد تناول القرآن الكريم انفعال الكره في العديد من نواحي الحياة المختلفة، ومنها قوله تعالى:

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ . [النساء: 19]

وقال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . [البقرة: 216]

وقال: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ . [التوبة: 81]

وقال: ﴿ وَمَا مَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴾ . [التوبة: 54]

5- الفرح:

الفرح من الانفعالات التي تصاحب الإنسان عند حدوث ما يتمناه، وتحقيق ما يحلم به سواء أكان شيئاً مادياً ملموساً، أو معنوياً محسوساً، فالفرح يتوقف على تحقيق الأمر بالنسبة لإنسان دون غيره، فانفعال الفرح ليس من الأشياء الثابتة فهو يختلف باختلاف الناس، فما يسعد إنسان قد لا يسعد غيره من الناس.

وعن هذا الانفعال يقول تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ . [يونس:

[58-57]

وقال: ﴿وَلَيْنِ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ﴿٩﴾ وَلَيْنِ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءً بَعْدَ ضُرِّآءٍ مَّسَّتْهُ لِيَكُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ .

[هود: 9-10]

وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ . [النحل: آية 97]

وهذا الوعد من المولى عز وجل للمؤمنين الفاعلين للخيرات وصالح الأعمال، وعن يقين بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، فوعده حق، ولكن لمن؟، لمن كان في قلبه إيمان صادق، ودليل صدقه العمل بما وقر في قلبه.

إن الإسلام دين علم، وعمل، وعبادات في البوابة للعلم والعمل، وليست مجرد حركات بدنية في الصلاة، وامتناع عن الطعام والشراب في الصيام، وإنفاق يتبعه من وأذى. فالله سبحانه وتعالى غنى عن كل ذلك، فما نقوم به من عبادات وأعمال صالحة في النهاية لراحتنا نحن في الدنيا بالتنعم بالحياة الطيبة، وفي الآخرة بجزائنا وإثابتنا بأحسن ما عملنا في الدنيا امتثالاً لأوامر الله سبحانه وتعالى.

وعن فرح المؤمن يقول المولى عز وجل أيضاً:

﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ [١١]. [الإنسان: 11]

6- الحزن:

من البديهي أن يكون انفعال الحزن عكس انفعال الفرح، ولهذا فهناك علاقة عكسية بين مثيرات انفعال الفرح، وبين مثيرات انفعال الحزن. ونستطيع أن نقول أن انفعال الحزن هو وجه الفقدان، فالإنسان يحزن عند فقد عزيز لديه أو شيئاً ثميناً، أو مال هو في حاجة إليه، وأيضاً في حالة الفشل في تحقيق ما يتمناه، وغير ذلك من حالات الفقد التي تصيب الإنسان بالحزن.

ويمكننا أن نصف انفعال الحزن بالانفعال المركب، وذلك في بعض الحالات، فالغيرة والحسد قد يكونان من مثيرات انفعال الحزن. هاتان الخصلتان إذا اجتمعتا في إنسان من المؤكد أنه سيصاب بالحزن لعدم امتلاكه لما في أيدي الغير، وانفعال الحزن كغيره من الانفعالات الأخرى، قد تحدث عنه المولى عز وجل في كتابه العزيز إذا يقول:

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ نَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٣]. [القصص: 13]

وقال: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَىٰ نَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَّتْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَنَّكَ فَتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ﴾ [٤٠]. [طه: 40]

وقال: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [٨٤] قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يَوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ [٨٥] قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [٨٦]. [يوسف: 84-86]

وقال: ﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ يَجْتُمِدُ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ . [التوبة: 40]

وقال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ . [التوبة: 92]

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنِصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ . [آل عمران: 176]

وقال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ . [لقمان: 23]

وقال: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ . [يس: 76]

وقال: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ . [الأنعام: 33]

أيضاً سبق القرآن العظيم علم النفس، في الحديث عن الانفعالات الإنسانية وقد ذكرنا بعضها، ويوجد الكثير مثل انفعالات الندم والحجل، والحزى، والزهو أو الكبر وغيرها، مما يؤكد أن الكتاب من عند الله عز وجل، وأن ما جاء به حق لا يراه كل ظالم لنفسه بالكفر، ويأتي العلم الحديث ليؤكد ما لا يحتاج إلى تأكيد - لعلهم يعقلون - ويتفكرون في كلام الله وخلقه.

كما يتحدث القرآن عن التغيرات البدنية المصاحبة للانفعالات، والتي سبق أن أشرنا إليها، في العديد من الآيات، ومنها قوله تعالى:

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ قَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ .

[الأحزاب: 10-11]

وقال تعالى: ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظَمِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مَنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴾ [١٨] . [غافر: 18]

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيَّنَّتْ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ [٧٢] . [الحج: 72]

وقال: ﴿ وَوَجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ ﴾ [٢٤] تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَافِرَةٌ ﴾ [٢٥] . [القيامة: 24-25]

وقال: ﴿ وَوَجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴾ [٣٨] صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [٣٩] وَوَجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ [٤٠] تَرَهَقُهَا قَفْرَةٌ ﴾ [٤١] أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ﴾ [٤٢] . [عبس: 38-42]

وتوضح الآيات الفرق الشاسع والكبير بين حال أهل الكفر وحال الذين آمنوا بالله وبرسوله ﷺ، واليوم الآخر، فارق بين الحزن وبين الفرح، بين الراجح وبين الخاسر. وعلى الإنسان أن يختار إلى أي فريق يجب أن ينتمي، فيقول المولي عز وجل عن المؤمنين: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ [٢٢] عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ [٢٣] تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [٢٤] . [المطففين: 22-24]

وفى التغييرات الفسيولوجية والبدنية التي تصاحب حالة الانفعال؛ وخاصة انفعال الخوف مثل اتساع حدقة العين وتعطل التفكير، يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [٤٢] مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْعِدُّهُمْ هَوَاءً ﴾ [٤٣] . [إبراهيم: 42-43]

﴿ وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [١٧] . [الأنبياء: 97]

وقوله تعالى: ﴿ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾، و﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾، وصف دقيق لما يحدث أثناء انفعال الخوف من اتساع حدقة العين، وشدة التحديق بها، وعدم

غمضها لشدة الفزع من هول ما تري، نجاتي (1982) ويشير قوله تعالي (وأفئدتهم هواء)؛ أي خراب لا تعي شيئاً لشدة ما أخبر به تعالي عنهم من مصير؛ ففقدت العقل، وتوقف التفكير. ابن كثير (د.ت: ص 303)

وعن التغييرات يقول المولي عز وجل أيضاً:

وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [١٢]. [السجدة: آية 12]

﴿وَتَرْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [٤٥]. [الشورى: آية 45]

وفي هاتين الآيتين يصف المولي عز وجل، تغير هيئة البدن كله على وجه عام أثناء الانفعال، ففي حالة السرور، والفرح، مثلاً، يبدو الإنسان نشيطاً، منتصب القامة، مرفوع الرأس، متسع الصدر. وفي حالة الحزى والشعور بالذنب والندم، يبدو الإنسان ذليلاً، مطأطئ الرأس، منكمش الجسم كأنما يريد أن يتوارى عن الأنظار، كما تحدثت الآيتين السابقتين.

ومن التغييرات البدنية التي تحدث أثناء الانفعال أيضاً انتصاب شعر الرأس وجميع الشعر على سطح الجلد، ويحدث مثل ذلك أيضاً عند الإنسان كما يحدث للحيوانات كالقطط مثلاً، ولكن في صورة أقل وضوحاً مما نراه في الحيوانات، وانتصاب الشعر الموجود على سطح جلدنا أثناء إنفعال الخوف هو ما يجعلنا نحس بنوع من القشعريرة أثناء هذا الانفعال. نجاتي (1982: ص ص 101، 102)

قال الله تعالي: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّهَا مَثَانِي نَقَشَرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [٢٣]. [الزمر: 23]

7- الغيرة:

وهي شعور مؤلم ينتج عادة من خيبة الشخص في الحصول على أمر محبوب، كشخص أو مركز أو قوة أو مال ونجاح شخص آخر في الحصول عليه، لهذا نجد أن انفعال الغيرة انفعال مركب من حب التملك، والشعور بالغضب، لأن عائقاً ما وقف دون تحقيق غاية مهمة، بل كثيراً ما تكبت الغيرة لأن النفس الشعورية لا تقبل ألم الخيبة، ولا الشعور بالنقص.

ونظراً لتعدد الغيرة نجد أن مظاهرها متعددة يختلف بعضها عن بعض اختلافات بيّنة، ولكنها مع اختلافها هذا قد يفصح كل منها عن مركب من مركبات الغيرة. فمن مظاهر الغيرة الغضب بمظاهره المختلفة من ضرب، أو سب، أو هجاء، أو تشهير، أو نقد، أو مضايقة، أو تخريب، أو ثورة، أو عصيان، أو ما يشبه ذلك.

ومن مظاهرها أيضاً الميل للصمت، أو التهجم، أو الابتعاد، أو الانزواء، أو الإضراب عن الأكل، أو فقد الشهية، أو التسليم، أو النكوص، أو الشعور بالخجل، أو شدة الحساسية، إلى غير ذلك من مظاهر الشعور بالنقص.

ويلاحظ أن كل حالة غيرة تتضمن درجة من ضعف ثقة المرء؛ من حيث مركزه في البيئة، ويعبر عن هذا بطريقة أخرى وهي ضعف ثقة المرء بالبيئة، لنأخذ غيرة الأزواج كمثال، فإن كان أحد الزوجين على ثقة تامة بالآخر، فإن احتمال ظهور الغيرة يكون قليلاً، وكذلك الأمر إذا كان المرء شديد الثقة في نفسه، ونجد أن الموقف الواحد يؤدي مع بعض الأزواج، إلى غيرة شديدة ومع بعضهم الآخر غيرة خفيفة، أو إلى لا شيء. القوصي (1956: ص 447)

وبالتطبيق على واقعنا العربي الحالي، نجد أن هناك دولاً تشعر بالنقص لضعف حيثياتها السياسية، أو الاقتصادية، أو العلمية، أو الحضارية، وغير ذلك من مقومات الدول القوية، تأخذ في الهجوم على التي تتمتع بهذه المقومات أو ببعضها، وللأسف يتجلى هذا الانفعال في أبشع صورته على الساحة العربية، وخير دليل تلك

الانتهاكات بالتواطؤ، والعمالة، والخيانة، التي تتبادلها الدول العربية فيما بينها، مما أدى إلى انقسام الشارع العربي على نفسه، وضاعت الحقائق، كما ضاعت الأرض العربية، وستضيع، إن لم تقف الدول العربية وقفة جادة، متغلبة على دوافعها، وانفعالاتها المعيبة، وتعديل سلوكها عن طريق مراقبته وضبطه، ومعرفة مدى كل خطوة، وما ستؤدي إليه مستقبلاً، فالنظر إلى ما تحت الأقدام لم يعد يجدي في ظل وجود دول تخطط لمئات السنين، ثابتة على مبادئها حتى وأن كانت تنطوي على الشر، والاستيلاء على ممتلكات الغير، ساعية إلى تحقيق مخططاتها الاستيطانية بالالتزام بسياسة واحدة لا تتغير، تتوالى عليها الحكومات، ولكل منها أسلوب عمل، إلا أنه في النهاية الهدف واحد والمخطط واحد، فقد استطاعت عدة ملايين أن تحقق المستحيل وأن يكون لها كيان، ووجود من لا وجود، عن طريق استفادتهم من دروس الماضي التي لم نستفد منها، واستطاعوا بما تعلموه وجعلوه دستور عمل لهم أن يحققوا ما فشل فيه مئات الملايين من العرب، والذين اقتصر هدفهم في الحياة على الحفاظ على دولهم بحدودها المعروفة، وبدلاً من توحيد الصف، أخذ بعضهم يكيل الانتهاكات للبعض الآخر، بالتواطؤ تارة، وبالخيانة والعمالة تارة أخرى، فإذا كنا فشلنا في توحيد الصف، والتعلم من دروس التاريخ، وأهدرنا قوتنا وثرواتنا فيما لا فائدة فيه، ولم نتفع بديننا، ولا نفذنا تعاليمه، فعلياً إذن أن نتعلم من أعدائنا، نعم الكلام به غصة ومرارة في الحلق، ولكن حتى ننجو مما وصلنا إليه من سوء حال، ومهانة، بإهدار كرامتنا بأيدينا وأيدي الغير، وما طالعنا به صحيفة (ها آرتس) الصهيونية من تعليق أو على الأحرى من سخريه مما حدث في مباراة أقيمت بين فريقين عربيين في عام 2009، لا يجمع بين جمهورهما سوى التعصب الأعمى، والحماس بحق ودون حق، اتفقاً لأول مرة على نبذ التعصب تضامناً مع ما يحدث في غزة، وما أن مرت دقائق حتى وبدأ طوفان من التخريب، والتلفظ بألفاظ نابية خارجة عن اللياقة والأدب، وتحول التضامن في لحظات إلى معركة في مباراة كل عمرها.. ساعة ونصف الساعة، هذا المثل وإن كان بسيطاً شكلاً، إلا أنه يعكس صورة الوضع الذي نحن عليه الآن كعرب، يجمعنا تاريخ واحد، ولغة

واحدة، ومصير أيضاً واحد، فللجريدة الحق في سخريتها، وعلى الأمة السلام إذ لم تنتبه من غفلتها، وتعود إلى ما يجب أن تكون عليه من مكانة وقيمة.

8- الحسد:

تتقارب أسباب انفعال الغيرة مع أسباب انفعال الحسد، ويمكن تعريفه بأنه تمني زوال النعمة عن شخص ما، لم نوفق في الحصول عليها، وقد يكون الحسد على أشياء مادية، وأيضاً معنوية، والمؤمن الحق لا يعرف الحسد لأنه مؤمن بأن ما يصيب الإنسان من خير أو شر هو من عند الله، وأن على الإنسان أن يسعى في طلب الرزق، والأخذ بالأسباب: فالمال مثلاً لا بد لنا من السعي الحلال للحصول عليه، وغير ذلك من الأمور. والحسد من الأمور التي ذكرت في القرآن بشكل مباشر، وغير مباشر، فهو حقيقة موجودة في حياتنا: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: 5].

والحقيقة أن الحسد في حقيقته ينطوي على أمرين:

- الأول: الاعتراض على حكمة المولى عز وجل في رزقه بكافة أشكاله، والذي يعطيه لمن يشاء لحكمة لا يعلمها إلا هو.
- الثاني: كفر الحاسد بنعم الله عليه، والتي لا يشعر بها لانشغاله بما في أيدي الناس من نعم.

ولهذا فإن الحسد من الأمراض الخطيرة التي تفشت بين الناس، وللتنشئة الاجتماعية غير الدينية دورها في هذا المرض، فترك الطفل في تعلقه بما في أيدي الغير من أشياء، وتيسير حصول الطفل عليها، يتحول إن لم يكن له ضابط إلى طمع في الحصول على كل ما يرغبه، ولأنه ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، تتحول الأمنيات البعيدة المنال، إلى حسد لمن يملكونها من الناس، كما إن للدوافع الغريزية دورها أيضاً، كحب التملك، ولحرمان الناس من حقوقهم المادية والإنسانية دورها أيضاً على المستوى العام، والحسد كما ذكرنا لا يقتصر على النعم المادية كالمال، أو المتاع،

بل يمتد إلى النعم المعنوية كالعلم، أو التدين، وحتى سيرة الإنسان الحسنة بين الناس لا تنجو من الحسد، ومن هنا تنبع خطورة الحسد على مجتمعاتنا.

فخطورة الحسد كمرض نفشى بين الناس - المحروم منهم، والمنعم إلى حد التخمة - أنه بمثابة بيئة خصبة لنمو الحقد؛ وبالتالي العدوان، في صورته المادية بالإيذاء الجسدي، أو في صورته المعنوية بتشويه المثل، والأخلاقيات، بل والتشكيك في علم العلماء وتجهيلهم، إلى آخره من ألوان التشويه، ويكون الفكر المسيطر وقتها على الحاسد، هو التساوي في القبح، فإذا كانت المثل والأخلاق والعلم والتدين أمور صعبة المنال بالنسبة له، فليس أقل من أن يشوه تلك الصور الجميلة، ويسعى إلى تحطيمها، حتى يتساوى الجميع في السيرة السيئة، وحتى يصبح الجميع موضع شك إلى أن يثبت العكس، ذلك الشك الذي يتبعه انهيار لكل القيم، والأخلاقيات، وكل ما نخشاه أن يزيد الأمر للدرجة التي يحتبئ فيها الصالح، والمستقيم في أفعاله عن الناس، انقاءً لسخريتهم من أخلاقياته، وصلاحه !!!.

وإلى كتاب الله لنرى ماذا قال المولى عز وجل عن الحسد:

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ . [القصص: آية 79]

وقال تعالى: ﴿ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ . [البقرة: 105]

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ آتَيْنَاهُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ . [النساء: 54]

وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُءُوكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ . [يوسف: آية 5]

وقال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ . [المائدة: 27]

والآيتان السابقتان توضحان أن الحسد قد يتواجد بين الأخوة، كما حدث من أخوة يوسف عليه السلام، وما حدث من قاييل الذي قتل أخاه هايليل. فالحسد قد يصل بصاحبه إلى القتل الذي حرمه الله عز وجل إلا بالحق.

الفصل السابع

الإدراكات الحسية

الفصل السابع

الإدراكات الحسية

تأتى أهمية الحديث عن الإدراكات الحسية، من أنها سبيل الإنسان لإدراك ما حوله من أحداث داخلية أو خارجية، ومن أشكال وصور، وغير ذلك من مكونات البيئة من حوله، كما تأتى الحواس بأهمية أكبر كونها الموصل للمخ، الذي يقوم بتحليل كل ما يصله من إدراكات يقوم بتحليلها ونجربنا عن كنهها وطبيعتها؛ ومن ثم يمكننا التعامل معها بنجاح، وهذا في كثير من الأحيان.

في أحيانٍ أخرى، تكون الملاحظة ضعيفة؛ وبالتالي لا يمكن إطلاق حكم دقيق على المدرك من الأشياء، ويتجلى ذلك الضعف في الأمور المادية المحسوسة، والتي تعتمد على حواس الإنسان لإدراكها.

فحواس الإنسان ليست أدوات يوثق بها للحصول على مقاييس دقيقة للمسافة، أو السرعة، أو الحجم، أو الشدة، كما أنها أدوات ضعيفة عندما تستخدم في عقد المقارنات. ونظراً لأن الحواس ذات مدى أو حساسية محدودة، فإنها لا تمكن الإنسان من أن يسمع نغمات كثيرة، أو يري ألوان الطيف مثلاً، أو يشعر بالاختلاف بين

المسافات التي تقع في مدى معين. كما تؤدي أي إعاقة في الحواس بطبيعة الحال إلى التقليل من القدرة على ملاحظة الظواهرات ملاحظة دقيقة.

كذلك تؤدي نواحي النقص الخلقية، مثل عمي الألوان والصمم الجزئي، والأعطاب الوقتية التي ترجع إلى التعب أو العقاقير أو الحالة الانفعالية والتدهور التدريجي للصحة بسبب كبر السن أو المرض، إلى تحريف الملاحظات. (دالدين، 1979)

أما عند "ابن سينا" فالإحساس نوعان: إحساس ظاهر، وإحساس باطن. يحدث الإحساس الظاهر عن طريق الحواس الخمس الظاهرة، وهي: البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس، ويحدث الإحساس الباطن عن طريق الحواس الخمس الباطنة، وهي: الحس المشترك، والمصورة، والمتخيلة، والقوة الوهمية أو (الوهم)، والذاكرة الحافظة.

ويعرف (ابن سينا) الإحساس بأنه: قبول الحاسة لصورة المحسوس، والقوة الحاسة مثل المحسوس بالقوة. فإذا انفعلت عنه تصبح مثله وشبهه، فالإحساس انتقال من القوة إلى الفعل، واستحالة إلى مشابهة المحسوس بالفعل، وهي فكرة أرسطية الأصل (نسبة إلى أرسطو)، وقد ذاع هذا التعريف فيما بعد بين الفلاسفة، فنجده على الأخص عند (الإسكندر الأفرويسي)، و(الكندي)، و(الفارابي)، وظلّ هذا التعريف ذائعاً طوال القرون الوسطى بين الفلاسفة اللاتينيين.

والإحساس الظاهر في مذهب (ابن سينا) يمكن إرجاعه إلى أربعة عناصر، منها ثلاثة عناصر ضرورية حتى يحدث الإحساس؛ وهي:

1- انفعال الحس: ويشترط في حدوث الإحساس انفعال الحس عن المحسوس. فإن لم ينفعل الحس لم يحدث الإحساس.

2- الوسط: ويلزم وجود وسط يتنقل خلاله تأثير المحسوس في الحس، ويقوم الهواء والماء بدور الوسط للحواس، ما عدا حاسة اللمس التي تحس باللمسة المباشرة

بينها وبين الملموس، ويتردد (ابن سينا) في أمر اللمس، فتارة يقول أن اللحم وسط له، وتارة يقول إنه ليس بوسط، ولكنه آلة اللمس.

3- اللذة والألم: يصاحب الإحساس عادة شعور باللذة أو الألم. فإذا تكيف الحس بكيفية ملائمة.. شعر باللذة، وإذا تكيف بكيفية منافية - أو منافرة - شعر بالألم فاللذة إدراك الملائم من الإحساس، والألم إدراك المنافي.

أما العنصر الرابع فليس ضرورياً لحدوث الإحساس؛ وإنما هو عنصر انفعالي يلحق الإحساس أو يصاحبه.

وفي أنواع المحسوسات: يحدو (إبن سينا) حدو (أرسطو) في تقسيمها إلى نوعين:

• الأول: المحسوس المدرك بالذات: أي تأثير المحسوس نفسه في الحس، وينفعل عنه الإحساس.

• الثاني: المحسوس المدرك بالعرض: وهو ليس في الواقع محسوساً يؤثر في الحس، وينفعل عنه الحس. وإنما هو معني يدركه الحس لوجوده عرضاً في محسوس بالذات. فالأبيض مثلاً محسوس البصر بالذات. أما كون هذا الأبيض هو فلان، فهذا محسوس بالعرض. لأن البصر لا ينفعل عنه من حيث هو فلان؛ وإنما من حيث هو أبيض فقط.

والمحسوسات المدركة بالذات نوعان: محسوسات خاصة بكل حاسة، ومحسوسات مشتركة بين الحواس جميعها، والمحسوس الخاص الذي تحسه حاسة معينة، ولا تحسه غيرها مثل اللون للبصر، والصوت للسمع. والمحسوسات المشتركة تحسها الحواس جميعها - أو بعضها - مثل الشكل والعدد والعِظَم - المقدار - والحركة والسكون. - (نجاتي، 1965)

إن للحواس أهمية عظيمة بالنسبة للإنسان، وقد خلقها الله سبحانه وتعالى لراحة الإنسان عن طريق مساعدتها له في تدبير وتسيير أمور حياته، فضلاً عن حمايتها له، ولتأخذ مثلاً دور الحواس أو بعضها في الحماية من خطر النار، فبحاسة

البصر مع الإدراك المسبق لطبيعتها نتجنب خطرهما، وحتى مع عدم وجود حاسة البصر، يمكننا اتقاء خطرهما بحاسة اللمس نتعرف عليها دون أن نراها - مع وجود الإدراك المسبق -، وهناك من الأمثلة الكثير.

إلا أن أهم ما يعيننا عند مناقشة أهمية الحواس بالنسبة للإنسان، هو الجانب النفسي، ولهذا نعرض تعريفاً عاماً لعالم الصمم على سبيل المثال، على أمل أن يبرز الناحية النفسية بشكل واقعي مفهوم.

للتخيل أن طفلاً ولد أصم في بيئة تتوفر فيها الراحة الجسمانية، والأنغام العاطفية فماذا يكون موقفه؟.

إن عالم هذا الطفل سيكون خالياً من صوت أمه المدلل، أو من أي أصوات تحمله على النوم، وكذلك من أصداء الضحك، أو عواء القطط، أو نباح الكلاب، كما أنه سيكون خالياً من صوت تصفيق الأيدي، أو وقع الأقدام الذي ينبئه أنه محبوب وليس وحيداً، ستضيع فرحته في عالمه الساكن، كما ضاعت حرارة العطف والحنان التي هي من مميزات البيئة الحقة.

وهناك أنواع متفاوتة من الشعور المبدي للأبوين الذين رزقا بأطفال صم، فهناك مثلاً: الذعر، أو الشعور بالجرم، أو الخجل، أو الشعور باليأس، أو الرفض والإعراض، وفي حالات كثيرة الحماية المبالغ فيها للطفل، وعوامل الشد والجذب والذعر، وغيرها من جانب الآباء تسبب مزيداً من التعقيد في عالم الصمم، كما تهدد قدرة الطفل على موازنة شخصيته في هذا العالم، وحتى في الحالات التي ينظر إلى الشخص فيها كوحدة واحدة، فإن الحسرة من عدم القدرة على التفاهم، ربما تشوه السنوات البنائية، والتكوينية في حياة الشخص الأصم.

وقد بينت الأبحاث في النواحي المزاجية للأصم: أن النسبة المئوية للأشخاص الصم الذين يوصفون بعدم الاتزان العاطفي، أو الذين يحتاجون إلى علاج نفسي تزيد عن ضعف النسبة في غيرهم.

وأن حالة عدم الاتزان بين الصّم أكثر قليلاً من النسبة المئوية في غيرهم، والصّم أكثر إنطواءً على أنفسهم ولكن بدرجة قليلة أيضاً. أما من حيث الاتجاهات العصبائية، فقد اتضح أن درجات الأطفال الصّم، كانت أعلى قليلاً من درجات المجموعة المقارنة.

وقد بينت الأبحاث أيضاً فيما يتعلق بالتكيف العام، أن الصّم حصلوا في المتوسط على درجات للتكيف، أقل ممن يسمعون وكانت الفروق ملحوظة، ولها دلالة إحصائية في ست حالات من اثني عشرة حالة. (حمزة، 1964)

كما سبق يتضح لنا أهمية الحواس التي خلقها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، وقد تحدث القرآن الكريم عن الحواس في أكثر من آية كما سنرى فيما بعد، توضح أهمية تلك الحواس الظاهرة في السمع، والبصر، والشم، والذوق، والحواس الجلدية. كما يتم عن طريق الإحساس الداخلي إدراكنا لما يحدث في بدننا من اختلال في الاتزان العضوي، والكيميائي كالجوع والعطش، مما يجعلنا نقوم بالسلوك الملائم سواء لظروف العالم الخارجي، أو لسد النقص في أنسجة البدن، وإعادةه إلى حالته السابقة من الاتزان العضوي والكيميائي.

الإدراكات الحسية في القرآن الكريم:

إن الإدراك الحسي وظيفة يشترك فيها كل من الإنسان والحيوان، غير أن الله سبحانه وتعالى قد خص الإنسان بوظيفة إدراكية أخرى هامة، يتميز بها عن سائر الحيوانات الأخرى، ألا وهي العقل، الذي به يستطيع الإنسان أن يعلو بإدراكه عن الأشياء المحسوسة، يفكر في المعاني المجردة كالخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والحق والباطل، فبالعقل يستطيع الإنسان مثلاً، أن يستدل من بديع خلق الله تعالى للكون بأسره وللإنسان نفسه على وجود الخالق وقدرته سبحانه وتعالى. نجاتي (1982)

يقول تعالى: ﴿ سَتْرِيهِمْ أَإِيتَيْنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: آية 53]

كما يستطيع أن يستدل على الخطر المستتر وراء الوجوه الملونة بالغش والنفاق، ويمكنه بذلك اتقاء الأضرار، والبعد عن الأذى الذي لا يراه بجواسه الخمس الطبيعية، فالعقل هو الفارق، أو يجب أن يكون كذلك بين الإنسان والحيوان، فالحيوان قد يأكل طعاماً مسموماً تقدمه له حسب قوة دافع الجوع، الذي يتحكم في إقدامه على الطعام. أما الإنسان فلن يأكل طعاماً مقدماً من عدو له، يعلم علم اليقين أنه يريد قتله والتخلص منه، إلا إذا كان مغيباً عن الوعي والإدراك، كما هو الحال الآن، فمنّا من يتعاطى في كل يوم طعاماً مسموماً من أعداءه، بلا وعى، أو إدراك، مما يبرز أهمية نعمة العقل، وأهمية الحواس، وقبل كل ذلك قدرة العقل على إدراك ما حوله من أحداث، وتاريخ لأمم سابقة ضاعت واندرثت كأن لم تكن، لغياب الفارق بينها، وبين غيرها من المخلوقات التي تحكمت فيها غرائزها حتى أهلكتها.

وعن الحواس في القرآن الكريم يقول المولى عز وجل:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: آية 78]

ويقول سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [المؤمنون: 78]

ويقول: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك: 23]

ويقول: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: 9]

لقد اكتفى القرآن الكريم بذكر السمع والبصر كأداتين من أدوات الإحساس،

وذلك: أولاً: لأهميتهما القسوى في عملية الإدراك الحسي، وثانياً: لأن في ذكرهما ما يكفي للدلالة على أهمية جميع الحواس في عملية الإدراك الحسي. وهذه خاصة من خصائص أسلوب القرآن الذي يتميز بالإيجاز البليغ، والذي يكتفي بالتلميح، والإشارة إلى الحقائق الأساسية العامة.

كما يأتي ذكر السمع في القرآن قبل الإبصار في كثير من الآيات، وذلك فيما يبدو لعدة اعتبارات:

أولاً: إن السمع أهم من البصر في عملية الإدراك الحسي، والتعلم، وتحصيل العلوم. فمن الممكن للإنسان إذا فقد بصره أن يتعلم اللغة، ويحصل العلوم، ولكنه إذا فقد سمعه تعذر عليه تعلم اللغة وتحصيل العلوم، ومما يدل على أهمية السمع في الإدراك، وفي تعلم اللغة، وهي من أهم أدوات التفكير وتحصيل العلوم، كما يذكر القرآن في كثير من الآيات السمع بمعنى الفهم والتدبر والتعقل.

ثانياً: إن حاسة السمع تعمل عقب الولادة مباشرة، بينما يحتاج الوليد إلى فترة من الزمن لكي يستطيع أن يري الأشياء بوضوح.

ثالثاً: إن حاسة السمع تؤدي وظيفتها باستمرار دون توقف - حتى أثناء النوم-، بينما حاسة البصر قد تتوقف عن أداء وظيفتها إذا أغمض الإنسان عينيه، أو إذا نام.

رابعاً: إن حاسة السمع تسمع في كل الأوقات سواء في الضوء، أو في الظلام بينما حاسة البصر لا ترى إلا في الضوء، ويذكر القرآن السمع مفرداً، بينما يذكر الإبصار في معظم الآيات في صيغة الجمع، وذلك من أدلة الإعجاز في أسلوب القرآن؛ حيث أن حاسة السمع تستقبل الأصوات الصادرة من جميع الجهات، بينما العين لا ترى إلى إذا اتجه الإنسان ببصره نحو الشيء الذي يريد أن يراه، وإذا حدث صوت في مكان يجتمع فيه جميع الناس فإنهم جميعاً يسمعون نفس الصوت تقريباً، بينما هم يرون الشيء الواحد من زوايا مختلفة، وبذلك لا تكون رؤيتهم للشيء الواحد

متماثلة تماماً. كما أنهم قد يرون في نفس الوقت أشياء مختلفة تبعاً للجهة التي ينظرون إليها، فنحن إذا سمعنا صوتاً صادراً من مكان يقع أمامنا مباشرة، فإن الموجات الصوتية تصل إلى الأذنين في وقت واحد، كما أن شدة تأثيرها على طبلي الأذنين يكون متماثلاً. أما إذا نظرنا إلى شيء ما موضوع أمامنا، فإن الصورة التي تنطبع على شبكية العين اليمنى تختلف عن الصورة التي تنطبع على شبكية العين اليسرى. فالعين اليمنى ترى الشيء من جانبه الأيمن. بينما ترى العين اليسرى الشيء من جانبه الأيسر. نجاتي (1982: ص ص 116، 117)

وقد سبق القرآن الكريم بهذا الترتيب العجيب، الحقائق التي كشف عنها العلم حديثاً مما يؤكد على إعجاز القرآن الكريم، في كل آية من آياته، يقول المولي عز وجل:

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ . [الملك: آية 10]

ويقول: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ . [آل عمران: 193]

ويقول: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ . [النور: 51]

ويقول: ﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدْيَيْنِ ءَامَنَّا بِهِ ؕ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ؕ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ آلِ رَهْقَا ﴿١٣﴾ . [الجن: 13]

ويقول: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ . [المائدة: 83]

ويقول: ﴿ أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ . [الأعراف: 100] "أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون". [الأعراف: 100]

ويقول: ﴿ فَضْرَبْنَا عَلَىٰ عَٰذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (١١). [الكهف: 11]

وعن حاسة اللمس يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٥٦). [النساء: 56]

وتخبرنا الآية الكريمة: أن عذاب الذين كفروا بالله، وبآياته، وكتبه، ورسله، وغير ذلك من الأمور التي أمرنا المولى عز وجل بالإيمان بها، إيماناً يقينياً، لا يأتيه الشك، سيكون بالنار، وأن هذا العذاب، عذاب دائم: (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب...).

ويقول الأعمش في ذلك فيما يروى عن ابن عمر: إذا احترقت جلودهم بدّلوا جلوداً غيرها بيضاً أمثال القراطيس، وعن (الحسن) في قوله (كلما نضجت جلودهم) قال: تنضجهم في اليوم سبعين ألف مرة، ثم قيل لهم. عودوا فعادوا، وفي قول آخر: تُبدّل في الساعة مائة مرة، وقال (الربيع بن أنس): مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون ذراعاً.

وحقيقة حاسة اللمس التي بينها المولى عز وجل قد أثبتتها العلم، وأكد على أن مراكز الإحساس توجد بالجلد، وموزعة على الجسم بكامله، مما يؤكد إعجاز ما جاء في الآية الكريمة (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها...)، والمعروف أن الجلد يغطي الجسد كله، وبالتالي فإن العذاب يشمل بدن الإنسان بالكامل.

وكما تحدث القرآن العظيم عن الحواس الخمس المعروفة للجميع، تحدث أيضاً عن الحواس الخارجة عن نطاقها، التي يستطيع بها الإنسان أن يري ما لا يراه غيره، ومنها ما يعرف بالحاسة السادسة، وتلك الهبة من الله يخص بها بعض عباده، وأيضاً رسله، فهو علم من عند الله، فهو سبحانه وتعالى يلهمهم ببعض أحداث الغيب في مكان ما غير متواجدين فيه. ابن كثير (د.ت: ص 404) يقول المولى عز وجل في ذلك:

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونِ ﴾ [يوسف: 94]

فلما خرجت العير من مصر. قال يعقوب عليه السلام لمن بقي عنده من بنيه (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون)؛ أي تنسبوني إلى الفند - ضعف الرأى من الهرم، أو الكذب العامد - والكبر، وقال (ابن عباس)، و(مجاهد): تسفهون، وقال "مجاهد" أيضاً، و(الحسن): تهرمون. ابن كثير (د.ت: ص 261)

كما تؤكد الآية أيضاً على حاسة الشم، وإن كانت في نطاق خارج عن الطبيعة الإنسانية، وعن طبيعة تلك الحاسة نفسها. فإحساس يعقوب عليه السلام، وقوته التي جعلته يخبر أبناءه بما يراه وهو كظيم، وبما لا تتقبله عقولهم وإدراكهم كبشر، لا يملكون تلك الحواس الخارجة عن نطاق حواسهم الخمس، ولهذا كان ردهم:

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴾ [يوسف: 95]

مما يؤكد على أن هذه الحواس هي من عند الله، وقد اكتشفها العلماء فيما بعد، بعد أن ذكرها القرآن في أكثر من سورة:

يقول تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمِمَّا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 49]

وهذه الحاسة التي اختلف العلم حولها، وحول طبيعتها، وأى نشاط عقلي مسبب لها، ليست قاصرة على الأنبياء والرسل والصالحين - وأن كانت حاستهم هذه خارجة عن طبيعة البشر العاديين -، بل قد تمتد إلى إنسان عادي يرى أو على وجه الدقة يشعر بما لا يعلمه من أمور، فقد يشعر بموت إنسان، أو خير سيصيب آخر، وهذا يفسر لنا الشعور بمعرفة شخص نراه لأول مرة، وكأننا نعرفه قبل ذلك، ونرجع ذلك إلى الألفة والارتياح النفسي له، وقد تكون الحقيقة في رؤيتنا له في

أحلامنا، فقد أثبت العلم أن ما ندركه من أحلام أقل بكثير من أحلامنا التي لا ندركها، ونستطيع تذكرها بعد الاستيقاظ، وسبحان الله العظيم الذي أودع في العقل الإنساني أسراراً سيظل العلم يكتشفها كل حين وآخر، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وجدير بالذكر أن دوافع الفرد وقيمه تؤثر في انتباهه وإدراكه، وقد بينت ذلك نتائج عدد من الدراسات التجريبية الحديثة، وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع، حينما ذكر كيف كان الإيمان يجعل المؤمنين في حالة تهيؤ وانتباه، إلى الاستماع إلى ما ينزل من آيات القرآن فيدركونها إدراكاً واعياً، ويفهمونها فهماً دقيقاً، بينما كانت هذه الآيات نفسها لا تُحَدِّث لدى المشركين نفس التأثير، وإنما كانوا في غفلة عن سماعها، وإدراكها، وفهمها.

وفيما يلي أمثلة مما قاله القرآن في وصف هذه الحالة من الغفلة عن الإدراك، بسبب الشرك وعدم الإيمان بالله مما عطل حواس المشركين عن أداء وظيفتها:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ . [الأعراف: 179]

وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ . [فصلت: 44]

وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ . [محمد: 23]

وقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ . [الزخرف: 40]

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ . [البقرة: 6]

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؛ أي غطوا الحق وستره، سواء عليهم إنذارك وعدمه، فإنهم لا يؤمنون بما جئتهم به. ابن كثير (د.ت)

ويصفهم القرآن الكريم بأنهم وصلوا إلى درجة عدم الشعور نتيجة عدم إدراكهم لآيات الله، أو ما يفعلونه من جرم:

﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩) . [البقرة: 9]

ويقول المولي عز وجل أيضاً عن تأثير الدوافع والتهيؤ النفسي في الانتباه والإدراك:

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرَ عَلَيْكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣١) . [الأنعام: 39]

ويقول: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣) . [الجاثية: ٢٣] . [الجاثية: 23]

ويقول: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِينَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (٨٠) . وَمَا أَنْتَ بِهَادِي أَعْمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨١) . [النمل: 80-81]

ومن مظاهر تأثير الدوافع على الإدراك أيضاً، ما يحدث في الإدراك من تحريف وتشويه لحقيقة الشيء. فقد يري الإنسان الشيء الحسن قبيحاً. وقد يري الشيء القبيح حسناً. وقد أشار القرآن إلى ما تحدثه الدوافع، والميول، والأهواء من تحريف في الإدراك فيقول:

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٨) . [فاطر: 8]

وقال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَبِينَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَفَرَ بِرَبِّهِ فَسَاءَ مَا يَحْكُمُ بِهِمْ رَبُّهُمْ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٍ أَنْ لَا يَكُونُوا آهْوَاءَهُمْ﴾ (١٤) . [محمد: 14]

وقد بينت دراسات التحليل النفسي؛ أن الإنسان يميل إلى عدم إدراك الأشياء التي تقلقه وتزعجه، والأمور التي تتعارض مع رغباته وأهوائه، ولا شك أن مشركي قریش وكثيراً من اليهود، وغيرهم ممن لم يكونوا راضين عن الدين الجديد الذي جاء به رسول الله ﷺ، لأن في انتشاره تهديداً لسلطتهم ونفوذهم. نجاتي (1982) فدوافع محاربتة أقوى وأكبر من دوافع إدراكه أو حتى الاستماع إلى شرائعه، وهذا ما يحدث الآن مما يؤكد على أن القرآن الكريم، وما فيه من تعاليم ومبادئ لراحة البشرية في لكل زمان، ومكان، وإذا ألتفتنا حولنا ونظرنا إلى الأمور، والأشخاص نظرة واعية سنجد حولنا هؤلاء؟، كما سنجد قوم لوط، وسنجد فرعون، وهامان، وقارون، وسنجد الأخرسين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وحينما ندرك ذلك؛ سوف ندرك بعدها أن عقابهم ليس ببعيد عنا، ولا بد أن يترسخ في نفوس المسلمين، أن الإسلام ليس رخصة يفعلون باسمها كل الموبقات، ثم يمدون أيديهم بالدعاء، طلباً للعزة، أو النصر، أو المال، والجاه. فلكل شيء أسباب سخرها المولى عز وجل للإنسان حتى يأخذ بها في سبيله للوصول إلى ما قدره الله له من رزق باختلاف أشكاله، فمن السذاجة أن يقف الإنسان أمام القطار، ويطلب أن لا يموت !، وهذا ما نعلمه من طبيعة الأشياء، أما ما لا نعلمه فهو في علم الله، وما علينا إلا الأخذ بما علمنا، والالتزام به، دون التنطع بكلمات عن قدرة المولى عز وجل، وأنه لو أراد كذا لفعله، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فالرسول الكريم جاهد وكافح وتحمل الأذى، واختبأ من المشركين في الهجرة، وعمل كثيراً حتى وفاته ﷺ من أجل نشر الدعوة الإسلامية، في ربوع العالم، فمن من مسلمي اليوم من هو في مكانة النبي الكريم عند المولى عز وجل؟!، الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ورغم ذلك كان أكثر الناس عبادة، شكراً لله على نعمه.

الفصل الثامن

الشخصية

الفصل الثامن

الشخصية

بعد أن تعرفنا على الدوافع الإنسانية، وما يتبعها من سلوك وأفعال بوجهيها الحسن والسيئ، يمكننا أن نحكم على شخصيتنا، وعلى شخصيات الغير على حسب القدرة على التحكم في نوازعنا الفطرية، ومدى نجاحنا في تهذيب سلوكنا بإشباع الغرائز بالطرق المشروعة كما أمرنا الله عز وجل، بما فيه رضاه عنا سيراً على نهج النبي ﷺ.

وذلك هو محور حقوق الإنسان النفسية، فما من سلوك نقوم به إلا وله أثره على الفرد نفسه، وعلى أسرته؛ ومن ثم على المجتمع ككل، وطالما أن العالم الآن أصبح كالقرية الصغيرة، ليست فيها حدود بين البشر، فقد ينسحب هذا الأثر على المجتمع الدولي، فما نراه من حروب ودمار من أجل مصالح دنيوية فارغة، وما نشهده من أمراض مجتمعية خطيرة، يؤكد لنا أن التنشئة الاجتماعية، وطبيعة التعليم، وما يتم زرعه في نفوس الناس، والانفلات في إشباع الغرائز والنوازع الفطرية دون وازع ديني أو أخلاقي، لكلها أمور تقف وراء ما نحن فيه من صالح الحال، أو سوءه.

لذا كان لزاماً علينا قبل أن نقدم مفاهيم وتعريفات الشخصية، وأيضاً قبل أن نقدم موضوعنا عن حقوق الإنسان النفسية، أن نتعرض للدوافع والانفعالات الإنسانية من وجهة نظر الدين الإسلامي، وأيضاً من وجهة نظر علم النفس بحكم تناوله للنفس البشرية، وتفسير مكوناتها الفطرية والمكتسبة، والتي تمثل مجموعة من الخطوط تشكل في النهاية صورة متكاملة تسمى في النهاية (الشخصية).

وما يؤكد ذلك؛ أنه عند تصنيف المعاني الشائعة للشخصية، وهي معاني كثيرة، كانت المجموعة الأولى من هذه التصنيفات، تدور حول قدرة الفرد على إثارة الاستجابات من قبل من حوله من الأشخاص المحيطين به، والذين يتعاملون معه في ظروف نفسية مختلفة، وأوقات متباينة، وحينها يمكن لهم أن يحكموا على الفرد بأنه صاحب شخصية جذابة، أو قوية، أو غامضة... الخ.

أما المجموعة الثانية فلا تختلف كثيراً عن التصنيف الأول للمعاني الشخصية، فهي تدور حول الانطباعات التي يتركها كل منا في الآخرين، وتكون الأكثر تميزاً، مما يساعد على بقائها فترة من الزمن، ويمكن أن تتغير، بتغير الانطباعات الجديدة عن الفرد والتي يتركها في نفوس الناس، فهذه المعاني من سماتها إثارة الجدل بينهم حول الشخصية ومعناها، وذلك لتباين وجهات النظر فيما بينهم، وتلعب القيم والأخلاقيات دورها في هذا الجدل، فما تراه أنت صالحاً قد يراه غيرك مدعياً، أو فاسداً، يخبئ وراء عباءة الصلاح، وكما أن كل إناء ينضح بما فيه، تكون الآراء حول الشخصية تبعاً لأخلاقيات الفرد وما اكتسبه من ثقافة مجتمعه الذي يعيش فيه، مما يفسر لنا هلامية تحديد وتعريف المجتمع المثالي الصالح لحياة الفرد، والذي يتشكل حسب مفاهيم ذلك المجتمع الذي يعيش فيه، بدايةً من الأسرة والحى والمدينة، ونهايةً بالمجتمع ككل عن الأخلاق والدين والقيم، فمجتمع اللصوص مثلاً القيمة الإنسانية والمكانة العالية فيه للص الماهر، وهذا المجتمع ينشأ فيه الطفل نشأة تقوم على مفاهيم السلب والنهب، ويكون الفرد صاحب القيم والمبادئ والتدين منبوذاً فيه، إذن فمجتمع اللصوص هو المجتمع المثالي بالنسبة للص، السرقة فيه أمر

عادي، بل ومطلوب! فممن الأمور التي تغيب عن بالنا عند مناقشة أسباب فساد إنسان، هو الأمر الذي يتعلق بقابليته لهذا الفساد دون أن يردعه دين أو ضمير.

وعلى العموم "توصف شخصية الفرد بالصفة التي تكون أكثر تمييزاً له، والتي تعبر عن أهم انطباع تتركه شخصيته في الآخرين، ومن الواضح أن هذين الإستخدمين الشائعين لمعني الشخصية؛ إنما يتضمنان عنصر التقييم، فتوصف شخصيات الأفراد عادة بأنها حسنة أو قبيحة.

وقد استخدمت كلمة الشخصية أيضاً بمعان كثيرة مختلفة بين الكتاب، ورجال الدين، والفلاسفة، ورجال القانون، وعلماء الاجتماع، وعلماء النفس. وقد قام (ألپورت Allport) بمراجعة الأبحاث المختلفة التي تتعلق بالشخصية، واستطاع أن يستخلص منها حوالي خمسين تعريفاً للشخصية، ومن الممكن تصنيف هذه التعريفات المختلفة للشخصية، على أساس المعاني الرئيسية التي تتضمنها هذه التعريفات إلى السبع التالية:

1- الشخصية كمثير أو منبه:

هذا النوع من تعريف الشخصية يقرب كثيراً جداً من المعنى الشائع الاستخدام لكلمة الشخصية بين عامة الناس، وهو المعنى الذي سبق أن أشرنا إليه، ويذهب القائلون بهذا التعريف إلى أن الوسيلة الوحيدة الممكنة لمعرفة الشخصية وتقييمها، في تأثيرها في الأفراد الآخرين. وإذا سلمنا بذلك لأصبحت للفرد الواحد عدة شخصيات تبعاً لأنواع التأثيرات المختلفة التي يتركها الفرد في الأفراد الآخرين، وفي الظروف المختلفة، ومع أن دراسة الشخصية تقتضي في كثير من الحالات معرفة آراء الآخرين عن صاحبها، إلا أن ذلك لا يعتبر الوسيلة الوحيدة لدراسة الشخصية. فللفرد صفات وسمات خاصة مستقلة عن ملاحظات الآخرين وآرائهم - مما يؤدي إلى جدلهم واتهام الفرد بأنه صاحب شخصية غامضة، أو وصف شخصيته بصفات ليست موجودة بالفعل -.

2- التعريفات الجامعة:

من التعريفات التي كانت شائعة سابقاً بين علماء النفس، وهي تعرف الشخصية بأنها: مجموعة أنواع النشاط والدوافع والميول والسمات والعادات المختلفة للفرد... الخ، وتحاول مثل هذه التعريفات أن تتضمن جميع أنواع النشاط الرئيسية التي تكون لها أهمية في وصف الفرد، ومن أمثلتها تعريف (برنس Prince) للشخصية بأنها: المجموع الكلي لجميع الاستعدادات الفطرية البيولوجية، والدوافع، والميول، والشهوات والغرائز عند الفرد، وكذلك استعداداته المكتسبة وميوله التي اكتسبها بالخبرة.

وقد لقيت التعريفات الجامعة معارضة شديدة من علماء النفس من (مدرسة الجشطالت)، الذين يرفضون فكرة أن الفرد، أو أي ناحية من نواحي نشاطه؛ إنما هو مجرد مجموعة أجزاء.

3- التعريفات التكاملية:

تؤكد التعريفات التكاملية فكرة التنظيم بين أجزاء، أو عناصر الشخصية. فالشخصية شيء أكثر من مجرد مجموع أجزائها، إنها نموذج تنظيم هذه الأجزاء، ومن الأمثلة البسيطة لهذه التعريفات: التعريف الذي ذكره (وارن Warren) و (كار مايكل Carmaichael) وهو: أن الشخصية هي التنظيم الكامل للإنسان في أية مرحلة من مراحل نموه، وقد ذكر (وارن) في قاموس علم النفس تعريفاً من هذا النوع أكثر تفصيلاً وهو: الشخصية هي التنظيم المتكامل لجميع الخصائص المعرفية والوجدانية والإرادية والبدنية للفرد؛ من حيث هو متميز عن غيره من الأفراد، ويلاحظ أن هذا التعريف يؤكد أيضاً في آخره فكرة الفردية والتميز، وهي فكرة شائعة في كثير من تعريفات الشخصية.

4- التعريفات الكلية:

تغالي التعريفات الكلية في فكرة التنظيم بين عناصر الشخصية؛ بحيث تكاد

تغفل الإشارة إلى هذه العناصر كلية، ومن أمثلة هذه التعريفات، تعريفات وردت في قاموس علم النفس لـ (وارن)، يذهب التعريف الأول إلى أن الشخصية هي الخاصة العامة، أو النموذج العام للسلوك الكلي للفرد.

ويذهب التعريف الثاني إلى أن الشخصية في خاصة مجال السلوك الكلي للفرد، أو شكل نموذج هذا السلوك. وينتقد (جيلفورد Guilford) مثل هذه التعريفات الكلية، ويرى أنها تجعل من الصعب تحليل الشخصية؛ وبالتالي تجعل من الصعب تكوين علم للشخصية.

5- التعريفات التي تؤكد التوافق:

من التعريفات الشائعة للسلوك، هو أنه توافق الفرد بالنسبة لبيئته، وعلى هذا الأساس تعتبر الشخصية نموذج للتوافق الخاص للفرد. وتميل بعض التعريفات في هذه المجموعة إلى قصر التوافق على التوافق الاجتماعي، ومن أمثله ما ورد في قاموس علم النفس لـ (وارن)، وهو: الشخصية هي خصائص الفرد الأكثر أهمية في تحديد توافقه الاجتماعي.

غير أن الاقتصار على التوافق الاجتماعي فقط في تعريف الشخصية، يحدد معني الشخصية تحديداً غير مقبول من كثير من علماء النفس.

6- التعريفات التي تؤكد الفردية:

تؤكد بعض تعريفات الشخصية صفة الفردية والتميز في سلوك الفرد. فالشخصية بهذا المعنى، هي تلك النواحي من سلوكه التي تميزه عن غيره من الأفراد، وفي هذا المعنى يقول (شوين Schoen): إذا كان جميع الأفراد في أي مجتمع يتصرفون بطريقة واحدة، ويفكرون تفكيراً متشابهاً، ويشعرون شعوراً متشابهاً لما أصبح للشخصية من وجود، وعلى هذا الأساس يعرف (شوين) الشخصية بأنها: الجهاز المتكامل أو الكل أو الوحدة الوظيفية للعادات والاستعدادات والعواطف التي تميز أي فرد من

الجماعة، باعتباره مختلفاً عن أي فرد آخر من نفس الجماعة، ومن أمثلة التعريفات التي تؤكد الفردية أيضاً تعريف (جيلفورد) للشخصية بأنها: النموذج الفريد لسمات الفرد.

7- التعريفات المتعددة العوامل:

ويعرف بعض علماء النفس الشخصية على أساس أكثر من عامل واحد من العوامل التي وردت في التعريفات السابقة. فتعريف (شيوين) مثلاً الذي ذكرناه في المجموعة السادسة يتضمن الفردية والتنظيم، وكذلك تعريف (وارن) في المجموعة الثالثة يتضمن الفردية والتكامل، ومن التعريفات المشهورة للشخصية التي تؤكد أهمية أكثر من عامل، تعريف (ألبورت)، وهو: أن الشخصية هي التنظيم الديناميكي الذي يكمن داخل الفرد لتلك الأجهزة الجسمية النفسية، التي تعين طابعه الفريد في التوافق مع بيئته، ويرى سول روزنزفايخ Saul Rosenzweig: أن تعريف الشخصية يتضمن على الأقل معنيين رئيسيين هما: التكامل والفردية. فالشخصية ترجع دائماً، من ناحية إلى نشاط الفرد بأكمله، ومن ناحية أخرى، إلى تلك النواحي من التكامل التي تميز أي فرد عن غيره من الأفراد.

والسؤال هنا: هل يمكن تقديم تعريف واحد للشخصية؟

الحقيقة أنه لا يمكن وضع تعريف واحد للشخصية يكون جامعاً مانعاً، فالتعريف عادة يتوقف على مدى وجهة نظرة الباحث، والنظرية التفسيرية التي يؤمن بها في تفسير شخصية الفرد، فإذا كانت فكرته مثلاً قائمة على تفرد الشخصية، أو على مدى توافقها مع البيئة المحيطة بها، خرج تعريفه ليؤكد به نظريته، وإن كنا نميل إلى التعريف الذي يقول بأن الشخصية في:

اصطلاح فقط يشير إلى الأوصاف والسمات التي تستخدم في وصف الفرد.

(نجاتي، 1964)

الشخصية في القرآن الكريم:

لا شك أن العلم مهما بلغت دقته، إلا أنه في كثير من الأحيان يعجز عن فهم بعض الأمور وتفسيرها تفسيراً دقيقاً، مما يفرض علينا الرجوع إلى القرآن للتعرف على الشخصية تعرفاً دقيقاً.

لقد أهتم القرآن الكريم بالشخصية وذكرها في أكثر من موضع، على اختلاف أنواعها، فضلاً عن ذكر مكونات الشخصية والمؤثرات البيئية من حولها، والتي تتشكل على أساسها، وهذا ما ذكره العلم فيما بعد، إلا أنه لم يصل في النهاية إلى تعريف واحد للشخصية كما رأينا سابقاً، وهذا طبيعي لاختلاف مكونات الشخصية، والمؤثرات التي تتشكل على أساسها، نضف إلى ذلك أن العلماء أغفلوا الجانب الروحي داخل الإنسان واهتموا بالجانب المادي، رغم أن الإنسان خلق من مادة وروح كما سنرى فيما بعد.

وقد جاء في القرآن الكريم وصف للشخصية الإنسانية وسماتها العامة، التي يتميز بها الإنسان عن غيره من مخلوقات الله، كما جاء فيه أيضاً وصف لبعض الأنماط أو النماذج العامة للشخصية الإنسانية التي تتميز ببعض السمات الرئيسية، وهي أنماط عامة وشائعة نكاد نراها حتى اليوم في مجتمعنا، وفي جميع المجتمعات الإنسانية بعامة - مما يؤكد على عالمية الإسلام، وأنه أرسل للناس كافة، وأنه دستور عمل وحياة في كل وقت وفي كل مكان -، ونجد في القرآن أيضاً وصفاً للشخصية السوية، والشخصية غير السوية، ووصفاً للعوامل المكونة لكل من السواء وعدم السواء في الشخصية. نجاتي (1982)

وقد بدأ القرآن بالحديث عن الإنسان بدءاً من تكوينه، يقول تعالي:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص: 71-72]

ويقول: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّن حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ . [الحجر: 28-29]

قال (ابن عباس): المراد بالصلصال، التراب اليابس، كقوله تعالى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار)، وعن مجاهد: (الصلصال) المنتن، وقوله (من حمأ مسنون)، أي الصلصال من حمأ وهو الطين، والمسنون الأملس، وروي (عن ابن عباس) أنه قال: هو التراب الرطب، وأيضاً عن (ابن عباس) و(مجاهد): أن الحمأ المسنون هو المنتن، وقيل المصبوب. ابن كثير (د.ت: ص 311)

وهذا هو الجانب المادي في تكوين الإنسان، خلق من تراب - خليط من التراب والماء -، وهو في ذلك مثل كل المخلوقات، إلا أن الإنسان تميز عن سائر المخلوقات بالروح (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)، وهى من أسرار المولى عز وجل التي لم يطلع، ولن يطلع عليها أحد، كما أخبرنا المولى عز وجل في الآية 85 من سورة الإسراء: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، كما يفسر لنا فطرية التدين في الإنسان، فالروح دائماً تحتاج إلى الارتكان إلى المولى عز وجل، فهي من روحه سبحانه وتعالى، يظهر احتياجها في كل أزمة، تمر بالإنسان، وكل أمر صعب لا يستطيع الإنسان اجتيازه وكما ذكرنا سابقاً أنه حتى من أشرك بالله، وعبد غيره على الأرض، هو في حاجة إلى الله إلا أن قلة وعيه وإدراكه، والعوامل المحيطة به من نشأة قد أعمته عن معرفة الحقيقة، وعن عبادة الله الواحد دون أن يراه، لكنهم في النهاية اعترفوا بوجود الله. تلك هي قيمة الروح، والقيمة ليست تعريفاً لها، فالروح من أمر الله عز وجل لا يعلم أسرارها إلا هو.

الصراع النفسي في الإنسان:

والمقصود هنا؛ الصراع بين مكوني الإنسان المادي والروحي، فالحاجات الفسيولوجية قد تصطدم والحاجات الروحية، والتي هي سبيل الإيمان في ظروف معينة، كأن يكون الصراع مثلاً بين إشباع حاجاتنا بالحرام، وبين موانع الدين الذي آمننا به، وارتضينا ما فيه من تشريعات.

ويمكن أن ينظر إلى الصراع على أنه صنف من الإحباط، الصنف الذي يتميز

بالرغبة في اتخاذ اتجاهين في نفس الوقت، والعقبات التي يواجهها المرء هنا ليست كتلاً صخرية، بل خطاطيف تجذب للوراء كلما تقدم المرء إلى الأمام، ومواقف الصراع هي مواقف اتخاذ قرار، وهذه أكثر من أي نوع آخر من المواقف السيكولوجية - تنطوي على تقلب انفعالي كبير، وما يتضمنه هذا التقلب عادة من سلوك لا عقلي.

وتظهر الصراعات في كافة مستويات الشخصية، وفي كل درجات اهتمام الشخص، وبعضها بسيط، وإن كان وجود الصراع كثيراً ما يتبدى في صورة ميل للتردد، قبل أن يتم الاختيار.

كما أن بعض مواقف الصراع تنطوي على حاجات أساسية هامة يظهر أنه لا مفر من معارضتها - فتغليب الجانب الروحي فيها يتطلب جهداً كبيراً من الإنسان -، وبعضها الآخر يتضمن حاجات غير ذات أهمية نسبياً، أو حاجات ذات إمكانيات استبدال كثيرة؛ بحيث يصعب علينا إدراك وجودها.

ويمكن لنا أن نسوق مثلاً للصراع بين إحدى حاجاتنا الفسيولوجية، وبين ما يعارضها: هب أنني صنعت قفصاً كبيراً ووضعته في؛ ثم هب أنك عشت فيه زمناً طويلاً وتعودت عليه فهو منزلك، الحياة فيه ثقيلة ولا تحتمل، ولك فيه فراش لا بأس به والطعام جيد. إلا أن ثمة شيء غريب بالنسبة للطعام. فعلى المائدة الموضوعية في ركن من القفص يوجد صندوق، وللصندوق غطاء، وعندما تجوع ترفع الغطاء وتجد في الداخل وجبة شهية، وهكذا كلما جعت، وبعد أن تأكل تذهب إلى فراشك ثم تستسلم للنوم.

وذاذات يوم يحدث شيء ما، فعندما تجوع تذهب للصندوق كالمعتاد، ولا تكاد أصابعك تلمسه، حتى تصاب بصدمة كهربائية قوية، فتراجع عن القفص، وتلك يديك، وتفكر في الأمر لحظة - وهذا ما يعرف ببداية الصراع، وتقرر أن الكهرباء لا بد أنها متقطعة - استاتيكية - فتقوم لتحاول ثانية، فتصاب وبضايقتك هذا بعض

الشيء، فتبدأ بالبحث عن سبب الكهرباء لتنتزعه، أو تبحث عن قفازات من المطاط، لكنك لا تجد شيئاً يساعدك على هذه المهمة، وطبيعي أنك حتى هذه اللحظة لست على درجة من الجوع الشديد بعد - مما يعطي مساحة من التفكير والتدبر-.

إلا أنك فيما بعد تصبح أكثر جوعاً، فتذهب من جديد، وتلمس الغطاء فتجد الصدمة قد صارت أشد، وإزاء الأذى المحقق تسقط الغطاء عجلة، وتعاود الجلوس لتفكر، وبعد فترة وأنت على جوعك تبدأ في الثورة والهياج، وتبدأ في البحث عن مخرج من هذا القفص الشيء الذي لم تحاوله منذ أول يوم لوجودك فيه، وقد تحاول أن تنتزع القضبان، أو أن تكسر القفل، ولكن بدون فائدة، ولكنك لا تزال تحاول الوصول إلى داخله، واختطاف شيء منه قبل أن يسقط الغطاء ذاتياً؛ ثم تأكل قطعة الطعام، وترتد إلى فراشك لتفكر في الأمر من جديد، وكلما ازدادت جوعاً بدا أن الصدمة تزداد قوة، وكلما اقتربت من الصندوق تستطيع أن تحس مقدماً بألم الصدمة التي سوف تعانها عندما تلمسه، والصراع هنا صراع بالغ بين حاجتك للطعام، وبين الحاجة لتجنب الألم، وليس ثمة مهرب من الموقف كما أن الحاجة تزداد في شدتها مع الزمن. فما الذي يحدث إذن؟. - ربما تصير إلى حالة من الجنون - (ليافيت، د.ت).

هذا المثال ينطبق على الكثير من الصراعات النفسية داخل الإنسان بين الجانب المادي، وبين الجانب الروحي مع الاختلاف في الشكل وربما في النتائج. فالحاجة المادية قد تتغلب في بعض الأحيان على الجانب الروحي، أو العكس. حسب الأهمية وحسب قدرة الإنسان على التحمل أو معرفة البدائل، وحين عجزه يتغلب الجانب المادي مما يفسر في مجتمعاتنا الجرائم التي نندهش لها لعدم معقوليتها، ولكن بالبحث قد نجد وراءها أسباباً كثيرة منها ما يتعلق بحاجات الإنسان الطبيعية، ومنها أسباب اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو كل هذا وذاك. فليس غريباً أن نجد من يسرق ليتزوج، أو من يقتل صديقه لسبب تافه، أو غيره لمجرد حاجته إلى إثبات

الذات حسب ما فرضه مجتمعه من قيم مختلفة عن مفهوم الشخصية أو - الرجولة -!،
وكم من الجرائم ترتكب بمباركة الصراع النفسي بين الحاجات المادية، وبين
الحاجات الروحية، أو بين الجسم والروح.

ويشير القرآن الكريم في "سورة النازعات" إلى أنواع من الصراعات النفسية
منها قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ
رَبِّهِ ۖ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ . [النازعات: 37-41]

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلْبَسْتِ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ
قَتْرُونَ إِنَّهُ لَدُوْحٌ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ . [القصص: 79-80]

من آيتي سورة القصص؛ يتبين لنا الصراع النفسي بين الجانب المادي، وبين
الجانب الروحي، والعلاقة التبادلية بينهما، ففي الآية (79) يطغي الجانب المادي
على الجانب الروحي في تمنى الناس ما يملكه قارون من ثروة، وذلك لأنهم يريدون
الحياة الدنيا فقط (قال الذين يريدون الحياة الدنيا..)، فلا مكان هنا للجانب
الروحي، فالجانب المادي وحده فقط هو الذي يتحدث، وعلى النقيض هناك من
أدرك بإيمانه وبعلمه أن ثواب الله خير (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله
خير.. لمن؟)، لمن استطاعوا أن يسيروا مع ما دلهم عليه الجانب الروحي، فكان لهم
الإيمان ومنه كان العمل الصالح: (لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا
الصابرون)، وتوضح الآية (11) من سورة الجمعة، صورة أخرى من صور ذلك
الصراع بين الجانبين المادي والروحي:

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ
التِّجَارَةِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿١١﴾ . [الجمعة: 11]

وليس مطلوباً من الإنسان أن يغلب جانب من الجانبين على الآخر، يسير معه

ويهمل الثاني، فوظيفة الإنسان أن يوازن بين الجانبين بالقدر الذي لا يجعله خاسراً لآخرته ولدينه، والآخرة قبل الأولى لأسباب كثيرة أولها وأهمها قوله تعالى في الآية (56) من سورة الذاريات: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، والعبادة في الدنيا هي طريق الجنة في الآخرة، فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الغرائز والدوافع في الإنسان ليشقيه بها، بل خلقها لسعادته الآتية من راحته، بإشباع تلك الحاجات المادية بالطرق التي حددها المولي عز وجل. فالآخرة علينا السعي للفوز بها من خلال طاعة الله سبحانه وتعالى، والأخذ بما جاء به نبيه الكريم ﷺ، والدنيا أيضاً علينا فيها بالسعي حتى نستطيع أن نسيرها بالشكل الذي فيه سعادتنا، ولا يخالف ما جاء به الدين. يقول المولي عز وجل:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِأَنَّهُمْ كُفَرُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾. [المنافقون: آية 9]

ويقول: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾. [التغابن: 15]

ويقول: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سِيذَكُرْ مِنْ يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَيَسْتَجِيبُهَا الْأَسْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾. [الأعلى: 9-17]

ويقول: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾.

[الملك: 2]

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾. [البلد: 10]

والحقيقة أنه باستطاعة الإنسان أن يحسم الصراع بقليل من التوافق النفسي والتفكير السليم، وتحليل الأمور، وطلب العلم في الدين من أهل العلم حتى يتبين له حكمة المولي عز وجل في كافة الفروق بين البشر، وأن يقلب الأمور على كافة وجوهها الحسن منها، والسئ حتى يخرج في النهاية بالحقيقة التي يرتاح إليها ضميره؛ وهو المقصود باستفتاء القلب في الأخذ بالأمور التي يُختلف حولها من ناحية الحلال

والحرام، فيما يعرف بالأمر المشابهات. وقد حدد القرآن الكريم مسئولية الإنسان في ذلك؛ وعلى هذه المسئولية يحاسب الإنسان ويلقى جزاءه: إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر.

وجدير بالذكر أن المولى عز وجل لم يحدد المسئولية ويلقيها على عاتق الإنسان، إلا وهو يعلم أن الإنسان باستطاعته القيام بتلك المسئولية، لما يميزه به عن سائر المخلوقات وهو العقل، يقول المولى عز وجل: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

ويقول: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٣). [الإنسان: 3]

ويقول: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) ﴿فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠). [الشمس: 7-10]

ويقول: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١٠٤). [الأنعام: 104]

ويقول: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا مِنْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٢٩). [الكهف: 29]

ويقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦). [فصلت: 46]

وغير ذلك من الآيات التي تؤكد تلك الحقائق، وأهمها العقل، فقد شبه المولى عز وجل الإنسان عند إهماله العقل وإتباعه شهواته دون تهذيب، والسير وراء دنيته بالقدر الذي أنساه خالقه ورازقه، والحساب في الآخرة بالبهايم:

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (٤٣) ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤٤). [الفرقان: 43-44]

فلا تكفي هيئة الإنسان كدليل على إنسانيته، أو على وجود العقل، أو على استخدامه الاستخدام الأمثل، فكم من هم على هيئة البشر لا يفقهون ما يسمعون ولا يعقلونه، فقد انشغلوا عن التفكير تحت وطأة اللذة والمتعة الحسية الناتجة عن إشباع حاجاتهم بأي طريق كان ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ، بل حط القرآن من قيمة هؤلاء نتيجة فعلتهم ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٤٤.

ومن الأشياء التي لها دور هام في توجيه الصراع داخل الإنسان: (النفس)، وقد ذكرها المولي في أكثر من آية بينت تأثيرها، وأنواعها، ما بين النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة. يقول تعالى: ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ١﴾ وَلَا أُقِيمُ بِالْنَفْسِ اللّوَامَةِ ٢﴾ ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ١﴾ وَلَا أُقِيمُ بِالْنَفْسِ اللّوَامَةِ ٢﴾ . [القيامة: 2-1]

والنفس اللوامة:

هي التي تلوم صاحبها على ما اقترفه من معاصي وذنوب، فهي الضمير الذي يعبر عن مرحلة إنسانية أرقى من النفس الأمارة بالسوء، والتي لا تشعر باللوم أو بالعتاب على ما فعلته، فالنفس اللوامة قد تكون أولى خطوات النفس المطمئنة التي قال عنها المولي عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي ٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ . [الفجر: 27-30]

ومما يؤكد إعجاز القرآن الكريم وسبقه للعلماء في ذكر الحقائق التي توصلوا إليها بعد القرآن الكريم بمئات القرون، ما ذكره القرآن قبل علم النفس من أنواع للنفس البشرية، وما ذكره علماء النفس فيما بعد عن نفس الموضوع، وقد تحدثنا عن ذلك سابقاً عند التعرض لموضوع (الإسلام وعلم النفس)، فقد قسم علماء النفس البشرية إلى ثلاثة أقسام: الهو ويقابل النفس الأمارة بالسوء، والأنا الأعلى: ويقابل النفس اللوامة، والأنا: وتقابل حالة النفس المطمئنة.

الشخصية السوية:

يتبين لنا مما تقدم أن الشخصية السوية في الإسلام، هي الشخصية التي يتوازن فيها البدن والروح، وتشبع فيها حاجاتها معاً، فالشخصية السوية في التي تعني بالبدن وصحته وقوته، وتشبع حاجاته في الحدود التي رسمها الشرع، والتي تتمسك في نفس الوقت بالإيمان بالله، وتؤدي العبادات، وتقوم بكل ما يرضي الله تعالى وتتجنب كل ما يغضبه.

فالشخص الذي ينساق وراء أهوائه وشهواته شخص غير سوى، وكذلك فإن الشخص الذي يكبت حاجاته البدنية ويقهر جسمه ويضعفه بالرهابية المفرطة والتكشف الشديد، وينزع إلى إشباع حاجاته وأشواقه الروحية فقط، هو أيضاً شخص غير سوى، وذلك لأن كلاً من هذين الاتجاهين المتطرفين يخالف الطبيعة الإنسانية، ويعارض فطرتها، ولذلك فلا يمكن أن يؤدي أي من هذين الاتجاهين إلى تحقيق ذاتية الإنسان الحقيقية، كما لا يمكن أن يؤدي بها إلى بلوغها الكمال الحقيقي. نجاتي (1982)

إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الغرائز في الإنسان ليشقيه بها، بل ليستخدمها في إسعاد نفسه عن طريق إشباعها بما أحله الله له، والدور الذي يجب على الإنسان القيام به لتحقيق الهدف المرجو من تلك الغرائز سواء على المستوى العام، كما هو الحال بالنسبة لغريزة الجنس وهو إعمار الأرض، أو على المستوى الخاص، وهو حفظ الذات وتحقيق التوازن النفسي الذي يحقق بدوره السعادة للإنسان، هو التهذيب لتلك الغرائز بما يتفق مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية.

التوازن في الشخصية:

لقد صاغ فرويد المبدأ الشهير؛ بأن الشخص الطبيعي هو الذي تكون له القدرة على الحب والعمل، كان فرويد يتحدث عن قدرة الفرد على الارتباط الإنساني، والانتماء للآخرين في السياقين العاطفي والاجتماعي، ويقترح المحلل النفسي

(روبن فاين) أن الرجل يشعر بالسعادة إذا استطاع أن يحب بدل الكراهية، وأن يحقق المتعة والإشباع الجنسي، وأن تكون لديه حياة من المشاعر التي يحكمها العقل، وكذلك الدور الفعال في الأسرة والإحساس بالهوية، ويستطيع العمل والإبداع، وأن يكون له دور في النظام الاجتماعي، ويكون قادراً على التواصل، وخالياً بدرجة معقولة من الأمراض النفسية.

وهذا ما يؤكد على أهمية الصحة النفسية للطفل الناشئ، والتي ترتبط بمدى ملائمة استجابات الأم لشعوره المتناقض بالعجز والإحساس المتضخم بالذات، ودرجة التشجيع والإحباط التي يشعر بها الطفل عندما ينضج، ويبدأ في التعرف على حدود شخصيته، والتي لها تأثير دائم على إدراكه لنفسه وللآخرين، وعلى العلاقات التي يكونها طوال حياته. وأي اضطراب للتوازن بين شعورهم بالعجز، وبين درجة التربية الحمائية التي يتلقونها من آبائهم يشعرهم بالخرج النفسي، والدرجة غير الملائمة من الإحباط الناشئ عن بيئتهم المحيطة، وعن تعاملهم أو عجزهم عن التكيف مع النظام القائم تغذى شعورهم الطبيعي بالعجز، ويستجيبون عادةً بالغضب والرغبة في الانتقام، وفي اكتساب القدرة الشخصية، وكذلك بالخيالات التعويضية في امتلاك القدرة المطلقة، وهذه الآلية تستمر طوال العمر، وإذا لم تحل داخل الأفراد أثناء نضجهم، قد تعود بشكل مدمر عندما يتولى هؤلاء الأفراد مواقع القيادة.

لذا.. فإن على المؤسسات أن توازن في العلاقة بين القادة والتابعين، وللأسف يكون التوازن ضعيفاً مع تقلبات القدرة التي تملأ الحياة المؤسساتية، ويكون من السهل خسران هذا التوازن تماماً، والاستخدام المتعقل للقدرة ضروري لخلق الأهداف المشتركة، وإعطاء معنى الحياة المؤسساتية، لكن الفشل في التعرف على الطبيعة المزدوجة للقدرة؛ أي إمكانية استخدامها بشكل بناء أو هدام، قد يؤثر في تمكن الشخص من إدراك الواقع، وعندما يضيع الإحساس بالتوازن تحت الألعاب والحيل السياسية بؤرة الاهتمام في المنظمة. (مانفرد، 2006)

لكي تتحقق الشخصية السوية كما ذكرنا، يجب أن نحقق أولاً التوازن بين حاجات البدن، وحاجات الروح أو (الدنيا والدين)، فلا انفصال بينهم، بل ترابط بين المطالب البدنية كإشباع الجوع مثلاً، وبين الطاقة الناتجة عن الطعام، والمتاحة لمقابلة هذه المطالب، وهو ما يعرف بالاتزان البدني، تماماً مثل الاتزان بين مطالب البدن، ومطالب الروح.

فالإسلام لا يعرف الرهينة، والله عز وجل خلق الحياة للإنسان يعبد فيه ويعمرها ويتمتع بها في حدود الحلال الطيب، وخلق الآخرة للإنسان ينعم بنعيمها ويشقى بعذاب نارها حسب ما فعله في الدنيا، وهذا الارتباط يتضح لنا أكثر إذا نظرنا إلى الدنيا كطريق أو معبر للآخرة.

إن التوازن الشخصي ينتج عن توافق الإنسان مع نفسه، والتوافق يتضمن خفض التوتر الذي تستثيره الحاجات، فمن الخطر اعتبار التوافق مرضياً، وأن جميع ما نقوم به من سلوك ما هو إلا محاولة ناجحة، أو فاشلة لخفض التوتر وتحقيق التوافق المطلوب، (طه، 1983: ص34) فاجتهاد الإنسان هنا يتمثل في إشباع حاجاته، دون التورط في مخالفة دينية تزيد من توتره وقلقه، بدرجة تفوق درجة التوتر والقلق الناتج عن نداء حاجاته الإنسانية غير المشبعة.

وقد وضع العلماء أربعة مقاييس للتوافق، وهى:

- 1- التوافق المنزلي.
- 2- التوافق الصحي.
- 3- التوافق الاجتماعي.
- 4- التوافق الانفعالي.

وقد توصل العلماء إلى أن هناك ثمة علاقة بين تقبل الذات، وبين التوافق النفسي الذي يحقق الاتزان الشخصي، فتقبل الذات يرتبط ارتباطاً سلباً مع القلق، وارتباطاً موجباً مع التوافق. فقد قام (ليبيت Lipsitt) عام 1958 بدراسة عينة من

التلاميذ في الصفوف الرابع والخامس والسادس الابتدائي بلغ عددهم ثلاثمائة، وأعطى كل فرد منهم عدداً من الصفات، وطلب منه أن يحدد ما إذا كانت الصفة تنطبق عليه أم لا؟؛ ثم أعيدت هذه العملية وطلب من الفرد أن يحدد ما إذا كانت الصفة مرغوب فيها شخصياً، أم مرغوب عنها، وبهذه الطريقة أمكن التوصل إلى مقياس لتقبل الذات، أو إلى تحديد مفهوم الذات هل هو إيجابي أم سلبي، ثم طبق على أفراد العينة مقياس القلق، وقد إتضح أن الأطفال ذوي مفهوم الذات السلبي، أو الضعيف كانوا أكثر قلقاً عن الأطفال ذوي مفهوم الذات الإيجابي، أو القوى عند البنين والبنات على السواء، وأن الفرق بين المجموعتين له دلالة إحصائية.

ولم تقتصر العلاقة الموجودة بين مفهوم الذات والقلق على الأطفال، فقد وجد (ميتشل Mitchell) عام 1959 نفس العلاقة السابقة في عينة من طلاب السنة الأولى والثانية بالكلية، فقد حسب معامل الارتباط بين سلامة مفهوم الذات ودرجات القلق، ووجد أنه كلما زادت إيجابية مفهوم الذات نقص القلق. (عبد الحميد؛ الشيخ، 1978: ص ص 392، 393)

وتلك المرحلة من السعي في اتجاه التوافق النفسي، وتحقيقه وصنع التوازن الشخصي المطلوب، تشبه ما ذكرناه سابقاً عن النفس اللوامة: وهي المستوى المتوسط بين النفس الأمانة بالسوء -والتي تغرق في شهواتها وملذاتها وإشباع حاجاتها بشتى الطرق -، وبين النفس المطمئنة: وهي أعلى مستويات الكمال الإنساني تقريباً؛ حيث يحدث التوازن بين البدن، وبين الروح.

الفروق الفردية:

إذا بحثنا عن طبيعة هذه الفروق بين الأفراد فيما يتعلق بإحدى السمات أو القدرات، واجهتنا أسئلة كثيرة أهمها:

1- هل تعتبر هذه الفروق الفردية فروقاً كمية، أو نوعية؟؛ بمعنى هل الفرق بين شخص وآخر ينحصر في أن أحدهما يمتلك قدرات أو سمات لا تتوفر بالمرّة

في الشخص الآخر، أم أن جميع هذه السمات وتلك القدرات متوفرة في كل فرد، وأن الفرق ينحصر في مقدار توفر السمة، أو القدرة في كل فرد؟.

2- هل تنتظم السمات أو القدرات في توزيعها بين مختلف الأشخاص في إطار عام، أم أنها موزعة حسبما اتفق دون أن تجتمع تحت نسق معين؟.

3- ويتصل بالسؤالين السابقين سؤال آخر يتعلق بمدى التفاوت الموجود بين مختلف الشخصيات في أية سمة، أو قدرة معينة؟.

ونلاحظ أننا نصف في حديثنا العادي وبطريقة غير علمية، شخصاً بأنه خال من الذكاء، أو الأمانة، أو أية صفة نفسية، أو خلقية، وإذا بحثنا عن هذا الوصف وجدنا على الفور أنه يتضمن شيئاً من المبالغة والتعميم غير العلمي، فلا يمكن أن نجد شخصاً خالياً تماماً من الذكاء، أو أية قدرة أو سمة أخرى فحتى بين ضعاف العقول على اختلاف درجات ضعف العقل - هناك فروق بين ذكاء الأفراد -؛ بمعنى أن من بينهم من يستطيع أداء بعض الأعمال البسيطة التي لا يتسنى لغيره من نفس الفئة أداؤها.

ومعني ذلك أننا لا نستطيع تقسيم البشر بالنسبة لأية سمة نفسية، تقسيماً ثنائياً حاداً إلى من يمتلك، و من لا يمتلك، ولكننا نستطيع أن نقرر أن امتلاك الأفراد لأية سمة، يتمثل بمقياس متصل اتصالاً تاماً؛ بحيث لا نستطيع أن نحدد له بداية أو نهاية تحديداً قاطعاً، كما لا نستطيع أن نقسمه إلى فترات منفصلة، فبين كل درجة وأخرى من امتلاك السمة، ما يمكننا أن نجد عدداً لا حصر له من الدرجات الأخرى لامتلاك نفس السمة.

نخلص من هذا؛ أن الفروق الفردية في فروق كمية، ونحن حين نذهب إلى هذا القول فيما يتعلق بالعوامل النفسية؛ إنما نستمد الأدلة عليه أيضاً بالفروق الفردية في المستوي العضوي، فالقدرات الجسمية كذلك تختلف من فرد لآخر اختلافاً كمياً، وتتفاوت تفاوتاً موزعاً على مقياس متصل، بل وينطبق ذلك أيضاً على أبعاد

أعضاء الجسم وطول القامة والوزن، وقد يسأل سائل: أليس في استطاعتنا تقسيم أفراد المجتمع إلى مبصر وغير مبصر، وأصم وغير أصم.. الخ؛ أي أن التقسيم على حسب الحواس، ولكننا نعود فنقول إنه حتى في حالات فقد الحاسة كما هو الحال في العمى مثلاً، فهناك درجات متفاوتة الكمية في هذه القدرات الحسية، فقدرة الإبصار بين المبصرين متفاوتة في الدرجة، والذي يعيش في مؤسسة المكفوفين يستطيع أن يري فروقاً بين المكفوفين في مدى كف قدرة الإبصار لديهم؛ بحيث نستطيع أن نجد منهم من يتقرب قريباً كافياً من بعض ضعاف البصر في المبصرين، وهكذا في باقي الحواس.

وأيضاً في توزيع القدرات والسمات والاستعدادات الجسمية، أو الذهنية، أو الانفعالية، بل وحتى توزيع الجنس على الأفراد (ذكورة وأنوثة)، يُنظر إليه الآن على أنه يتبع نفس المقياس المتصل الذي سبق إيضاحه. فلكل فرد منا (ذكر أو أنثي)، درجة ذكورة، ودرجة أنوثة تتمثل في اتجاه قدراته، وسلوكه، وميوله، واتجاهاته، ونموذج معيشته - ما يفضله وما يكرهه -، وما اعتاد عليه من سلوك في المواقف المختلفة، ولهذا أُعدَّت اختبارات سيكولوجية تقيس ثمة الذكورة/ الأنوثة في الفرد؛ بحيث نستطيع أن نُحدد لكل شخص درجة معينة بين طرفين متباعدين، يحددهما الاختبار يمثلان أقصى درجة من الذكورة، وأقصى درجة من الأنوثة. (خيرى، د.ت)

وقد سبق القرآن الكريم العلم والعلماء في تبيين تلك الفروق الفردية بين الناس في استعدادهم وقدرتهم في كثير من الآيات يقول الله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَانِكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ [الأنعام: 165]

تبين لنا الآية الكريمة؛ أن من وظائف الإنسان في الدنيا تعمير الأرض، وأن هناك درجات بين الناس فيما أتاهاهم الله من فضله، كالمال، والأخلاق، وحسن الشكل، والألوان، والشخصية ودرجة اتزانها، إلى آخره من النعم.

و الحكمة في ذلك.. ليختبرهم في الذي أنعم به عليهم وامتحانهم به، ليختبر الغني في غناه، ويسأله عن شكره، والفقير في فقره، ويسأله عن صبره. ابن كثير (د.ت: ص ص 641، 642)

وهذا تأكيد آخر على الفروق الفردية بين الناس، فتقوى الله في الثروة، والجاه، والصحة، والجمال، وشتى الصفات، يتطلب نفس بشرية استطاعت تحقيق التوازن الشخصي بين متطلبات الحياة الدنيا، وبين متطلبات الحياة الآخرة، وهذه قدرة ليست متوفرة عند كل الناس فهي مختلفة، بل تختلف في الشخص نفسه، فقد يضعف في بعض الأحيان ويغره رزقه فيختل التوازن، والرجوع إلى التوازن السليم يختلف أيضاً من شخص لآخر، فالإختلافات كثيرة بين الناس في الاستعدادات، والقدرة على تحقيق التوازن، والوصول إلى ما ينجيه من الوقوع في الخطأ؛ ومن ثم عذاب الله عز وجل في نار جهنم.

ويقول تعالي أيضاً: ﴿ أَهْمَرَّ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ . [الزخرف: 32]

ويقول: ﴿ وَمَنْ آيَنِيهِ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ . [الروم: 22]

ويقول: ﴿ أَنْظَرَكَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ . [الإسراء: 21]

ويقول: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ . [فاطر: آية 28]

وتتضح في هذه الآيات حكمة المولى عز وجل من الفروق بين الناس على حسب استعداداتهم، فكل فرد منا ميسر لما خلق له، ليكون الجميع في خدمة الجميع، فالله سبحانه وتعالى جعل البشر أسباباً للرزق، هناك الغنى وهو سبب رزق

الأجير الذي يعمل لديه، وفي نفس الوقت لن تستقيم حياة الغنى دون هذا الأجير الذي يقوم بأعمال ليس في استطاعة الغنى أداءها، وهكذا!.

النمو والشخصية:

كما سبق يتبين لنا الاختلاف بين الناس على الرغم من وجود صفات يشترك فيها الجميع كخلق الإنسان من طين مثلاً، وقوانين عامة تنطبق على الجميع، لكننا لا نجد اثنين من البشر متطابقين تمام التطابق، وأنه مهما اختلفت الصفة أو الخاصية التي ندرسها، فإن بعض الأطفال يمتلكون منها قدرأ أكبر من معيار الجماعة في هذا المستوي العمري، وأن بعض الأطفال يمتلكون منها قدرأ أقل. هذا بالإضافة إلى أن درجة الاختلاف والتغاير كثيراً ما تزداد مع التقدم في العمر.

ويتضمن النمو وجهين من وجوه التغير، فيقال إن الطفل (يكبر)، والطفل (ينمو)، فهو يكبر في الحجم (كماً)، وينمو بنيوياً ووظيفياً (كيفاً).

وثمة أمثلة توضيحية لعملية النضج، أو النمو هذه التي تصاحب الكبر في الحجم، فالجهاز الهضمي على سبيل المثال، لا يكبر فقط في الحجم، ولكنه يتغير أيضاً بنيوياً، ويتيح ذلك هضم الأطعمة الأكثر تعقيداً؛ مما يجعل الطفل ينوع في طعامه، الأمر الذي يضمن عليه صحة بدنية طيبة، ويسهم كذلك في نموه الاجتماعي.

وقد يتساءل البعض: كيف يستطيع الرضيع الذي لا حول له، والذي تعوزه المهارة أن يصل في النهاية إلى مستوى من النضج يمكنه من مواجهة أعباء الحياة؟.

والإجابة بأنه يستطيع ذلك عن طريق سلسلة من خطوات التقدم المنظمة، وهو ينمو نمواً داخلياً كلياً، فمصدر نمو الكائن الحي هو ذاته، وهو ينمو نمواً منتظماً ومستمرأً، ذلك أنه يحافظ دائماً على سماته الرئيسية سواء أكانت هذه السمات جسدية، أم عقلية، أم نفسية، وليس معنى قولنا هذا أن نترك الطفل وشأنه، ذلك أن الإهمال المفرط، أو سوء التوجيه يمكن أن يعوقا نمو الفرد.

ونتيجة لهذا النمو المنتظم، ليس من الصعب أن نرسم شكلاً توضيحياً للخطوات التي يحدث بها النمو، أو نصف الأنماط التي يتبعها، ذلك أن الطفل لا يستطيع أن يمشى مثلاً دون أن يمر بمرحلة الوقوف، ولا يستطيع أن يتكلم دون أن يمر بمرحلة الثغاء أو المناغاة بمقاطع من اللغة. (عبد الحميد، 1977)

خلاصة القول؛ إن النمو النفسي للفرد يتم في شكل منظم ومستمر، تشكله بيئته المحيطة بدءاً من الوالدين، ومروراً بمراحل التعليم المختلفة، لتتبلور في النهاية شخصيته، والتي تكون انعكاساً لما اكتسبه الفرد خلال مراحل نموه المختلفة.

النمو في القرآن الكريم:

لقد عنى القرآن الكريم بالنمو ليس فقط منذ الميلاد، بل من مرحلة ما قبل الميلاد، وهذا ما فعله علم النفس فيما بعد، فهو لا يعنى بدراسة مراحل نمو الطفل منذ ميلاده فقط، بل تمتد العناية أيضاً بدراسة مراحل نموه قبل الميلاد، وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه، والعوامل المختلفة الوراثية والبيئية التي يمكن أن تؤثر في تكوين الجنين ونموه.

أما عن النمو بعد الميلاد، فمن المعروف لنا جميعاً أن الطفل يولد ضعيفاً في حاجة إلى الرعاية، والعناية به حتى يكبر، ويستمر نمو الوليد بسرعة كبيرة في الأيام الأولى من حياته، ولكن تأخذ سرعة النمو في البطء تدريجياً مع تقدم العمر، وتبدو الحياة هادئة مستقرة قبل فترة المراهقة، وما أن تبدأ مرحلة المراهقة حتى تتوالى على الطفل تغيرات قوية وسريعة عضوية وتشريحية ونفسية، ثم تهدأ سرعة التغيرات في نهاية مرحلة المراهقة، وبداية مرحلة الرشد التي يكتمل فيها نموه، وتعود الحياة مرة أخرى إلى الهدوء والاستقرار، ومع أن الراشد يكون قد بلغ تمام النضج في نموه الجسمي، ونمو قدراته العقلية، إلا أنه يستمر في تعلم خبرات جديدة، وفي اكتساب المعرفة، والخبرة، والحكمة حتى يصل إلى مرحلة الشيخوخة، فتأخذ قوته الجسمية في الاضمحلال، فتقل قدراته العقلية تدريجياً، ويظهر على بعض الشيوخ في حوالي

سن السبعين نوع من الاضطراب السلوكي والعقلي يتميز بضعف الذاكرة، وعدم القدرة على التركيز الذهني، والخلط بين الماضي والحاضر، والحقيقة والخيال، والعجز عن إصدار الأحكام العقلية، كما يفقدون السيطرة على انفعالاتهم واندفاعاتهم فيبدو سلوكهم في الأغلب طفولياً، ويطلق على هذه الحالة من الاضطراب السلوكي العقلي اسم (ذهان الشيخوخة). (نجاتي 1982)

وتبرز هنا أهمية التوازن النفسي، والذي يتوقف على قدرة الفرد على التأقلم مع الشيخوخة، وما تحدثه هذه المرحلة من تغيرات عليه أن يواجهها، فالتوازن النفسي في هذه المرحلة لا يتمتع به جميع الناس، مما يؤكد دور الفروق الفردية بين الناس في عملية التوازن النفسي للإنسان، وقدرته على التكيف، وقد تحدث المولي عز وجل في قرآنه العظيم عن مراحل نمو الإنسان من قبل الميلاد، إلى ما بعد الميلاد، مروراً بمراحل الطفولة والرشد، ونهاية بالشيخوخة في إيجاز بديع وبلغ قائلاً:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ . [المؤمنون: الآيات 12-14]

وقال: ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ . [الحج: 5]

وقال: ﴿ خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ . [الزمر: آية 6]

وقال: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ .

مراحل ما بعد الميلاد:

يقول المولى عز وجل عن هذه المراحل:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ . [غافر: 67]

وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ . [الروم: 54]

وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْأَىٰ إِلَىٰ أَزْدِلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ . [النحل: 70]

وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ . [التين: الآيات 4-6]

وقال: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾﴾ . [يس: 68]

وقد أكد القرآن الكريم على أن الطفل يولد بالحواس التي تمكنه فيما بعد، من إدراك العالم من حوله، وتساعده على تدبر أموره فقال:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ . [النحل: 78]

وفيها ذكر السمع قبل البصر للأهمية، كما ذكرنا سابقاً في حديثنا عن موضوع الحواس في القرآن الكريم.

سمات الشخصية السوية القابلة للتواصل الإنساني:

1- الموضوعية؛ وتعنى قدرة الفرد على السلوك والتصرف، وإصدار الأحكام غير المتحيزة لعنصر من العناصر، أو رأى أو سياسة، أو العدالة في الحكم على الأشياء والتحدث بلسان مصالح المستحقين، وليس المصالح الخاصة.

- 2- الصدق؛ ويعنى أن يعكس الحديث حقيقة مشاعر المتحدث، أفكاره، وآرائه. كما يعنى أن تتطابق أحوال المتحدث مع أفعاله وتصرفاته.
- 3- الوضوح؛ ويعنى القدرة على التعبير عن الأفكار بوضوح، من خلال اللغة البسيطة، والمادة المنظمة والمسلسلة تسلسلاً منطقياً.
- 4- الدقة؛ وتعنى التأكد من أن الكلمات التي يستخدمها المتحدث؛ تؤدي المعنى المطلوب منها بعناية.
- 5- الاتزان الانفعالي؛ ويقصد به أن يظهر الفرد انفعاله بالقدر الذي يتناسب مع الموقف، وأن يكون متحكماً في انفعالاته.
- 6- المظهر؛ ويعنى أن يعكس مظهر الإنسان، مدى رؤيته لنفسه. كما يحدد الطريقة التي ينظر بها الآخرون إليه، ويشكلون أحكامهم عنه. ويضم المظهر العام: النظافة والأناقة الشخصية، والملبس والمظهر المناسب للحالة أو الموقف، وكذلك الصحة النفسية والبدنية. سالم (2009: ص ص 80، 81)
- وقد أشار المؤلف قبل ذلك في كتابه "أخلاقيات العمل بين الدين والمجتمع"، ضمن الإشارة إلى خطوات إنقاذ المجتمعات الأخلاقية؛ إلى ضرورة عمل كشف نفسي على العاملين الجدد، يتم تضمينه إلى الكشف الطبي العام، الذي تجر به المنظمات المختلفة عند التعيين، بل ويجب أن يكون دورياً كل فترة لقياس تكيف العاملين مع نظام العمل، أيضاً ضرورة الكشف النفسي على القيادات الإدارية قبيل توليهم مناصبهم الإدارية؛ حيث لا يمكن إغفال دور القيادات الإدارية في تشكيل الحالة النفسية للموارد البشرية التي تمتلكها المنظمة. على (2011)

والسؤال الآن: هل يمكن للمديرين أن يغيروا في شخصية العاملين؟

لا شك أن مهارات المدير يجب وأن تشمل على جزء كبير من القدرة على التأثير وإحداث التغيير، ولذلك فإن التحدي الأكبر فيها يظهر عندما يبدو التغيير

شبه مستحيل، وعندما تتحدث عن التغيير من منطلق الشعارات الرنانة والعبارات الحماسية المفتعلة، فالواقع أن معظم الأشخاص سوف يستنكرون الأمر على نحو تام، وإذا لم يكن لديهم أمل؛ أي إذا لم يكن لديهم اعتقاد في النجاح وتوقعه بالمعنى الاصطلاحي للكلمة، فلن يتمكنوا من حشد قواهم الاستثنائية من طاقة وتماسك وصبر ومثابرة؛ وهي أمور مطلوبة لإحداث التغيير.

فالقادة في حاجة إلى إثراء معتقداتهم بأفعالهم وتصرفاتهم، فإذا كانت البداية في مجرد فكرة نؤمن بها ثم نروج لها، فإن ما يضمن استمرارها وتفعيلها هو تجسيدنا إيها على أرض الواقع، وعندما نبحث في فلسفة التغيير، فسنكتشف ما يمكن لنا أن نسميه بـ (عناصر الإيمان الأربعة)؛ وهي:

- 1- يجب أن يؤمن القادة بأنفسهم وبقدرتهم على إحداث التغيير.
- 2- يجب أن يؤمن القادة أن الأفراد الذين يعملون معهم قادرين على التغيير.
- 3- يجب أن يبحث القادة الأفراد لديهم بأفعالهم وتصرفاتهم: وذلك بتجسيدهم للمعتقدات والقيم أمامهم.
- 4- يجب أن يبعث القادة في نفوس أفرادهم الإيمان بأنفسهم وقدراتهم: ويمثل هذا الأمر بالعديد من الطرق، التحدى الأصعب بالنسبة للجميع، ولكن أفضل الطرق للوصول إلى ذلك في (النمذجة) أو محاكاة الأدوار، قبل أن يؤمن الأفراد بأنفسهم عليهم محاكاة أدوار غيرهم من الأشخاص، الذين تغلبوا على العقبات نفسها ونجحوا في تحقيق التغيير نفسه. (دويتشمان، مارس 2011)

والحقيقة أنه من الصعب أن تصف شخصاً بأي درجة من الموضوعية، ولو نظرنا خلف القناع تصبح لدينا القدرة على اكتشاف (الميكانزم) الذي يخلق هذه الشخصية؛ هذا الميكانزم هو ببساطة: ميل الشخص إلى التصرف بطريقة معينة في ظل موقف معين، وهذا الميل يتكون من أجزاء ثلاثة يمكن أن نشير إليها بأنها: المعتقدات، الاتجاهات، والقيم. وقد اختلف الكتاب اختلافاً بيناً حول معنى تلك الألفاظ - ولهم العذر في ذلك -؛ حيث أن الموضوع معقد بنفس درجة تعقد

الطبيعة البشرية، إلا أن هذه الصعوبة يجب أن لا تمنعنا من مواصلة البحث، لأن فهم هذا الميكانيزم، هو المفتاح الذي يفتح باباً يتيح لنا فهم وإدراك السلوك، سواء كان ذلك بالنسبة لسلوك الفرد، أو الجماعة، أو سلوك الجماعات داخل التنظيم.

وبوجه عام يتعامل القادة والمديرون في المجال الإداري، مع زملاء ومرؤوسين وأحياناً رؤساء وعمال وجمهور، وهو ما يقتضى "فهم أنماطهم ودراسة أسلوب التعامل معهم وفقاً لسمات وخصائص كل منهم، وإذا كانت دراسة هذا الموضوع (أنماط الشخصية وخصائصها) يعد أمراً هاماً للعامة في المجتمع؛ فإنه يصبح أكثر أهمية للقادة والمديرين في المجال الإداري (شفيق، 2002: ص111)، وللمنظمات في اختيارها للقادة والعمالين الذين يحققون مستوى عمل مرضى، وذلك من خلال اختبارات الاختيار القائمة على سمات الشخصية؛ وفيما يلي عرض لبعض أنماط الشخصية:

1- الشخصية الاجتنابية Avoidant: شخص يميل لاجتناب الآخرين خوفاً من رفضهم إياه وخشية منهم، وهو يفضل دائماً العزلة والانسحاب من المواقف. وعلى مستوى العمل، ينصح بعدم توليه وظائف تحتم عليه التعامل المستمر مع عدد كبير من الأفراد.

2- الشخصية الاعتمادية Dependent: دائم الاعتماد على الآخرين ولا يستطيع تحمل المسؤولية، أو اتخاذ قرار. وعلى مستوى العمل، ينصح بعدم توليه أية مناصب قيادية.

3- الشخصية النظامية (الوسوسة) Compulsive: مبالغ في دقته وروتيني في عمله، وهو غير مرن ويصعب تغيير رأيه واتجاهاته، فهو عنيد يصعب إقناعه، كما أنه يتردد في اتخاذ القرار.

وعلى مستوى العمل، يصلح في المجال التنفيذي الدقيق، وهو يحافظ على مستوى النظام والأمن ودقة الأداء، وهو ملتزم جداً، ولكنه لا يصلح في مجالات التخطيط والإبداع والاختراع.

- 4- الشخصية سلبية العدوان Passive Aggressive: يميل للتسويف والتأجيل، لا يعترض ولكن يهرب بالتأجيل، كسول في العمل، كثير الشكوى ويستشعر بظلم وهمى، يسعى لتحقيق عدم الاستقرار لمن حوله. وعلى مستوى العمل، لا يعتمد عليه ولا يركن إليه.
- 5- الشخصية المؤذية للذات (الماسوكية) Self Defeating: يحب التضحية دائماً، يعمل الخير للجميع، يؤدي الخدمات على حساب نفسه؛ رغم أنه غير مطلوب منه ذلك.
- على مستوى العمل، يمكن أن يستغل تفضيله للصالح العام ووجهه لخير الآخرين، وهو يصلح في المجالات الإنسانية، وعلى العكس هناك الشخصية السادية Sadistic، والتي تتلذذ بتعذيب وإيلام الآخرين.
- 6- الشخصية الاضطهادية Paranoia: لا يثق في الآخرين، شكاك، غيور جداً، لا يحب الصداقات ويسعى لعزل نفسه وأسرته عن الآخرين، يعتقد بخيانة كثير من الناس له، لا ينجح في التعامل مع الناس. على مستوى العمل، لا ينجح في التعاون مع الآخرين والعمل ضمن فريق، وهو يؤتمن على الأسرار ولا يبوح بها أبداً من فرط شكه فيمن عداه.
- 7- الشخصية فصامية النمط Schizotypal: غريب التفكير، يعتقد أن له قدرات خاصة وخارقة، يؤمن بالجن والخرافات، وهو أيضاً واسع الخيال، شخصية مرضية ويحتاج إلى علاج. على مستوى العمل، لا يعتمد عليه إلا فيما يتعلق بذاته ويجب السعي لعلاجه.
- 8- الشخصية الانطوائية (شبه الفصامية) Schizoid: غير اجتماعي لا يحب الاختلاط بالناس، خجول جداً، قريب من سمات الشخصية الاجتنابية مع الفارق، في أن بعده عن الناس ليس خشية منهم؛ ولكن لأنه لا يريدهم. وعلى مستوى العمل، ينصح بعدم توليه وظائف تستدعى تعامله الدائم مع عدد كبير من الأفراد.

- 9- الشخصية الهستيرية Histrionic: في أكثر وضوحاً في النساء، وهي شخصية تميل إلى حب الظهور وجذب الانتباه، تتصف بسرعة الانفعال وتقلب المزاج والعاطفة القوية المتغيرة.
- على مستوى العمل، تصلح في مجالات العلاقات العامة، وفي التمثيل؛ حيث أنها مغمورة بالخطابة والتعبير وتحب المديح والشهرة.
- 10- الشخصية النرجسية Narcissistic: محب للذات، أناني، يسعى لتحقيق أهدافه الخاصة، يحب الشعور بالأهمية، يهدف لتولى أعلى المناصب ليتحكم في الآخرين. على مستوى العمل، لا يؤتمن على سر (وهو قريب من الشخصية الهستيرية).
- 11- الشخصية البينية (الاندفاعية) Borderline: مندفع جداً، يعمل قبل التفكير وهو كثير الندم على أفعاله، يسبب توتراً وشقاقاً ومنازعات مستمرة، لا يملك نفسه عند الغضب.
- على مستوى العمل، يجب متابعته الدائمة وتحجيم أنشطته الاندفاعية وكبح جماحه.
- 12- الشخصية الإجرامية (السيكوباتية) Anti - Social: ضعيف لا يتحمل المسؤولية، سلوكه ضد المجتمع والأفراد، لا يتعلم من أخطائه، وهو دائم التكرار لها، لا يستجيب للثواب والعقاب، يعادى أجهزة النظام مثل الشرطة، والرؤساء في العمل، يميل إلى الإجرام، متملق، وصولي، نفعي، مادي، يستغل الجميع لتحقيق مصلحته الذاتية.
- على مستوى العمل، يحتاج إلى متابعة مستمرة، وسيطرة وتهديد بالعقاب ومباشرة مع عدم التساهل معه. (شفيق، 2005)، وإن كنا نفضل فصله، فصاحب هذه الشخصية قد يصنع فوضى في المنظمة يصعب السيطرة عليها.

الفصل التاسع

حقوق الإنسان النفسية

الفصل التاسع

حقوق الإنسان النفسية

إن المولى عز وجل عندما تحدث عن النفس البشرية في القرآن الكريم، وما تحمله من دوافع وانفعالات وسمات شخصية، وتحدث عن الفروق الفردية بين الناس. تحدث لحكمة أرادها سبحانه وتعالى، ولتوضيح الطريق السليم للوصول بالنفس إلى النعيم، عن طريق التوازن بين الجانب المادي والذي يتمثل في احتياجاتنا الإنسانية لحفظ الذات وبقاء النوع، وبين الجانب الروحي الذي يردنا إلى الله سبحانه وتعالى، عن طريق الإيمان الفطري المتأصل في نفوسنا.

وكما ذكر القرآن النفس البشرية وأمراضها، ذكر أيضاً العلاج النفسي لها، فالصحة النفسية أمر ضروري للإنسان في حياته الدنيا، لا يقل في الأهمية عن الصحة البدنية، فكلاهما يساعد الإنسان على تدبر أمور حياته، ومن المعروف أن هناك أمراض جسدية أساسها سوء الحالة النفسية، وقد عرفها العلماء بالأمراض (النفسجسمية).

ومن تعريفات الصحة النفسية يمكننا أن نخرج بتعريف لها، وهو: أن الصحة النفسية تعنى قدرة الإنسان على التكيف، والتوافق مع مواقف وظروف الحياة

المختلفة، السار منها والمحزن؛ بحيث يظل قادراً على أداء الدور المنوط به في الحياة من عبادة، وإعمار، والمساهمة في بناء المجتمع السليم، فالشخص المعتل نفسياً يفقد الثقة بنفسه؛ وبالتالي يفقد الثقة بالآخرين، مما يفقده روح التعاون في صورة تكاملية بينه وبين غيره من الناس، والأسوأ من ذلك أنه يتعامل ويتفاعل معهم بطريقة عدوانية أملاً في تحقيق ذاته؛ ومن ثم يتحول إلى عبء ثقيل على نفسه أولاً، ثم على المجتمع، وللحفاظ على الاستقرار المعنوي يجب أن نبدأ بتقييم الآتي:

- أولاً: طاقة صغار السن، وتقاس بطريقة غير مباشرة عن طريق الوراثة.
- ثانياً: المؤثرات العلمية والبيئية التي توجه الطموحات، وكذلك الاتجاهات والأنشطة في مرحلة الطفولة والمراهقة، مع وجود الصحة البدنية، والنفسية للفرد.

وقد أثبتت بعض التجارب العلمية، تأثير هذه الحالات على نمو الاضطرابات العقلية، فوجد أن هناك أكثر من 8 مليون أمريكي متأثرون بدرجة معينة بالأمراض العقلية، ويجب أن يوجه هؤلاء الأشخاص الذين يندرون بمرض عقلي إلى محللين نفسيين، أو أخصائيين في الأمراض العقلية، وتعتبر الوظيفة الأولى لأولياء أمور صغار السن، في المحافظة على الصحة العقلية لهؤلاء الأشخاص في مجالات عملهم، (الطويل، 1985) وذلك حتى يتجنبوا مخاطر التعب النفسي الذي يضر بكافة مجالات الحياة، ومنها على سبيل المثال التعب النفسي في العمل، وهو مصطلح يتضمن أنواع العوامل الأكثر مراوغة التي تؤدي إلى الهبوط بالعمل، وهو لهذا يتضمن هبوط الكفاية في أداء العمل، الذي كثيراً ما يطلق عليه اسم التعب العقلي، كما يتضمن أيضاً الظاهرة المعروفة باسم الرتابة والملل.

هذا وينبغي أن يدرج تأثير الاتجاهات والدوافع في الهبوط بالعمل مع هذه الفئة أيضاً. ويمكن أن تعد هذه الظاهرة في النطاق الذي يحدث فيه التعب، هبوطاً في وظيفة الأعصاب، والمراكز المخية، ولسوف نرى فيما بعد أن الرتابة والملل يتأثران بالطريقة التي ينظر الفرد بها من حين لآخر إلى المهمة التي عهد بها إليه؛ مما يؤدي بالإنتاج إلى التذبذب - صعوداً وهبوطاً - بدلاً من الهبوط المطرد.

ولا يمكننا أن نغفل دور المهمة نفسها الموكل إليه لإنجازها، بالإضافة إلى جو العمل من قواعد، ولوائح، ومعايير، وقوانين تتضارب مع بعضها، وغير ذلك من الأسباب التي تؤدي إلى الروتين، وبالتالي إلى الرتابة والشعور بالملل، بالإضافة إلى الإحباطات التي قد يواجهها الإنسان، وفقده للتقدير والتشجيع من جانب رؤسائه، وإجهاض كل محاولاته للتطوير، بادعاءات غير مبررة، وغير منطقية، كل هذا يؤدي في النهاية إلى التعب النفسي، الذي يظهر في صورة تعب بدني وعدم قدرة على أداء العمل، وذلك لقلة إدراكنا، أو عدم الاهتمام بالنفس البشرية وأمراضها، مما يحدث الخلط بين نوعي التعب النفسي والبدني.

وقد وجد أن الدافعية عامل مشترك في أنواع التعب جميعاً؛ من حيث أن سرعة حدوث التعب في أي نموذج من نماذج العمل، تختلف اختلافاً عكسياً مع قوة الدافعية. فإذا كانت الدافعية ضعيفة ظهرت آثار التعب سريعاً، أما إذا كانت الدافعية قوية، فقد لا تظهر علامات التعب حتى يبدو الإنهاك البدني واضحاً.

لذلك؛ لا ينبغي إغفال أهمية التعب النفسي، حتى على الرغم من الغموض في أعراضه في الكثير من الأحيان، وإبهامها، فهو جانب هام في الاضطراب الصناعي، وفي الهبوط بالعمل - وبالتالي قلة الإنتاج كما وكيفاً - بل إنه قد يكون مسئولاً أيضاً عن زيادة الإصابة بالاضطرابات النفسية في الحياة الحديثة، ذلك أن الصراعات العقلية الإحباطات تتصل كثيراً بعمل الإنسان؛ بحيث قد أضحي من مصلحة رجال الصناعة - والحكومات - أن يعملوا على الوصول إلى ما يؤدي إلى خفض الإصابة بها. (ماير، د.ت)

ما سبق هو نموذج من نماذج تأثير التعب النفسي على مجال من مجالات الحياة المختلفة، ولهذا كانت أهداف الصحة النفسية تشكل في الأساس حول صغار السن، "فالتنشئة الجيدة هي أولى خطوات الصحة النفسية، بالإضافة إلى التعليم بكل مراحلها، ولا نغفل دور الدين ممثلاً في المساجد، وما يلقي فيها من خطب، تحتاج إلى تطوير، ليس كما هو مفهوم للبعض بأنه تغيير في الشريعة، والأوامر

والنواهي الآهية، بل المقصود بالتطوير هو مناسبة الخطاب الديني لكل ما يحيط بنا من أحداث، وتطورات في كافة مجالات الحياة، فلا ينبغي أن تقتصر معرفة الخطيب على المعلومات الدينية فقط، في وقت يشهد فيه العالم انفتاحاً ثقافياً، مليئاً بالتيارات الفكرية، والمذهبية المختلفة، فليس من المنطقي أن نقدم للناس الدين بأسلوب قائم على التلقين في وقت لم يكن فيه هذا الكم من المعلومات، والبيانات، والتيارات الغريبة عن المجتمعات الإسلامية المحافظة، مما يفرض ضرورة التطوير لإنقاذ المجتمع الإسلامي من التأثير بأفكار مغلوطة، وجدت طريقها إلى عقولهم التي لا تملك من العلم والثقافة والفكر الديني إلا القليل، ولذلك فعلى كل مسئول عن تنشئة الطفل، أن يعي تماماً خطورة المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأهمية دوره في الحفاظ على سلامة النفس، والوقاية من أمراضها، فالآباء والأمهات، ورجال الدين، والباحثون الاجتماعيون، وأصحاب الأعمال، والمسؤولون بالمدرسة، كل هؤلاء في حاجة إلى معرفة الخطورة على الصحة النفسية في الحالات المتوارثة في البيئة على مر الزمن، وبناءً على ذلك يجب أن يوافقوا بين صغار السن، وهذه الحالات، أو يساعدهم على التوافق مع العوامل التي يصعب تغييرها، وبهذا تكون نسبة حدوث الأمراض العقلية أقل. الطويل (1985: ص 208)

ومن هنا نتضح لنا أهمية البدء بالطفل والمراهق، فالطفولة السوية الخالية من العقد والأمراض النفسية، "في أولى مراحل تكوين الشخصية السوية، فهي البيئة الخصبة لمراهقة سوية؛ وبالتالي مرحلة بلوغ تتميز بتوائم الفرد، وتكيفه مع البيئة المحيطة مما يحقق له السعادة في الحياة.

والمدرسة حين يعهد إليها المجتمع بهذه المهمة الخطيرة، وهي مهمة إعداد الأجيال، أو صناعة المواطن الصالح السوي المؤمن بربه ووطنه وعروبته، فإنها في حاجة إلى التزود بكل ما يفيدها في أداء رسالتها من الخبرات، والمعلومات، والمعارف الطبية، والنفسية، والاجتماعية، والحيوية، وما يلزمها من دعم مادي وبشرى. العيسوي (2000: ص 215)

لهذا؛ فإن الإيمان بالله بمفهومه الحقيقي (ما وقر في القلب وصدقه العمل)، هو أولى درجات النفس السوية، وأهمها على الإطلاق، لما في الإيمان من تأثير نفسي جيد، يجعل لشخصية الإنسان توافقاً يؤهله إلى التوازن النفسي فيكون عمله للدين والدنيا سواء، وهذا ما أكدته القرآن الكريم منذ مئات القرون، وما زال وسيظل المرجع الأساسي لكل إنسان يريد أن ينجو بنفسه. يقول المولي عز وجل:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: 9]

ويقول سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: 82]

ويقول: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: 57]

ويقول: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: 44]

لقد كان للقرآن الكريم أثر عظيم الشأن في نفوس العرب، فقد غير شخصياتهم تغييراً تاماً، وغير أخلاقهم وسلوكهم وأسلوب حياتهم، وكون منهم أفراداً ذوي مبادئ ومثل وقيم إنسانية نبيلة، وكون منهم مجتمعاً متحداً منظماً، متعاوناً، فاستطاعوا أن يهزموا الروم والفرس أكبر دولتين في العالم في ذلك الوقت، وانتشروا في معظم بلاد العالم، وقاموا بنشر الدعوة الإسلامية فيها، وأنشأوا دولة عظيمة قوية مترامية الأطراف - صعب أن تتكرر -.

إن هذا التغيير العظيم الذي أحدثه القرآن في نفوس العرب، وفي نفوس جميع المؤمنين به من مختلف شعوب العالم، لم يعرف التاريخ نظيراً له بين جميع الدعوات العقائدية التي ظهرت عبر العصور التاريخية المختلفة.

ولا شك أن للقرآن الكريم نورانية، وطاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان فهو يهز وجدانه، ويرهف أحاسيسه ومشاعره، ويصقل روحه، ويوقظ إدراكه وتفكيره ويجلي بصيرته، فإذا بالإنسان بعد أن يتعرض لتأثير القرآن يصبح إنساناً جديداً، كأنه خلق خلقاً جديداً.

وتتفق جميع المدارس الخاصة بالعلاج النفسي، على أن القلق هو السبب الرئيسي في نشوء أعراض الأمراض النفسية، ولكنها تختلف فيما بينها في تحديد العوامل التي تسبب القلق، وتتفق هذه المدارس أيضاً على أن الهدف الرئيسي للعلاج النفسي هو التخلص من القلق، وبث الشعور بالأمن في نفس الإنسان، ويمدنا تاريخ الأديان، وبخاصة تاريخ الدين الإسلامي، بأدلة عن نجاح الإيمان بالله في شفاء النفس من أمراضها، وتحقيق الشعور بالأمن والطمأنينة والوقاية من الشعور بالقلق، وما قد ينشأ عنه من أمراض نفسية، ومما يجدر ملاحظته أن العلاج يتدخل عادة بعد حدوث الإصابة بالمرض النفسي.

أما الإيمان بالله إذا ما بث في نفس الإنسان منذ الصغر، فإنه يكسبه مناعة ووقاية من الإصابة بالأمراض النفسية، وذلك استناداً على الروح التي تركز إلى الله، وتحتمي به وتحن إليه كجزء من روحه سبحانه وتعالى - مما يوضح أهمية التنشئة الدينية -، وقد وصف القرآن في العديد من الآيات، ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن نذكر منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢). [الأنعام: 82]

وقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١٢). [البقرة: 112]

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴿٣١﴾ نزلاً من عفور رحيم ﴿٣٢﴾. [فصلت: 30-32]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٣) .
[الأحقاف: 13]

والمؤمن الحق لا يخاف من فوات الرزق أو ضياعه، فالله عز وجل قدر له ولغيره رزقه قبل إيجاده، وفي ذلك يقول المولي عز وجل: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٢٢) . [الذاريات: 22]

ويقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٥٨) [الذاريات: 58]
ويقول: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٦٠) . [العنكبوت: 60]

ويقول: ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴾ (٦٦) . [الرعد: 26]

أيضاً لا يخاف الموت، لإيمانه بأنه حق على كل النفوس، وأيضاً من هذا الإيمان ينبع الصبر على فقد عزيز لدينا، فلا يأتي المؤمن بأفعال الجاهلية، وهى في حقيقتها اعتراض على أمر الله ومشيتته، يقول تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنْ الْفَكْرِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْعُرُورِ ﴾ (١٨٥) . [آل عمران: 185]

ويقول: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ لَآتٍ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٧٨) . [النساء: 78]

ويقول: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٤) .
[الأعراف: 34]

ويقول: ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١١) . [المنافقون: 11]

ويقول: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ . [فاطر: 11]

ويقول: ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ . [أحزاب: 16]

ويقول عز من قائل: "يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ". [الجمعة: 8]

أيضاً المؤمن الصادق هو المؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، الصابر على المكاره والمصائب، لا يتلفظ بما يتلفظ به الجهلاء في وقتنا الحاضر، من ألفاظ تحمل بين جنباتها وجه الاعتراض بسؤال المولى عز وجل لماذا هذه المصائب والشدائد، وسبحانه لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

والمؤمن الصادق لا يندم على ما فاته من نعم كما أنه لا يشعر بالقلق الناتج عن الإحساس اللاشعوري بالذنب، وهو ما يعاني منه كثير من المرضى النفسيين، لأنه ليس من السهولة إغرائه بارتكاب الذنوب التي يندم عليها أشد الندم، وإن فعل الذنب، وهو أمر مقدر على الإنسان أن يخطئ، لكن المؤمن الحقيقي يستطيع أن يدرك خطأه بضميره اليقظ، ومخافته من الله عز وجل، فيستغفر الله عن خطأه، راجعاً إليه تائباً، يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ . [النساء: 110]

ويقول: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ . [طه: 82]

ويقول: ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ . [الزمر: 53]

والإيمان أيضاً يؤدي إلى الانتماء إلى الجماعة؛ حيث يبحث القرآن المؤمن على أن يحب إخوانه المؤمنين، وأن يحسن إليهم، ويمد إليهم يد العون والمساعدة، يقول

تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٠) .
[الحجرات: 10]

ويقول: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٩) . [الحشر: 9]

كما يحث القرآن المسلمين على التعاون والتكافل، وتكوين مجتمع موحد الكلمة، متضامن يشعر فيه المؤمن أنه لبنه في بناء واحد متكامل، مما يشعر معه بأهميته، وبأنه عضو نافع في المجتمع وليس عبئاً عليه، يقول تعالى:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا أَلْقَاعَ الْوَيْدِ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوِّ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢) . [المائدة: 2]

إن حرص القرآن الكريم على توجيه المسلمين إلى حب الآخرين، يقضى على مشاعر الوحدة التي يشعر بها المرضى النفسيون، وقد فطن كثير من المعالجين النفسيين إلى أهمية العلاقات الإنسانية في الصحة النفسية، وذلك بتوجيه المرضى النفسيين إلى الاهتمام بالناس الآخرين، واتضح أن المريض النفسي إذا اندمج في المجتمع، وما يتبع ذلك من تحسن في علاقاته بالناس، فإنه يشفى من مرضه النفسي.

من المؤكد أنك إذا أردت أن تُحدث تعديلاً، أو تغييراً في شخصية إنسان ما وفي سلوكه، فمن الضروري أن تقوم بتعديل أو تغيير أفكاره واتجاهاته، إذ أن سلوك الإنسان يتأثر تأثراً كبيراً بأفكاره واتجاهاته.

لذلك؛ فإن العلاج النفسي يهدف أساساً إلى تغيير أفكار المرضى النفسيين عن أنفسهم، وعن الناس، والحياة، والمشكلات التي عجزوا عن مواجهتها من قبل وكانت سبباً في قلقهم، وحينما تتغير أفكار المريض النفسي نتيجة للعلاج، فإنه

يصبح أقدر على مواجهة مشكلاته وأقدر على حلها، بل إنه غالباً ما يري أن المشكلات التي كانت تقلقه في الماضي، والتي أدت إلى مرضه لم تكن في الحقيقة بالضخامة التي كان يتوهمها، ولم يكن هناك في الحقيقة مبرر يدعو إلى قلقه الشديد بسببها.

وقد نجح القرآن الكريم نجاحاً عظيماً في التأثير في شخصيات الناس، لا نظير له بين جميع الدعوات الدينية في جميع عصور التاريخ، فقد نجح في تكوين الشخصية الإنسانية المتكاملة المتزنة الآمنة المطمئنة، والسؤال: فكيف استطاع القرآن أن يعالج نفوس العرب، ويغير شخصياتهم على هذا النحو؟.

لقد تم ذلك عن طريق عدة أمور؛ وهي:

1- الإيمان بعقيدة التوحيد:

وهو الخطوة الأولى في إحداث تغيير كبير في الشخصية، فهو يولد في الإنسان طاقة روحية هائلة تغير مفهومه عن ذاته، وعن الناس، والحياة، والكون بأكمله، ويبعث فيه الشعور بالأمن والطمأنينة، فكل ما يحدث له يردده إلى الله، محاولاً الوصول إلى حكمته، يساعده في ذلك إيمانه الذي يجعله يرى في كل حدث الخير، فالمؤمن أمره كله خير كما أخبرنا النبي الكريم ﷺ.

2- التقوى:

وهي تصاحب الإيمان بالله؛ وتعنى أن يقي الإنسان نفسه من غضب الله وعذابه بالابتعاد عن ارتكاب المعاصي والذنوب، والالتزام بمنهج الله تعالى الذي رسمه لنا القرآن، وبيّنه لنا رسول الله ﷺ، ويتضمن مفهوم التقوى تحكم الإنسان في دوافعه وانفعالاته وسيطرته على ميوله وأهوائه، يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ . [الحديد: آية 28]

ويقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٩﴾. [الأنفال: آية 29]

ويقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾. [الأحزاب: 70-71]

وقال: ﴿وَالَّتِي يَسِّنُّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ وَمَنْ يَنْتَقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾. [الطلاق: آية 4]

3- العبادات:

لقد اتبع القرآن في تربيته لشخصيات الناس، وفي تغيير سلوكهم أسلوب العمل، والممارسة الفعلية للأفكار والعادات السلوكية الجديدة التي يريد أن يغيرها في نفوسهم، ولذلك فرض الله سبحانه وتعالى العبادات المختلفة: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والقيام بهذه العبادات في أوقات معينة بانتظام يعلم المؤمن الطاعة لله تعالى، والامتثال لأوامره، والتوجه الدائم إليه في عبودية تامة، كما يعلمه الصبر، وتحمل المشاق، ومجاهدة النفس، والتحكم في أهوائها وشهواتها، كما يعلمه حب الناس، والإحسان إليهم، وينمى في نفسه روح التعاون والتكافل الاجتماعي، وكل هذه خصال حميدة تتميز بها الشخصية السوية الناضجة المتكاملة، ولا شك أن قيام المؤمن بهذه العبادات بإخلاص وانتظام؛ إنما يؤدي إلى اكتسابه هذه الخصال الحميدة التي توفر له مقومات الصحة النفسية السليمة، كما يمدّه بوقاية من الأمراض النفسية. نجاتي (1982)

وفي النهاية؛ إذا كنا اعتدنا أن نقول إن البيت الذي تدخله الشمس لا يزوره الطبيب. فإن الصدور التي يسكنها الإيمان الصادق، والقرآن، وحب أداء العبادات بإخلاص، لا تزورها الأمراض النفسية، أو البدنية المترتبة عليها (النفسجسمية)، ولا يمسه عذاب النار، بل تنعم بالجنة بإذن الله.

تعريف الأخلاق:

يمكن تعريف الأخلاق بأنها: ما يجب عليك أن تفعله، وبتحديد أكثر: أن تعرف ما التصرف الصحيح وما التصرف الخطأ ثم تفعل ما هو صحيح، وربما كان التعريف الثاني أوضح وأبسط قليلاً.

صحيح أن هذا التعريف بسيط وواضح، ولكن الحياة العملية قد لا تسهل الاستفادة منه كثيراً، وذلك لأن التصرف الصحيح والتصرف الخطأ قد يتداخلان، بل كثيراً ما يتداخلان بدرجة تترك الفرد في حيرة شديدة بين البديلين؛ حيث قد يطلب منه عملياً الاختيار بين تصرفين يبدو أن كليهما صحيح!

من المؤكد أن غالبية التصرفات الخاطئة تكون واضحة، مثل السرقة أو الغش أو القتل، فلا أحد يقر هذه التصرفات بالطبع، ولكن المشكلة ليست في هذه الحالات الواضحة؛ وإنما تكمن المشكلة في ما الذي يجب علينا أن نفعله؟. إن السؤال الصعب حقيقة هو: ما الذي يجب أن نفعله؟، فعلى سبيل المثال:

من الصواب طبعاً أن يحافظ المعلم على الأسرار التي ييوح بها التلميذ له، ومن الصواب أيضاً أن يتعاون المعلم مع الناظر فيعطيه بعض المعلومات المهمة لحسن إدارة المدرسة. فهل يجب على المعلم التمسك بالمحافظة على السر؟ أم يجب أن يتعاون مع الناظر ويعطيه المعلومات التي سبق له التعهد بسريتها؟، وهل سيختلف الجواب إذا تعلق الأمر بأمن المدرسة؟، أو باكتشاف مرتكب إحدى المخالفات الكبيرة؟. ما الذي يجب أن تفعله؟.

ويزداد الأمر صعوبة عندما تكون التصرفات المتعارضة، كلها منبثقة من قيم أصيلة ونبيلة ومستقرة في ضمائرنا، وتتنافس على توجيه سلوكنا، ومن أهم العضلات الشائعة:

- الصراع بين الحب والواجب.
- الصراع بين الصدق والولاء.

- الصراع بين العدل والرحمة.
 - الصراع بين مصلحة الفرد و مصلحة المنظمة.
 - الصراع بين مقتضيات الأجل الطويل وضغوط الأجل القصير.
 - الصراع بين ديمقراطية القرار، وبين الاقتناع الشخصي بقرار مخالف.
- لأن الإنسان إذ يواجه هذه المواقف الأخلاقية يكون في حيرة شديدة، وتزداد حيرته عندما يكون هو صاحب القرار، والقرار تصاحبه مسئولية جسيمة.
- خلاصة القول.. إن السلوك الخلقى القويم ليس أمراً سهلاً، والتعرف على ما يجب عمله في كل موقف ليس أيضاً أمراً سهلاً. (عفيفي، 2006)
- إن الكثير من المديرين يبدون وكأنهم يعملون بدون حدود أخلاقية، وغالباً ما تبدو قراراتهم معتمدة أكثر على النفعية، أكثر من أي مفهوم لما هو صحيح، فهل المديرين أنفسهم مسئولون؟.
- إن مثل هذه الأشياء تعد ببساطة جزء من كون المدير، يحتمل أن تكون قليلاً من كليهما. فكمدير فإنه لابد وأن يلازمك في وظيفتك مفهومك الشخصي لما هو صحيح وما هو خطأ. و من الوجه الآخر لمسئوليتك فإن أخلاقياتك تمثل الخلاصة الكلية لخبراتك، وتعليمك، ونشأتك.
- إن كل قرار تتخذه وكل تصرف تقوم به سوف يعكس - للأفضل، أو للأسوأ - تطبيق هذه المعايير للأسئلة المتاحة. ولكن - وهذا هام جداً - أولئك المديرين ذوى المفهوم التواق لما هو صحيح، وما هو خاطئ يقومون بمخاطرة أداء الشيء الخطأ، ويحدث هذا حين يواجهون ضغوط ووقائع الحياة التنظيمية (Armstrong, 2008)؛ وما ينتج عنها من قلق؛ وهو حالة غير محددة للفرد تعبر عن عدم شعوره بالسعادة تجاه المستقبل، وهو يعتبر نتيجة سيكولوجية لتعرض الفرد للضغط ولتقص إشباع الحاجات، كما أنه أكثر الأعراض السيكولوجية الملحوظة لضغط العمل، وتبرز نقطتان أساسيتان للاختلاف بين ضغط العمل والقلق، هما:

- 1- أن ضغط العمل يعتبر سبباً مباشراً لظهور القلق.
- 2- في حين أن ضغط العمل له جانبان أحدهما سلبي، والآخر إيجابي، فإن القلق يعبر عن الجانب السلبي فقط لضغط العمل، مثله مثل الإحباط الذي يعبر عن إعاقة الفرد، عن الوصول لأحد الأهداف الهامة التي يرغب في تحقيقها، أو منعه من التصرف بالطريقة التي يفضلها للقيام بعمله (Jones , 1988: p.468)، ويعد ضغط العمل السبب الرئيسي والمباشر لحدوث الإحباط.

ويمكن تقسيم الضغوط من حيث تأثيرها إلى نوعين، هما:

الأول: الضغوط الإيجابية: وهي الضغوط المفضلة أو المرغوب فيها، وعلى المستوى الوظيفي قد يتعرض العامل للعديد من هذه الضغوط، مثل اجتياز اختبار ما، أو دورة تدريبية معينة للترقى، أو النقل إلى وظيفة أفضل.

ومن مؤشراتها:

- 1- ارتفاع حجم النشاط وقوته.
 - 2- زيادة الدوافع.
 - 3- تعلم الهدوء وعدم الانفعال تحت الضغوط.
 - 4- القدرة على إدراك وتحليل المشاكل.
 - 5- زيادة القدرة على التصرف.
 - 6- زيادة القدرة على التذكر والتركيز والاسترجاع.
 - 7- التفاؤل نحو المستقبل.
 - 8- توفير الدافع لحل المواقف المتعارضة مع الآخرين بأقل قدر ممكن من الضرر.
- (الصيرفي، 2007ب)

كما أن هناك ضغط لأجل الإنتاجية، وهناك ضغط لمواجهةك لقيم ومعايير رئيسك، وهناك الإغراء الحالي والدائم، والذي يأتي مع الاستقلال الذي يحصل عليه معظم المديرين. وهكذا، ففي القرارات سواء الكبيرة أو الصغيرة. فحتى المديرين

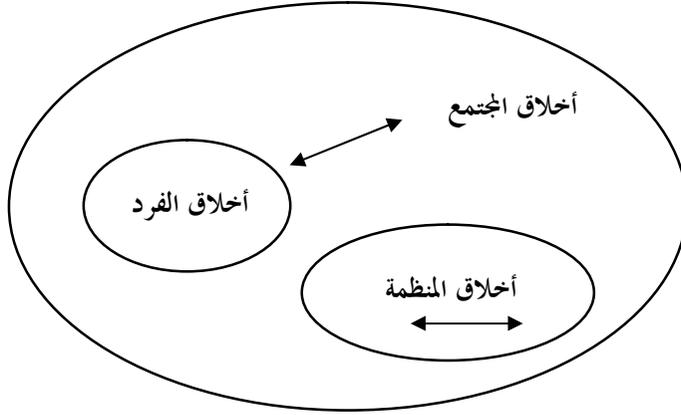
الذين يعرفون أكثر فإنهم أحياناً يتخذون القرارات المناسبة بدلاً من القرارات الحكيمة، على الرغم من أن المدير أو القائد مطالب بتحقيق الكفاءة الإدارية للعاملين معه، فالحكم عليه لا يكون فقط على النتائج، بل أيضاً على ما استطاع تحقيقه من كفاءة استطاع تطبيقها ليصل إلى تلك النتائج، فالعديد من المنظمات تعتقد اعتقاداً تاماً بأن الكفاءات الرئيسية لازمة للنجاح. (Armstrong, 2008)

وباختصار.. فإن القيادة الإيجابية تشير دائماً إلى ما يرفع كفاءة الأفراد؛ ومن ثم كفاءة المنظمة على أداء دورها في المجتمع، وأيضاً القدرة على مواجهة التحديات المختلفة. (Cameron, 2008: p.12)

مصادر قيم وأخلاقيات العمل والإدارة:

- 1- الدين في المجتمع.
- 2- قيم وأخلاقيات المجتمع.
- 3- قيم وأخلاقيات أسر العاملين بالمنظمة.
- 4- التشريعات والقوانين.
- 5- تعليمات ولوائح المنظمة.

وهناك نقطة هامة أخرى في هذا الشأن؛ وهي أن أخلاق المجتمع تمثل أساساً قوياً لأخلاقيات الإدارة والمنظمة، ليس فقط لأنها خلفية مسبقة في تكوين أخلاق أفراد المجتمع الذين يأتي منهم المديرون، بل أيضاً لأن الإدارة لا تعمل في فراغ؛ وإنما في بيئة حية ومتفاعلة معها. لذلك؛ لا بد من أخذ قيم هذه البيئة ومحدداتها الأخلاقية، بنظر الاعتبار في قرارات الإدارة وعملياتها المختلفة؛ لضمان قدر مناسب من تعاطف الجمهور معها، ويوضح الشكل التالي التفاعل التبادلي بين أخلاقيات كل من المجتمع والمنظمة والفرد:



أبو النصر (2007، ص 418).

شكل (7) التفاعل التبادلي بين أخلاقيات كل من المجتمع والمنظمة والفرد،

والسؤال: ما هي أخلاقيات العمل والإدارة؟.

أخلاقيات الإدارة في مجموعة من المعايير والمبادئ التي توجه السلوك الإداري، وتتعلق بما هو صحيح أو خطأ.

كما يرى (فانسنيج)؛ أن أخلاقيات العمل تمثل خطوطاً توجيهية للمديرين في صنع القرار، وإن أهميتها تزداد بالتناسب مع آثار ونتائج القرار، فكلما كان نشاط المدير أكبر تأثيراً في الآخرين، ازدادت أهمية أخلاقيات ذلك المدير. أما (فالوك) فيعرف أخلاقيات الإدارة بأنها: المنهجية للخيار الأخلاقي التي يتم من خلالها ما هو جيد. وهذا التعريف يحاول أن يعطى لأخلاقيات الإدارة بعداً علمياً، ليتم استيعابها ضمن علم الإدارة؛ حتى لا تصبح أخلاقيات الإدارة؛ في نقطة الضعف الذاتية في الدراسة المنهجية للإدارة وقراراتها وعملياتها المختلفة.

وفى هذا الاتجاه؛ نجد أن (بيتر دراكر) يرى أن الأخلاق في الإدارة؛ في العلم الذي يعالج الاختيارات العقلانية على أساس التقييم بين الوسائل المؤدية إلى الأهداف. أبو النصر (2007: ص ص 418، 419).

ونرى أن أخلاقيات العمل في: فعل كل ما هو صحيح بعد معرفته معرفة تامة دينياً ومجتمعياً، وعند التعارض بين المعرفتين، فعل ما أشار إليه الدين دون النظر إلى ما اعتاد عليه المجتمع من سلوك قد لا يتفق مع الشريعة السماوية. على (2011: ص 25)

الأخلاق في الإسلام:

الأخلاق في الشرع كما جاء في كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، في: هيئة أو حالة راسخة في النفس، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر ورؤية؛ أي أن الأخلاق في مجموعة متكاملة من المعاني والصفات المستقرة في نفس الإنسان، والتي على أساسها وميزانها يكون الفعل حسناً أو قبيحاً؛ ومن ثم يجب الإقدام عليه، أو الإحجام عنه.

وللأخلاق أهمية بالغة في الإسلام لما لها من ارتباط بالعقيدة من ناحية، ولما لها من تأثير جوهري على السلوك من ناحية أخرى، بل يمكن القول أن سلوك الإنسان وتصرفاته في موافقة دائماً لما هو مستقر في نفس الإنسان من معانٍ وصفات. (أبو بكر، 2010: ص 664)

ويقول الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين: إن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح، حتى أنها لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة. وأفعال الإنسان في كل الأحوال موصولة بما في نفسه، صلة فروع الشجرة بأصلها المغيبة في التراب؛ ومن ثم فإن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه، لأن الفرع بأصله، فإذا صلح الأصل صلح الفرع، والعكس.

من أجل ذلك أكد الإسلام وحرص على صلاح النفوس وتزكيتها، واهتم بغرس معاني الأخلاق الحميدة فيها، وأوضح أن ذلك من الإسلام، وبها يكون، ونبه أن ذلك مطلوب من الحاكم والرعية، وأن كليهما مسئول أمام ربه عن إلزام الآخر بالخلق الحسن، وأن تتغير أحوالهم تبعاً لتغير ما بالنفس من قيم ومبادئ وأخلاق وصفات.

وتتمثل النقطة الجوهرية في اختلاف الأخلاق في الإسلام عن غيره من النظم الأخرى، في أن الإسلام جاء لغاية يحققها، ألا وهي مكارم الأخلاق؛ أي أن الأخلاق في الإسلام ليست نظاماً خاصاً، أو مجموعة مُثُل، أو تعاليم، أو تقاليد منفصلة ومستقلة عن أجزاء المنهج الإسلامي؛ وإنما في معطيات خيرة، وروح كريمة تنساب في كل جانب من جوانب المنهج الإسلامي ككل.

ومن هنا كانت أخلاقية البعث الإسلامي تعنى: إرساء القيم الإنسانية الرفيعة على كل ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، فالحكم الإسلامي مثلاً لا يقوم على الشورى إرضاء لخواطر الشعب؛ وإنما لأن الشورى مبدأ أخلاقي، وغيره من توجهات كالتسلط، والديكتاتورية، والتحكم، والانفرادية، كلها يعتبرها الإسلام أمور لا أخلاقية تظهر وتسود عندما يضعف الانتماء، أو يفسد الاعتقاد حتى ولو بقدر الانتساب إلى هذا الدين.

ولنظام الأخلاق في الإسلام خصائص، نذكر منها:

- 1- التعميم؛ أي الدعوة العامة إلى الأخلاق الكريمة.
- 2- التفصيل في الأخلاق موضعاً الأخلاق الجيدة والأخلاق الرديئة، وذلك لئلا يختلف الناس فيها، أو تتدخل الأهواء في تحديد المراد منها، كالتفصيل في النهي عن الغضب، أو الحث على الحياء، أو الدفع إلى التعاون، أو التأكيد على حقوق الغير، وغير ذلك من الأخلاقيات.
- 3- ربط الجزاء بالأخلاق والأخلاق بتقوى الله، ويعد ذلك من جوهر التشريع الإسلامي، والذي هو حق خالص لله تعالى، لأنه من خصائص انفرادة بالربوبية والألوهية على العباد. والجزاء هنا ليس قاصراً على الآخرة فقط، بل يكون في الدنيا أيضاً، لذا أمر الله تعالى القاضي بأن يوقع عقوبات على شاهد الزور، وعلى بذئ اللسان، ولهذا يرى الفقهاء إن كفارة الحنث في اليمين تعد شيئاً من العقوبة عن مثل هذا الخلق الردي.

- 4- ربط الأخلاق بالعبادة؛ حيث يعد حُسن الخلق في الإسلام من الأمور التعبدية لله عز وجل، فلا تقتصر العبادة في الإسلام على الصلاة والزكاة والصيام والحج، بل يمتد مفهوم العبادة لتحقيق العبودية الكاملة لله وحده، ومنها حسن الخلق. فلا بد للإنسان المسلم أن يكون حسن الخلق، لعلمه بأن الذي يأمره بحسن الخلق وينهاه عن سوء الخلق هو الله، وليس نظاماً أو قانوناً يمكنه أن يحتال عليه أو يحتج أمامه. أبو بكر (2010)
- وهذا أهم ما يميز الأخلاق في الإسلام، فالأخلاق لا تطبق بالقوانين، أو اللوائح دون إيمان حقيقي داخل الإنسان بقيمة الأخلاق وضرورتها للحياة، وهذا الإيمان لا يمكن أن ينشأ في ظل إدارة فاسدة، أو منظمة فاسدة، أو عدم رضاء، أو في ظل الفقر نتيجة الظلم في توزيع الدخل، أو نتيجة للفساد المالي داخل المجتمع، بعكس الأخلاق في الإسلام، والتي ترتبط بإيمان الإنسان بالله سبحانه وتعالى في كل حال، وتحت أي ظروف، فالمسلم مؤمن بالله وحده، ويعقل قدر الله وأسماءه وصفاته، وبأنه ليس بظلام للعبيد.
- 5- شمولية الأخلاق، والتي تتسع لتشمل جميع أفعال الإنسان سواء كانت خاصة بنفسه، أو متعلقة بغيره. وسواء كان الغير فرداً، أو جماعة، أم دولة، وفي الإسلام لا يخرج شيء عن دائرة الأخلاق، وأن يلزم مراعاة الأخلاق ليس في أعمال الجوارح المألوفة فقط، بل في أعمال القلوب غير المرئية أيضاً، فضلاً عن أن الإسلام يعتبر ما هو قبيح في علاقات الأفراد، قبحاً أيضاً في علاقات الدول، والعكس.
- 6- بقاء الأخلاق مع الاختلاف، فالإسلام لا يجبر أحد على الاعتقاد والدخول فيه، ولكنه ألزم الحاكم المسلم بفرض الأخلاق الحسنة، وإلزام الناس بها، والنهي عن الأخلاق الرديئة، وإنزال العقوبات على مرتكبيها، حتى ولو كانوا غير مسلمين، أبو بكر (2010: ص577) وذلك لضمان سلامة المجتمع التابعة من عمومية الدين الإسلامي وعالميته.

ونرى أنه من المناسب أن نستعرض المفاهيم الأساسية في الإسلام، والتي تنعكس مباشرة على المعايير الخلقية الواجبة في المجتمع، فهي مرتبطة بالأخلاق المتوقعة في العمل، وفيما يلي إيجاز لأهم المفاهيم الإسلامية:

1- مفهوم الإيمان: يصبح المرء مسلماً عندما يؤمن بالله الواحد، وبمحمد ﷺ كخاتم رسله، والإيمان حالة من السعادة تكتسب عن طريق فضيلة العمل الإيجابي والتصورات البناءة، وأيضاً من خلال الأعمال المؤثرة والفعالة.

2- مفهوم البر: البر هو أن نؤمن بالله واليوم الآخر وبالملائكة وبالكتب وبالرسل، وأن تنفق من مالك على ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، وأن تنفق مما تحب، وأن تقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتوفى بالوعد، وأن تكون صابراً في البأساء والضراء وحين البأس، وأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

3- مفهوم التقوى: تتطلب التقوى الاستخدام السليم للعقل، عن طريق فهم حقيقة الله والحياة، والاستخدام السليم للثروة عن طريق الإنفاق في سبيل الله، والاستخدام الرشيد لقدرات الإنسان الروحية والجسدية. كما تتطلب التقوى درجة كبيرة من ضبط النفس وكظم الغيظ، والسيطرة على العواطف، والقدرة على التسامح والصبر، وحض المذنب على العودة إلى الله نادماً تائباً. إن التقوى والبر والإيمان عناصر متداخلة وتصب جميعاً في قناة واحدة.

4- مفهوم النبوة: إن بعث الله سبحانه وتعالى لرسله لدليل على الرابطة القوية بين السماء والأرض، وبين الله والإنسان؛ وهو يعنى أن الله فضل الإنسان، وأن الإنسان فيه خير عميم. والغرض من إرسال الأنبياء هو تأكيد ما يعلمه الإنسان أصلاً، أو ما يستطيع أن يعلمه، وتعليمه ما لا يعلم أو لا يستطيع أن يعلمه بوسائله هو، أيضاً لمساعدة الإنسان في أن يسير على الصراط المستقيم، وأن يفعل الصواب ويتجنب الخطأ. إن مصدر النبوة وراعى جميع الأنبياء مصدر واحد هو الله سبحانه وتعالى، لا يفرق المسلمون بين الأنبياء، وإنما

يتقبلون تعاليمهم على أساس أنها متناسقة، وتكمل بعضها بعضاً، وهذا هو السبب في أن المسلمين يؤمنون بكل الكتب السماوية، ويقبلون كل أنبياء الله.

5- مفهوم الحياة: إن الحياة لدليل ساطع على حكمة الله وعلمه، وهى انعكاس حي لقوته، إنه مانح الحياة وخالقها، لا شيء يوجد عن طريق الصدفة، ولا أحد يخلق نفسه أو يخلق نفساً أخرى، والحياة عزيزة وخير، ولا يجب على أي شخص عاقل أو طبيعي أن يفقدها بمحض اختياره، إن الله يمنح الإنسان الحياة، وهو الوحيد صاحب الحق في استردادها.

6- مفهوم الدين: إن المفهوم الإسلامي للدين مفهوم متفرد بالمعنى الأشمل للكلمة، هناك دين واحد صحيح يأتي من الله لكي يتعامل مع مشكلات الإنسان القائمة في كل الأزمنة، وهذا الدين هو الإسلام، لكن يجب أن نعرف أن الإسلام قد تم تعليمه بواسطة كل الأنبياء قبل محمد ﷺ، وأن الأتباع المخلصين لإبراهيم وموسى، كذلك أتباع يسوع والأنبياء الآخرون يسمون مسلمين، وعليه فالإسلام كان وسيظل دين الله الحقيقي والشامل لأن الله واحد ودائم، ولأن الطبيعة البشرية والاحتياجات البشرية الكبرى - وهى في الأساس واحدة -، بصرف النظر عن الزمان والمكان، وعن الجنس والعمر، وأي اعتبارات أخرى. ويرى مفهوم الإسلام أن الدين ليس فقط ضرورة روحية وعقلية، لكنه أيضاً حاجة اجتماعية وعامة.

7- مفهوم الخطيئة: من الشائع أن الخطيئة بدأت بآدم وحواء أثناء حياتهم في جنة عدن، ولقد أدى هذا الحادث إلى السقوط، ووصم - منذ ذلك الحين - الجنس البشرى بالذنب والعار، وقد اتخذ الإسلام موقفاً متفرداً في هذا الأمر برمته؛ حيث ورد في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أمر آدم وحواء أن يسكنا الجنة، وأن يتمتعا بثمارها كما يشاءان، لكنهما حُذرا من الاقتراب من شجرة معينة، فأزلهما الشيطان عنها فطردا من الجنة ليهبطا إلى الأرض؛ حيث لهما فيها مستقر ومتاع إلى حين.

وهذا الحادث الرمزي له دلالته، فهو يعنى أن الإنسان غير كامل، ولا تنتهى طلباته حتى لو عاش في الجنة، لكن ارتكاب الخطيئة لا يبيت القلب بالضرورة، أو يمنع من الإصلاح الروحي، أو يوقف النمو الأخلاقي، فالله سبحانه وتعالى مستعد دائماً أن يستجيب إلى الدعوات المخلصة الطالبة لعونه، وأن عفوه شامل ورحمته وسعت كل شيء.

8- مفهوم الحرية: يعلّ الإسلام الحرية ويجبدها، ويضمنها للمسلم وغير المسلم، كل إنسان يولد حراً في حالة من النقاء، وحقه في الحرية مقدس طالما أنه لا يتعمد التعدي على قانون الله، أو على حقوق الآخرين.

9- مفهوم المساواة: كل الناس متساوون في نظر الله، إلا أنهم ليسوا بالضرورة (متطابقين)، فهناك فروق في القدرات والإمكانات والطموحات والثروة ... الخ، إلا أن أيّاً من هذه الفروق لا يمكن أن يخلق بنفسه حالة من تفضيل إنسان أو جنس على آخر، إن قيمة المساواة ليست مجرد حق دستوري، إنها مبدأ من مبادئ الإيمان.

10- مفهوم السلام: إن الإسلام والسلام مشتقان من نفس المصدر اللغوي، ويمكن اعتبارهما مترادفين، وأحد أسماء الله هو السلام، والكلمات التي تختتم بها الصلاة اليومية في كلمات السلام، وتحية المسلمين عندما يعودون إلى الله في السلام، والتحية اليومية بين المسلمين في كلمات السلام، وصفة (مسلم) تعنى فيما تعنيه المسالم، والجنة في الإسلام في مكان السلام.

11- مفهوم المجتمع: لا يقوم المجتمع في الإسلام على الجنس أو القومية أو المكان أو الوظيفة أو القرابة، أو على أي مصالح خاصة، فالمجتمع الإسلامي يتخطى الحدود القومية والسياسية، والمبدأ الذي يقوم عليه هذا المجتمع هو إرادة الله.

إن الدور التاريخي للمجتمع الإسلامي، هو أن يكون التجسيد الصحيح للفضيلة ولصحة النفس والنبيل، بتغيير المنكر كما أمرنا الرسول الكريم ﷺ. وترتكز هوية المجتمع الإسلامي على مبادئ التوازن والقُدوة ووحدّة الهدف وتبادل

المشاعر والمساواة، إن واجب المسلمين هو أن يفعلوا ما في وسعهم لضمان استمرار المجتمع.

12- مفهوم الأخلاق: من واجبات المسلم في علاقته بالآخرين، أن يكون عطوفاً على ذوى قرابته، وأن يحرص على جاره، ويحترم الكبير ويعطف على الصغير، ويهتم بالمرضى، ويعين ذا الحاجة، وأن يواسى المكروب، وأن يرفع من روح المكتئب، وأن يفرح مع الفرحين، وأن يصبر على الناس، وأن يتسامح مع الجاهل، وأن يعفو عن العاجز، وألا يرضى عن الخطأ، وأن يترفع عن الصغائر.

إن من الواجب الأخلاقي للمسلم، أن يكون قدوة حية للأمانة والكمال، وأن يوفى بالتزاماته، وأن يؤدي واجباته على نحو جيد، وأن يسعى طلباً للنعيم والفضيلة بكل الطرق، وأن يصحح من أخطائه، وأن يتوب عن ذنبه، وأن ينمى إحساسه بمجتمعه، وأن يقوى شعوره بالاستجابة الإنسانية، وأن يقوم بكفالة من يعولهم ويوفى باحتياجاتهم المشروعة، وعليه أن يستخدم عناصر الطبيعة، وأن يتدبر عجائبها، وأن يفسرها على أنها علامات على عظمة الله، وأن يحافظ على جمالها، وأن يستكشف عظمتها وأسرارها، وأن يتعد عن الإسراف.

إن المبادئ الأخلاقية الإسلامية سواء تم التعبير عنها إيجابياً أو سلبياً، قد وضعت لكي تبني في الإنسان عقلاً سليماً، وروحاً مسالمة وشخصية قوية وجسداً صحيحاً. إن دائرة الأخلاق في الإسلام شاملة متكاملة؛ بحيث تتضمن في نفس الوقت الإيمان بالله والطقوس الدينية، والممارسات الروحية، والسلوك الاجتماعي، وصنع القرار والعمليات العقلية وعادات الاستهلاك وطرق الكلام، وجميع مناحي الحياة.

13- مفهوم الكون: يرى الإسلام أن العالم كيان متطور خلقته إرادة خالق مصمم، وحفظته لغاية ذات معنى. لقد خلق الله الإنسان ليكون خليفته على الأرض، والمعرفة في قدرة الإنسان المتفردة، وهى تؤهله ليكون خليفته في الأرض، والإنسان مخلوق حر، وهب إرادة حرة، وهذا هو جوهر إنسانيته، وأساس مسئوليته أمام خالقه.

إن مصدر الحياة هو الله، والحياة ليست أبدية، وليست غاية في حد ذاتها؛ وإنما في مرحلة انتقالية، يعود بعدها كل شيء إلى خالقه، إن الإنسان لكائن مسئول لكن مسئولية الخطيئة لا تقع إلا على المخطئ وحده. والخطيئة ليست متوازنة، وغير قابلة للتحويل، وليست اجتماعية بطبيعتها. إن الإنسان كائن مبجل وجدير بالاحترام، وينبع هذا الاحترام من حقيقة أن بالإنسان قبساً من روح خالقه. عفيفي (2006)

دور المسجد الأخلاقي:

في ظل ما يشهده العصر الذي نعيشه من متغيرات ثقافية وفكرية، صنعت حالة من التشتت الفكري لدى الكثير من الناس، فلم يعد من السهل معرفة الصواب من الخطأ بسبب كثرة الآراء والأفكار والمعتقدات، والتي تتعارض فيما بينها وبين الرأي المعتدل في أغلب المساجد، والتي كان لها في السابق الدور الأكبر في تثقيف ومعرفة الناس بأمور دينهم وديناهم، من خلال دعاة استطاعوا بحسن الأسلوب أن يجذبوا الناس للمسجد ليس فقط للعبادة، بل لحضور جلسات العلم للاستزادة والتعرف على إجابات تساؤلاتهم، فيما يتعلق بالقضايا الدينية والدنيوية والتي زادت وستزيد أكثر وأكثر.

نصف إلى ذلك انتشار الفضائيات في عصر السماوات المفتوحة الذي نعيشه، ووجود الإنترنت، والتدفق المعلوماتي الرهيب، وحمى الفتاوى في الدين وفي غيره من العلوم. جعل من الصعب على المسجد بوضعه الحالي أن يحافظ على دوره التنويري لفقده الجاذبية الإعلامية من ناحية، ومن ناحية أخرى لفقده التجديد فيما يقدمه الدعاة من خطب تحمل بين طياتها معلومات استهلكت من كثرة استخدامها وتكرارها، إما للاستسهال، أو الجهل بقضايا العصر المختلفة، والمتعددة.

ويستطيع أي إنسان أن يلمس انحصار دور المسجد التثقيفي في وقتنا الحالي، وانسحاب الناس إلى شاشات القنوات الدينية، ومع تضارب الفتاوى نسي الناس ما كانوا يعرفونه من مبادئ العبادات، ويشهد على ذلك كم الأسئلة التي تنهال على تلك القنوات والتي في قليلها المهم، وفي أغلبها للأسف التفاهة والجهل.

نصف إلى هذا السبب: حاجة العالم الإسلامي إلى المزيد والمزيد من الأبحاث العلمية، التي تلقي الضوء على المسجد كمنازة للعلم والثقافة إلى جانب العقيدة، والتي يؤمن بها معتنيها من المسلمين، ودحض الافتراءات على الإسلام والمسلمين، وأخطرها اتهامنا بالتخلف والرجعية.

والخوف كل الخوف من أن يفقد المسجد اسمه (الجامع)، حين يتفرق الناس فيذهب كل منهم إلى مسجد من المساجد بعينه، وحينئذ تتفرق السبل ولا تكون المساجد لله، بل الناس بحسب شيعهم وطوائفهم وآرائهم.

لقد وضع المولى عز وجل، والنبى الكريم ﷺ دور المسجد التربوي والتعليمي والتثقيفي، توضيحاً جعل من السهل إدراك انحصار هذا الدور في وقتنا الحالي نتيجة الجمود الفكري، والاقتصار على فقه العبادات، والتي رغم أهميتها، لا يمكن أن ننكر أهمية تثقيف المسلم من خلال فكر معتدل عن طريق دعاة يملكون من العلم الديني، ما يجعلهم على استعداد أن يعيدوا للمسجد مكانته ودوره في حياة الناس، فقط ينقصهم الوعي الكامل بقضايا العصر وخطورتها على الأجيال الشابة من المسلمين، والذين يتعاملون مع لوحة المفاتيح بالحاسب الآلي بيسر ومهارة تفوق مهاراتهم في الكتابة بالقلم!.

لذا؛ على الدعاة ضرورة تجديد الخطاب الديني في الشكل والمعنى، حتى يجذب الناس مرة أخرى إلى المسجد؛ ومن ثم يعود دوره المفقود في التنوير والتثقيف. فإذا كانت المساجد للعبادة والذكر وقراءة القرآن، فإن فيها أيضاً حلقات العلم، وفيها خطاب للمسلمين في خطبة الجمعة والعيدين، وفي الأمور التي تهتم المسلمون والحديث عنها في المسجد أقرب وأدعى إلى الطاعة والعمل الصالح، ولذلك اهتم الشرع ببيان آداب الحديث في المسجد حين يكون خطاباً عاماً للناس، والإسلام وحده هو الذي جعل من المسجد أسمى وأرفع مكان توجه فيه كلمة الخير إلى جمع من الناس، فهو مكان العبادات والعلوم والمعارف.

وأول ما يلفت النظر أن النبي ﷺ أقام المسجد على أرض طاهرة ملكها المسلمون من أصحابها بحق، فالمسجد بيت الله في الأرض، ومع ذلك فإن حق العبد ظاهر حتى يتأسس المسجد على تقوى من الله من أول يوم، وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً سامياً يعز على المثال، وما زال حياً إلى اليوم. فإن إقامة بيوت الله لا تكون باغتصاب حقوق العباد أو ظلمهم فيها، ولا يكون بناء المسجد ومرافقه في مكان يضر المسلمين إقامته فيه، كما تقام بعض المساجد الصغيرة على مساحة من شاطئ النهر دون النظر إلى ما تحذته مرافق المسجد من تلوث الماء الذي يشرب منه الناس. فالمسلم يسجد لله في كل مكان ولا حاجة إلى الإضرار بالناس، وفي الأرض سعة لإنشاء المساجد التي تليق ببيوت الله مبنى ومعنى.

وقد كان المسجد الذي أقامه النبي ﷺ أوسع من أن يكون مخصصاً لأداء العبادات فحسب، فلو كان الأمر كذلك لكانت الأرض كلها مسجداً، ولما كان هناك ما يدعو إلى إقامة المسجد وتخصيص مكانه وإحاطته بمظاهر الطهر والتنزه عن كل ما يستقذره الإنسان، فهو مكان تنزل فيه الملائكة، وهو مأوى عباد الله الصالحين، وفيه يتصل المسلم بجبل الله المتين، وفيه تتزكى النفس وتصح الروح والبدن، فالمسجد يتطهر من الأنجاس والأحداث في المكان، والمسلم يتطهر في الجسد والثوب والمكان، وقد أمر المؤمنون أن يأخذوا زينتهم عندما يغشون المساجد. يقول المولى عز وجل:

﴿يَبْنَئِ أَدَمُ حُدُودَ زِينَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

﴿٣١﴾ [الأعراف: آية 31]

ولا سبيل إلى أذى يلحق المسلم في المسجد حتى الرائحة الكريهة يشمها، فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال: (من أكل من هذه الشجرة المنتنة - الثوم والبصل والكرات - فلا يقربن مسجداً، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الأنس)، وفي الحديث: (أن أعرابياً بال في المسجد فهم الصحابة أن يتناولوه بالأذى تنزيهاً للمسجد أن يكون فيه ما يستقذر، فمنعهم النبي ﷺ رحمة بالأعرابي الجاهل وقال

له: أن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر؛ إنما في لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن). وأمرهم النبي أن يهريقوا على المكان الذي تنجس دلواً من الماء.

كما سبق؛ يتضح لنا أن المسجد في صدر الإسلام، كان حجر الزاوية في حياة المسلمين، تؤدي فيه الصلوات، ويدرس فيه العلم ويتشاور فيه الناس في أمور دينهم ودنياهم، ويمدون فيه يد المساعدة للمحتاج والمساكين، وكانت منابر المساجد في الألسنة الطاهرة للدفاع عن الإسلام وقيمه الرفيعة. يقول تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ . [التوبة:

[18

والعمارة هنا لها معنيان كلاهما مقصود:

- الأول: العمارة والبنيان والتشييد.
- الثاني: عمارة المساجد بالعبادة والاجتماع فيها والذكر والاعتكاف.

وقد كان المسلمون في صدر الإسلام يتشاورون في أجل الأمور في المساجد، وفي تشاورهم تصان حرمة المساجد من اللغو وسقط الكلام، وكان النبي ﷺ يشاور أصحابه في المسجد، والخلفاء الراشدون يشاورون كبار الصحابة وذوى الرأي فيهم في المسجد في أمور الناس، وما يهمهم وما يجمعهم على كلمة سواء، وكان من وراء ذلك الخير للمسلمين. فالمسجد وهو مكان الدعوة الأول أحق الأماكن.

كما أدى المسجد عدة مهام جليلة، وفدت إليه الوفود التي رغبت في الإسلام، ولقيهم رسول الله ﷺ في المسجد ورحب بهم ووكّل بهم من يرعاهم، كما حدث لما قدم وفد نصارى نجران، كما كان في وقت الحرب والحزن مؤثلاً للمصاب من المسلمين، فكانت خيمة السيدة (رفيدة الصحابية) التي كانت تقوم بتمريض الجرحى، وأمر الرسول ﷺ أن تضرب خيمة لسعد بن معاذ ﷺ حين أصيب يوم

الخذق، وكان رسول الله يعوده ويرعاه فيها، وفي الصحيحين أن الرسول ﷺ كان يقضى بين الخصوم في مسجده، ولذلك ليس غريباً ولا كثيراً ما قلناه من أن المسجد كان حجر الزاوية في حياة المسلمين، وأنهم لذلك صانوه عن كل مالا يليق بجلاله مادياً ومعنوياً.

ضرورة تجديد الخطاب الديني:

الخطابة في فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقاءية تشتمل على الإقناع والاستمالة، وبتأمل هذا التعريف تبرز أمامنا طبيعة الخطابة، ومسئولية الخطيب على أوفى ما تكون.

والخطابة فن؛ أي أنها وإن كانت استعداداً فطرياً لا يباع ولا يشتري، فهي مع ذلك فن من الفنون التي يمكن تعلمها بالممارسة، ويقول أرسطو في ذلك:

(بعض الناس يمارس الخطابة فطرة وسليقة، وبعضهم يمارسها بالمرانة التي اكتسبها من مقتضيات الحياة).

وقالوا عنها أيضاً إنها (وحدة التصور. وقوة التصوير)، فالخطيب يملك من شفافية الروح وذكاء العقل ما يعينه على تصور دقائق الحياة والأحياء، ويرصد الكون من حوله بعين باصرة، وبصيرة كاشفة، وإلى جانب ذلك فله القدرة على تصوير ما وعاه، ونقله إلى غيره كما فهمه ورآه في تعبير قوى مؤثر.

وجدير بالذكر أن الخطيب لا تنتهي مهمته عند تصوير الواقع كما رآه، بل دوره يتخطى ذلك إلى ضرورة استمالة الناس إلى ما يدعو إليه، استمالة تحملهم على الطاعة في حال الأمر، والانتهاة عما ينهاهم عنه ليستطيع بحق أن يؤدي دوره في إحداث التغيير المطلوب على مستوى المجتمع الذي يعيش فيه.

إذن فمسئولية الخطيب لا تنتهي بالإقناع العقلي بفائدة الطاعة، وضرر المعصية. فالناس مثله مقتنعون!. فالخطيب لا يواجه في أداء مهمته فرداً أو اثنين،

ولكنه يواجه جمهوراً غفيراً، ومع كثرته فهو متعدد المستويات، متنوع الثقافات، ويفرض ذلك صوتاً عالياً وانفعالاً بما يقول، ليعينه ذلك على السيطرة والإمساك بزمام موقف معقد.. متعدد الجبهات.. والمفاجآت.

كما يجب أن يتميز الخطيب بلون من الأداء، يعبر من خلاله عن المعاني بما يناسبها من الأداء الصوتي.. علواً وانخفاضاً.. رقة وقوة، وبذلك يشترك الأداء المعبر مع اللفظ في إحداث التأثير لدى المستمعين. مما ينتج عنه الآتي:

- 1- نقل أفكاره إلى الآخرين.
- 2- ثم إقناعهم منطقياً بهذه الأفكار.
- 3- وأخيراً.. جذب قلوبهم إليها ليعملوا بمقتضاها.

وترجع أهمية الخطابة إلى كونها:

- 1- حاجة نفسية.
- 2- ظاهرة من ظواهر المجتمع البشرى.
- 3- وحدتها الكلمة بسحرها وفعاليتها.
- 4- بيان من البيان الذي هو نعمة الله على الإنسان.
- 5- سلاح من أسلحة الدعوة.

ومن هذه الأهمية تبرز أمامنا أهمية الكلمة في حد ذاتها، والتي يجب وأن تكون بانية هادئة، وأن تكون طيبة وحسنة، وهذا هو سر وجودها وخلودها، ولن تخلد الكلمة على الأجيال إلا إذا اتصلت بالحق والخير، وكان لها من قوانين الله في خلقه سند، ومن إلهامه عبادة، وقد يرمى الظالم بالكلمة فتحرق لكنها سرعان ما تحبوا. أما الصادق المحق فإن كلماته خالدة.

إن الكلمة كما تحمل عبقرية البناء، فإنها تحمل عبقرية الهدم إذا صح التعبير، ثم إنها مفتاح شخصية الرجل الذي يتيح لك الدخول إلى أعماقه.

وقد كره الرسول الكريم ﷺ شيوع الكلمات التي تؤذى المشاعر، فمع أن

القرآن الكريم والسنة المطهرة تحدثا عن السرقة بإسمها الصريح، إلا أن رجلاً شهد بين يدي الرسول ﷺ: بأن هذا الرجل سرق. فقال له: أفلا قلت أخذ؟! ورغم أن المعنى واحدة، لكن اللفظ الحسن يطهر الجو العام.

وعلى الجانب الآخر يعين الإنسان على أمر الله، هذه في الأخلاق في الإسلام، وهذا ما يجب السير عليه في كل مناحي الحياة المختلفة. يقول المولى عز وجل: " لَا تُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا. [النساء: 148]

وذلك حتى لا تترك الكلمة المسموعة آثارها في الأسماع (إلا من ظلم) فيجوز له أن يجهز بمظلمته. على أن هذا الاستثناء تارك أثره إذ يصبح عقلياً يتهدد الظالمين فلا يعودون، وإذا علم المسلم أن من أسلحة الشيطان الماضية: كلمة السوء يحول بها لسان المسلم لتقطع ما أمر الله به أن يوصل، إذا علم ذلك كان عند حسن الظن به ملتزماً بالقول الحسن ليقطع الطريق على الشيطان. وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: 53]

دور ثقافة الخطيب في تجديد الخطاب الديني:

إن الخطيب لا يمارس وظيفته من فراغ، فلا بد من مصادر ثقافية تحيي قلبه، وتمده بثروة من الموضوعات والمعاني والحلول اللازمة لمشاكل الفرد والمجتمع. فإذا لم يجدد الخطيب حياته الفكرية بزاد متجدد من المعرفة يواكب به الحياة المتغيرة، فسوف يكرر نفسه دائماً، وبالتالي لن يحس الناس بحاجة إليه، وسينصرفون عنه إلى غيره ممن يقدرون وظيفتهم ودورها حق قدرها.

فإلى جانب القرآن الكريم والسنة المطهرة، تأتي الوقائع التاريخية؛ ثم وقائع الحياة الإنسانية والكونية، إلى جانب كثير من العلوم التي لا بد من الإمام بها، أو استيعابها ليتمكن الخطيب من تحمل مسؤولية البلاغ بهذا الزاد المستمد من هذه

الروافد جميعاً. فإذا كان الإيمان بالله تعالى أساس بنيانه كله، وكانت الأخلاق الفاضلة سلاحه في معركته مع شياطين الإنس والجن، فإن الثقافة الحية، والتأمل الواعي في مسار الحياة، هو الجانب الفكري إلى جانب الأسلحة الإيمانية.

نصف إلى ذلك الأسلوب في الحديث مع الناس، والأخذ في الاعتبار التباين في الثقافات والعلم والعادات والأعراف، وغيرها من القيم التي تؤثر على استجابة المتلقي لما يسمعه من كلمات. فعلى الخطيب أن يتأسى بالرسول الكريم في أسلوب الخطابة، وأن يسعى إلى الأخذ من ملامحه ﷺ فيها، ومنها على سبيل المثال لا للحصر:

- 1- كان النبي الكريم ﷺ يعبر باللفظ القليل عن المعاني الكثيرة.
- 2- كان بعيداً عن التكلف والسجع الممقوت، فجاء حديثه واضحاً بسيطاً بلا غموض أو تعقيد.
- 3- رعاية مقتضى حال المستمع.
- 4- البعد عن اللفظ الغريب إثارةً للفظ المأنوس والمألوف، بقدر ابتعاده عن الألفاظ المتبذلة.
- 5- كان كلامه موقفاً واصلًا بالحجة إلى موطن الإقناع في نفس الإنسان بلا تجريح.
- 6- كان أسلوبه صافياً كنفسه الصافية، مباشراً دون اللجوء إلى الألفاظ البراقة بلا مضمون شريف.

وبهذه الأمور وغيرها الكثير كان حديثه ﷺ شريف المعنى، حسن الأسلوب؛ ومن ثم صار أفضل الكلام على الإطلاق بعد كلام الله عز وجل. (محمود (1989)؛ عمارة (1986)).

من كل ما سبق يتضح لنا أن الدعاة الآن في حاجة ماسة إلى الإعداد الجيد، حتى يقوموا بدورهم على أكمل وجه، وحتى تستعيد المساجد دورها التنويري إلى جانب كونها دوراً للعبادة.

كما أن على الداعية دوراً كبيراً، ومجهوداً يتعاضم كلما ظهر جديد على الساحة الحياتية، بتثقيف نفسه بالإطلاع على كل جديد، والبحث والدراسة المتعمقة خاصة وأن القضايا في ازدياد مستمر، والاختلاف حولها أيضاً في ازدياد، مع كثرة الفضائيات الدينية بدعاتها وآرائهم المختلفة، إما عن حق، أو لمجرد الشهرة وجذب الانتباه.

من كل هذا نوصى بالآتي:

- عمل دورات تدريبية للدعاة يكتسبون من خلالها مهارات الاتصال الإنساني، والعرض والتقديم، وغير ذلك من المهارات والأساليب التي تساعدهم في إيصال رسالتهم إلى الناس.
- ضرورة عقد اختبارات قبل القيام بالعمل كداعية في المعلومات العامة، نلتمس منها مدى ثقافة الداعية، وأيضاً التعرف على معتقداته الفكرية، حتى لا تتحول بعض المساجد إلى خلايا يتم فيها إعداد كوادر تخريبية بإسم الدين، والدين منها براء.
- ضرورة تطوير المناهج الدينية، وزيادة الاهتمام بالأبحاث العلمية خلال سنوات الدراسة، وأن يكون التعليم الديني قائم على الحوار والمناقشة، إلى جانب التلقين والحفظ فيما يخص مواد القرآن الكريم، والأحاديث النبوية.
- ضرورة الاهتمام بعلوم المجتمع، والتطور التكنولوجي الهائل والمتزايد بصورة تجعل في كل يوم.. جديد، يسحب البساط من تحت أرجل الدعاة؛ ومن ثم مزيد من فقد المسجد لدوره التنويري والتثقيفي.
- ضرورة زيادة رواتب الدعاة بالقدر الذي يتناسب مع خطورة مهنتهم ودورها في المجتمع. على (2011: ص 120)

دور التنشئة الاجتماعية الأخلاقي:

من المسلمات في حياة الفرد أن التنشئة الاجتماعية في أساس سلوكه فيما بعد، بل في ركيته شخصيته الأساسية، فالفرد يبدأ حياته بعد الميلاد بجهل عام عن كل ما

يحيطه، تحركه غرائزه في البقاء، وبمرور الوقت يكتسب المعارف والمهارات والقيم والتقاليد والأعراف، بالإضافة إلى ديانته، والتي عادة ما تكون وراثية عن الأسرة، تلك القضية التي شغلت الكثير من المفكرين والعلماء، وإن كان هذا ليس مجال موضوعنا، إلا أنه قاعدة نطلق منها إلى المفهوم الأساسي لدور الأسرة في صناعة الإنسان بصفة عامة، وفي صناعة الموظف العام بصفة خاصة.

ولا يفهم من ذلك أن دور الأسرة في الحياة الهدف منه فقط.. صناعة الموظف!، ولكن المقصود هو إلقاء الضوء على جانب من جوانب شخصية الموظف، والذي يتشكل بناء على ما ورثه من قيم وأخلاق ومبادئ يدور في فلکها سلوكه المهني.

فمن الأمور التي تغيب عن بالنا عند مناقشة أسباب فساد موظف هو الأمر الذي يتعلق بقابليته للفساد دون أن يردعه دين، أو قيم، أو ضمير يعيده إلى صوابه، مما يسحبنا إلى مفهوم المجتمع المثالي بالنسبة للفرد، والذي يتشكل حسب مفاهيم ذلك المجتمع الذي يعيش فيه بداية من الأسرة، والحي، والمدينة، ونهاية بالمجتمع ككل. فمجتمع اللصوص مثلاً القيمة الإنسانية والمكانة العالية فيه للصاهر، وهذا المجتمع ينشأ فيه الطفل نشأة تقوم على السلب والنهب، ويكون الفرد صاحب القيم والمبادئ والتدين منبوذاً فيه، إذن فمجتمع اللصوص هو المجتمع المثالي بالنسبة للص.. السرقة فيه أمر عادي، بل ومطلوب!.

لذلك فالتنشئة الاجتماعية من الأهمية التي جعلت الكثير من الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية تهتم بأساليب التأثير في سلوك الأبناء، فسلوك الفرد هو مجموعة من المكتسبات السلوكية الناتجة عن التنشئة الاجتماعية بصفة عامة، وأساليب التربية التي تنتهجها الأسرة بصفة خاصة، فلأسرة الدور الأول والأهم فهي بمثابة البوابة التي يدلف منها الإنسان إلى العالم الخارجي، ويتعامل معه بما اكتسبه من معارف ومهارات وقيم وعادات، ويرز هنا دور الآباء في إكساب الإنسان العادات السلوكية؛ خاصة تلك التي يتوقف عليها المجتمع، والجماعات الإنسانية على اختلافها.

ومما يزيد الأمر خطورة، أن سلوك الفرد قد يضر المجتمع بأكمله؛ حينما يتولى ذلك الفرد منصباً يتطلب إجراءات تتوقف عليها سلامة مجتمعه اجتماعياً، أو سياسياً، أو اقتصادياً، أو أخلاقياً، إلى آخره من الأمور التي قد تضر بالمجتمع. (على، أبريل 2009)

مفهوم التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية في العملية التي يتحول من خلالها الفرد، بل بواسطتها، من كائن بيولوجي إلى فرد اجتماعي، فالرضيع مثلاً تحركه في أيامه الأولى حاجة بيولوجية عضوية واحدة، ونجدّه بعد عدة سنوات لا يتناول طعامه إلا وفق آداب وسلوك معين، ودراسة التنشئة الاجتماعية وأساليب معاملة الوالدين، إن في إلا دراسة لهذه النقطة الكبيرة في حياة الفرد، وهي تكشف عن الظروف والعوامل التي تحدثها وتؤثر فيها.

وجدير بالذكر أن التنشئة الاجتماعية تحددها معايير عامة تنطبق على كل المجتمعات، فالتنشئة عملية مستمرة ومتواصلة تبدأ من الطفولة، وتستمر طوال حياة الإنسان تحدها الثقافة المجتمعية التي يحيا تحت مظلتها.

لذا تعمل التنشئة الاجتماعية على التوفيق بين دوافع الفرد ورغباته، وبين مطالب واهتمامات الآخرين المحيطين به، وبذلك يتحول الفرد من طفل متمركز على ذاته ومعتمد على غيره هدفه إشباع حاجاته الأساسية، إلى فرد ناضج يتحمل المسؤولية الاجتماعية ويلتزم بالقيم والمعايير السائدة؛ ومن ثم تنشأ لديه القدرة على كبح جماح رغباته وضبط انفعالاته، وصنع علاقات اجتماعية سليمة مع غيره.

ويمكننا أن نجمل المفاهيم الخاصة بالتنشئة الاجتماعية، في النقاط التالية:

1- في العملية التي تتناول الكائن الإنساني البيولوجي لتحويله إلى كائن اجتماعي، وتحوله من كائن تغلب عليه حاجات عضوية بيولوجية، إلى كائن تغلب عليه حاجات ودوافع ذات أصل اجتماعي.

- 2- في العملية القائمة على التفاعل الاجتماعي، التي يكتسب فيها الطفل أساليب ومعايير السلوك والقيم المتعارف عليها في جماعته؛ بحيث يستطيع أن يعيش فيها، ويتعامل مع أعضائها بقدر مناسب من التناسق والنجاح.
 - 3- في العملية التي بواسطتها يتعلم الفرد طرائق مجتمع ما، أو جماعة ما حتى يستطيع أن يتعامل معها؛ ومعنى هذا أنها تتضمن تعلم واستيعاب أنماط السلوك والقيم والمشاعر المناسبة لهذا المجتمع أو الجماعة.
 - 4- في عملية تفاعل يتم عن طريقها تعديل سلوك الشخص؛ بحيث يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها.
 - 5- في العملية التي ينشأ عن طريقها لدى الطفل ضوابط داخلية توجه سلوكه وتحده وتقيده أيضاً، كما تنشئ لديه الاستعداد لمطابقة الضوابط الاجتماعية المختلفة.
 - 6- في عملية تعلم قائم على التفاعل الاجتماعي، يتم من خلاله اكتساب الفرد طفلاً كان أم راشداً، سلوك ومعايير وقيم تمكنه من مسايرة جماعته، كما تكسبه السلوك المناسب لأدوار اجتماعية معينة، ولتوقعات أعضاء جماعته، بالإضافة إلى إيجاد ضوابط داخلية للسلوك.
- ومن هذه المفاهيم يمكن لنا أن نخرج بمفهوم شامل عن التنشئة الاجتماعية؛ وهو: إنها عملية تنشئة سياسية ووطنية ودينية وأخلاقية واقتصادية وقومية وأسرية ومهنية؛ بحيث تؤدي إلى تكوين شخصية متكاملة ومتكيفة تكيفاً حسناً. فالإنسان يكتسب الأخلاق في مرحلة الطفولة والمراهقة، وإن كان في الإمكان أن يظل الإنسان يكتسب المعلومات والمعارف والقيم الأخلاقية طوال حياته، مما يضفي أهمية قصوى واستمرارية لدور الأب والأم المتواصل فالأدوار متعددة ومتواصلة.

خصائص عملية التنشئة الاجتماعية:

- 1- أن سلوك الفرد يرتبط تدريجياً بالمعاني التي تتكون عنده في المواقف التي يتفاعل فيها.
- 2- تتحدد هذه المعاني بالخبرات السابقة التي مر بها الفرد، وعلاقة تلك الخبرات بالمواقف الراهنة.
- 3- أن الطفل يولد بين جماعة حددت فعلاً معاني معظم المواقف العامة التي تواجهه، وكونت لنفسها قواعد مناسبة للسلوك فيها.

أثر غياب التنشئة الاجتماعية:

إن غياب التنشئة الاجتماعية يجعل سلوك الإنسان أشبه بسلوك الحيوانات، فهي عملية تكسب الفرد إنسانيته، وإما أن يكون سوياً أو شاذاً منحرفاً عن قيم المجتمع وآدابه.

أهمية مرحلة الطفولة في عملية التنشئة الاجتماعية:

إن عملية التنشئة الاجتماعية للطفل في غاية الأهمية بالنسبة لتكوين شخصيته وتكوين ذاته، وتتوقف هذه العملية على عادات المجتمع وتقاليده وقيمه والاتجاهات الفكرية السائدة فيه، وعلى العرف والقانون والمعايير الخلقية والاجتماعية والعقيدة وأنماط السلوك المختلفة، أو على ثقافة المجتمع.

ومن الحقائق الواجب معرفتها، أنه كلما تقدم المجتمع في مضمار الحضارة، كلما زاد اهتمامه بأطفاله وزادت أوجه الرعاية التي يقدمها لهم، ويمكن التعرف على معدلات الاهتمام من خلال معدلات الوفيات بين الأطفال، وأيضاً معدلات التسرب من التعليم، وانتشار مبيعات الكتب، وانتشار مكتبات الطفل، وغيرها من مؤشرات تحضر المجتمع من عدمه.

ويرجع ضرورة الاهتمام بالطفل، لأنه رجل الغد في كل مجال من مجالات

حياة المجتمع، ولأن ما يلقاه الطفل من خبرات سارة، أو مريرة يترك آثاره على حياة الطفل فيما بعد، فحياة الإنسان سلسلة من الحلقات المتصلة يتأثر فيها الحاضر بالسابق، كما يؤثر الحاضر في المستقبل، ولا شك أن خبرات الطفولة تنعكس على شخصية الطفل في شتى مراحل حياته.

وتعود أهمية تلك المرحلة (الطفولة) إلى طبيعة الطفل ذاته، فهو في مرحلة تكوين وإعداد وتشكيل لشخصيته، لكونها في البداية لينة يسهل تشكيلها بالشكل المراد، كما أن خبراته تكون قاصرة ومحدودة وقدراته غير ناضجة ومعارفه قليلة، فكما قال الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك): (يولد الطفل وعقله صفحة بيضاء تنقش عليها التجربة ما تشاء)؛ بمعنى أن شخصية الطفل وأفكاره وقيمه ومثله وليدة الخبرة والتجربة. بالإضافة إلى الاهتمامات العديدة لعلماء النفس بمرحلة الطفولة، على أساس أنها المرحلة التي توضع فيها جذور الشخصية الأولى، ويمكن أن نجمل أوجه الرعاية بالطفل في النقاط التالية:

- الرعاية الصحية.
- رعاية النواحي الروحية والخلقية.
- رعاية النواحي الاجتماعية.
- الرعاية النفسية للطفل.

وجدير بالذكر أنه لا ينبغي أن نهتم بجانب من شخصية الطفل، وإهمال الجوانب الأخرى، فالشخصية كل متكامل منسجمة الأركان؛ أي أن يكون الطفل ناضجاً وواعياً روحياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً وعلمياً ومهنياً، ولا يجدي أن يتفوق الطفل في جانب من شخصيته على حساب الجوانب الأخرى، وحتى يتحقق ذلك، هناك جوانب على الأسرة بصفة خاصة، والمجتمع بصفة عامة أن يأخذ بها إذا أراد أن ينشئ الفرد تنشئةً صالحةً؛ ومنها:

- 1- الجوانب الإيمانية أو الروحية أو الدينية.
- 2- الجوانب الأخلاقية.

- 3- الحب والعطف والحنان.
- 4- النظام والطاعة والانضباط.
- 5- تعلم القيام بالدور المناط بجنس الطفل.
- 6- الحاجة إلى تعلم الهوية والاستقلال.
- 7- الشعور بالانتماء والولاء.
- 8- تعلم عموميات الثقافة، بما في ذلك من دين ولغة وعادات وقيم ومثل وأعراف وعقائد وقوانين وأمناء سلوك.
- 9- تعلم الضبط الذاتي.
- 10- تعلم التعبير عن الذات.

دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية:

كما سبق؛ نجد أنفسنا أمام مسؤولية تقع على عاتق الأسرة بداية، ثم على المدرسة بصفة عامة والمعلم بصفة خاصة، تلك المسؤولية التي تحمل من الواجبات ما يؤهل الفرد لتلقى دور المجتمع ككل في إكمال تنشئته الاجتماعية، بالإضافة إلى تقوية قدراته في مواجهة مجتمعه إذا كان فاسداً منحرفاً.

ولزاماً علينا طبقاً للتسلسل المنطقي للأدوار والأحداث أن نبدأ بدور الأسرة، والتي تلعب دوراً هاماً وأساسياً في تشكيل شخصية الطفل، ورسم ملامحه الأخلاقية والتي سيواجه بها المجتمع فيما بعد.

ومما يضيف على هذا الدور أهمية فوق أهميته؛ بل على الأحرى خطورة فوق أهميته، أن التنشئة الخاطئة، والأخذ بأساليب التربية السيئة تؤدي إلى كوارث مجتمعية تعود بالضرر على الفرد؛ ومن ثم على المجتمع ككل. فكما أن للأسرة دوراً في تنشئة الطفل تنشئة صالحة تنفع الفرد والمجتمع، فإن على النقيض من ذلك لها دورها في جنوح الأحداث، وغرس بذور الفساد في كل المجالات، وتشويه ملامح شخصية الطفل، فالأمر جد خطير لمستقبل الأمم لا يجب أن يتم التعامل معه

باستخفاف، ولا يجب أيضاً أن نختصر حقوق الفرد بداية من طفولته مروراً بمراحل حياته المختلفة في لقمة العيش والدواء وكافة الحقوق المادية الأخرى فقط، بل يجب أن يكون الاهتمام عاماً منصباً في البداية على تكوين شخصية الفرد تكويناً سوياً نافعاً، ويأتي ذلك بقية الحقوق المادية الأخرى.

ومما لا شك فيه أن الأسرة تمثل في المجتمع أكبر مؤسسة تسهم في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل، ولكي يستطيع الأبوان تطبيع الطفل فإنهما يضعان عدة قواعد، ويحاولان وضعها موضع النفاذ من خلال أي من العمليات الآتية:

1- التعزيز، أو الإثابة؛ أي إعطاء المكافآت.

2- العقاب.

3- توفير القدوة أو النموذج الذي يحتذى به.

إن معرفة الطفل للصواب والخطأ تعد مسألة أساسية في نجاح عملية التنشئة الاجتماعية، وجعلها صالحة ونافعة له ولمجتمعه، فكما هو معروف أن الطفل يكتسب من خلال نشأته الاجتماعية قيم المجتمع ومثله وقواعده ونظمه وقوانينه وعاداته وتقاليد وأعرافه بالإضافة إلى اللغة والدين. مع الأخذ في الاعتبار أن الصواب والخطأ يختلف تحديده ومعايير تعريفه من مجتمع إلى آخر، ورغم هذا هناك جوانب يمكن منها معرفة الصواب والخطأ، وذلك من خلال:

- الغرائز.
- المعرفة الداخلية.
- من عند الله سبحانه وتعالى.
- عملية التربية أو التنشئة الاجتماعية.
- الإحساس بالذوق العام.

العلاقة بين الأبوين والطفل في الإسلام:

إن مفهوم العلاقة بين الأبوين والأطفال أمر أساسي في التربية الخلقية، والإسلام يتعامل مع تلك العلاقة بالتفصيل من خلال المفاهيم التالية:

1- حقوق الطفل واجبات الأبوين:

إن واجباً مقدساً يقع على عاتق الطفل هو ألا يكون سبباً للأذى لوالديه، وعلى الأبوين ضمناً أن يبادلا الطفل نفس السلوك. والإسلام حساس بشكل حاد فيما يتعلق بالاعتماد الكبير للطفل على أبويه، إن دور الإسلام الحاسم في تكوين شخصية الطفل لأمر يعترف به الإسلام بوضوح، قال الرسول ﷺ فيما معناه: إن الطفل يولد على الفطرة ويحوله أبواه فيما بعد إلى يهودي أو مسيحي أو وثني...، والمحافظة على حياة الطفل في أحد تعاليم الإسلام الرئيسية.

وهناك مجموعة أخرى من الحقوق تتعلق بوضع الطفل في المجتمع وتنشئته وبالاهتمام به بصفة عامة. وتعد العناية بالأطفال أحد الأعمال المستحبة في الإسلام، والاهتمام بخير الطفل والمسئولية عن هذا الخير أمران يتمتعان بالأولوية، ولهما أهمية دينية واجتماعية في نفس الوقت، فمن حق الطفل أن يحظى بأقصى درجة من العناية، سواء كان أبواه على قيد الحياة، أو متوفيان، وسواء كانا غائبين أو حاضرين، معروفين أو مجهولين، وفوق ذلك كله تقع على البالغين مسئولية الإرشاد الدائم للطفل، لكي يصبح مواطناً ناضجاً ومتوازناً، والمطلوب من الأبوين بصفة خاصة أن يغرسا القيم الأخلاقية الحميدة في نفوس أطفالهما.

2- واجبات الطفل وحقوق الوالدين:

إن العلاقة بين الأبوين والطفل علاقة يكمل بعضها بعضاً، ويرتبط الأبوان والطفل في الإسلام عن طريق الواجبات والالتزامات المتبادلة. فمن حق الأبوين أن يحظيا بالتعاطف والصبر والاعتراف بالجميل والعطف والاحترام وبالصلوات من

أجل رويهما، ومن حق الأبوين أيضاً أن يحظيا بطاعة أطفالهما، وعلى الأطفال تقع مسئولية كفالة ورعاية والديهما عند الحاجة. عفيفي (2006: متعدد)

وتجدر الإشارة إلى أن من أهم مميزات الإنسان أنه مرن قابل للتعديل، وتبدأ عملية التطبيع الاجتماعي في الأسرة؛ حيث يتم إشباع حاجات الطفل والمحافظة على حياته، وبسبب عدم قدرة الطفل الصغير على الاختيار، فإن للأسرة تأثيراً قوياً جداً عليه فهو يعتمد اعتماداً كلياً على أسرته في حياته، والاعتمادية هذه تؤدي إلى توحد الطفل مع أسرته، أو تقمصه لشخصية الآباء والأمهات identification كنموذج يحتذى للسلوك، وتصبح الأسرة الجماعة المرجعية للطفل reference group، وبعد ذلك وبمرور الوقت، يصبح اكتساب أنماط مختلفة من السلوك الاجتماعي، بما في ذلك العدوان aggression عن طريق تقليد بعض النماذج التي تبدو جذابة للطفل. إلا أنه ليس كما يعتقد البعض أن التقليد ألياً أو ميكانيكياً، أيضاً ليس منتشرأ كثيراً كما يتصور بعض الكتاب، ولكنه يحتاج إلى بعض المكافآت لإظهار السلوك المقلد.

وتجدر الإشارة إلى أن نوع الإنسان يفرض نمط معين من التعامل يتناسب وسلوك كل نوع، فقد وجدت فروق بين الجنسين في النواحي الآتية:

- العدوانية.
- السيطرة أو التسلط.
- مساعدة الآخرين.

وقد وجد أن الذكور أكثر عدواناً وأكثر تسلطاً عن الإناث اللاتي هن أكثر تقديماً للمساعدة للغير، وأكثر اعتباراً لراحة الآخرين، كما أن إسهامات المرأة أقل في الجماعات التي يوجد فيها رجال، بعكس الرجال الذين لا يقل أداءهم في حالة وجود النساء، وفي الجماعات المختلطة الجنس يقل اختيار النساء قادة، ويقل أن ترى النساء أنفسهن قادة.

وقد يرجع ذلك إلى طبيعة العمل المطلوب والذي يتجه نحو الجنس الآخر، ورغم ذلك فإن للمرأة، والتي في أم، أدوار بارزة ورئيسية في عملية التنشئة الاجتماعية، يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

1- دورها في الأسرة كام؛ حيث تقوم بدور المربي الأول للأطفال بالتعاون مع الأب في إعداد وتربية أبنائهما إعداداً صالحاً للحياة، ولا نبالغ إذا قلنا أن الأم في الضمير الخارجي للطفل الذي يحدد له المسموح والممنوع من قيم وعادات، وتبذر في تربته البكر بذور الأخلاق، وما سيكون عليه مستقبلاً من قيم وسلوك. بالإضافة إلى قيامها بإشباع حاجات الطفل المادية والنفسية والاجتماعية والروحية والخلقية، وتشعرهم بالدفء والحب والحنان وتكسبهم قيم الدين، ولا شك أن هذا الدور إذا تم كما يجب أن يكون، يحول دون وقوع الأطفال ضحية للانحراف أو الشذوذ أو المرض.

2- ولا ينتهي دور الأم عند هذا الحد، بل يمتد إلى مرحلة التعليم من الحضانه إلى الثانوية إلى جانب دور المدرسة، بالإضافة إلى دورها داخل المدرسة كمعلمة تسهم في تربية النشء في هذه السن الخطرة، وخاصة في مدارس البنات؛ حيث تمثل القدوة والمثل الذي يقتدى به أمام الكثيرات من الطالبات، مما يوجب عودة دور المدرسة التربوي، وأنه لا يجب أن يقف دورها عند حد التعليم فقط.

3- وحيث أبلت المرأة بلاءاً حسناً داخل الحقل الجامعي، فإن دورها في هذه المرحلة حلقة أخرى تضاف إلى الحلقات السابقة من حلقات التربية والإرشاد؛ حيث تساهم في إعداد الأجيال الجديدة من أرباب التخصصات العلمية والمهنية المختلفة، وتمثل المرأة هنا دور الريادة لكثير من الطلاب، وعلى المرأة في هذا الدور أن تعمل على تصويب سلوك الطالبات ومساعدتهن في إعادة التكيف وحل مشكلاتهن وأزماتهن، ويكتسب هذا الدور خطورته من أنه الدور الذي يسبق المرحلة العملية للإنسان وخروجه إلى مجالات العمل المختلفة، والذي

يكتسب أهميته من أنه ركن من أركان المجتمع مهما كان حجم العمل وبساطته، أو بعده عن مصادر الانحراف ومغرياته.

وحسبنا دليل على خطورة دور الأسرة في تكوين شخصية الفرد، أن هناك بعض طرق وأساليب التربية الخاطئة، والتي تؤدي إلى أضرار تصيب الفرد وتؤثر على حياته فيما بعد؛ ومن ثم على المجتمع ككل، ويمكن أن نجملها في النقاط الآتية مع تبين أضرارها:

- الإسراف في تدليل الطفل وتلبية رغباته مهما كانت غريبة، وهذه الطريقة تؤدي إلى عدم تحمل الطفل المسؤولية فيما بعد، فضلاً عن اعتماده على الغير. والأخطر من ذلك هو عدم تحمله مواقف الفشل والإحباط في الحياة الخارجية، مما يؤدي إلى تلبية رغباته بكل الطرق، مما يسهل انحرافه تلبية لمطالبه التي اعتاد على تليتها من أسرته.
- الإسراف في القسوة والشدة مع الطفل، وعقابه بصورة مستمرة وصدده كلما أراد التعبير عن نفسه. وهذا الأسلوب يؤدي بالطفل إلى الانطواء والانسحاب من الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى شعوره بالنقص وعدم الثقة بالنفس مع صعوبة تكوين شخصيته، فضلاً عن كرهه للسلطة الوالدية، والخطير في ذلك أن هذا الكره قد يمتد إلى كره السلطة الخارجية في المجتمع، ومعارضتها متمثلة في سياسة العمل، بل وسياسة الدولة ككل.
- التذبذب بين الشدة واللين، ومن أضرار هذا الأسلوب: صعوبة معرفة الصواب والخطأ وعدم القدرة على التفريق بينهما، مما يفسر قناعة المنحرف بانحرافه وأنه لا يرتكب جريمة بفعلته، بالإضافة إلى التردد وعدم حسم الأمور، وأيضاً كفه عن التعبير عن آرائه ومشاعره مما يعطل من حركة الإصلاح المنشود، نتيجة عدم حسمه للأمور إذا كان قائداً يترتب على قراراته تغيير في سياسة إدارته، أو نتيجة كبت أفكاره وآرائه كموظف في إدارة قد تسهم آرائه في تطوير أداؤها.

- الإعجاب الزائد بالطفل مما يشعره بالغرور، وأنه أفضل من الجميع نتيجة تضخيم صورته عن ذاته. مما يؤدي إلى إحباطه وفشله عندما يصطدم مع غيره من الناس ممن يملكون نفس القدر من الإعجاب، أو أكثر، مما يشعره بأنه عكس ما كان يرى بأنه الأفضل.
- الحماية الزائدة للطفل، وإخضاعه لقيود الرعاية المبالغ فيها، مما يصنع من الطفل شخصاً هيباً يخشى اقتحام المواقف الجديدة، بالإضافة إلى عدم اعتماده على ذاته.
- اختلاف وجهات النظر في تربية الطفل بين الأم والأب، وهذا الأسلوب من أخطر الأساليب السلبية في التربية؛ حيث يؤدي إلى أن يكره الطفل والده ويجب والدته، أو العكس، وينسحب ذلك الشعور فيما بعد إلى حياته العملية حيث يتشكل انطباعه عن قياداته، وانتمائه للمنظمة؛ ومن ثم لدولته ككل حسب ما يلقاه من معاملة حسنة وتلبية لرغباته، حتى ولو لم تتفق مع الصالح العام، مما يخلق علاقة نفعية بين الفرد ومجتمعه، فهذا الأسلوب من التربية يؤدي إلى فقد القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، أو الحلال والحرام، وهذا الأثر السيء قد يظهر نتيجة أسلوب آخر من أساليب التربية، ألا وهو استخدام أحد الطرفين الأب أو الأم في حالة انفصالهما المغريات المادية سلاحاً يشهره في وجه الآخر، مما يؤدي إلى أن يتعلم الطفل أسلوب (العمالة) والتبعية، وكيف يبيع تأييده للغير نظير الحصول على مكاسب، مما يجعل منه تربة خصبة لنمو الانحراف والفساد.

نصف إلى ذلك دور الأسرة في جناح الأحداث، فقد اتجه الكثير من الباحثين إلى دراسة العلاقة بين التفكك الأسري وبين جناح الأحداث، وللتفكك الأسري تعريفات ومعاني عديدة؛ تؤدي في النهاية إلى انحراف الأحداث من خلال الظروف الآتية:

1- أن الطفل داخل الأسرة المفككة يتشرب المواقف والقواعد غير السوية، ونماذج السلوك المنحرف من أفراد الأسرة المنحرفين أو المجرمين، ولا شك أن هذا الجو الفاسد لا يسمح للطفل أن ينمي في نفسه ضميراً قوياً رادعاً، بل يبقى ضميره عاجزاً لا يقوى على محاسبة صاحبه على أخطائه وأفعاله التي تتعارض مع قيم الدين والمجتمع، ويؤكد على ذلك علماء النفس عند حديثهم عن الأنا الأعلى (Super- ego أو الضمير)، ويظهر أثناء مرحلة الطفولة، وبالذات عندما يبدأ الطفل في تعلم ضبط إخراجيه.

2- قد يؤدي غياب أحد الوالدين، أو كليهما في كثير من الحالات، إلى انحلال كيان الأسرة وتصدها، وهو أمر قد يمهد بالتالي إلى شيوع جناح الأحداث بين أبناء تلك الأسر.

3- يؤثر ضعف النظام في الأسرة، ونقص رقابة الوالدين بسبب التوجيه الخاطيء أو الجهل أو ضعف الوالدين الصحي، تأثيراً سلبياً على سلامة تربية النشء داخل الأسرة، وهو أمر يساهم في زيادة احتمالات شيوع ظاهرة جناح الأحداث بين أبناء تلك الأسرة.

4- يعتبر عدم التجانس المنزلي وحالات التفكك الأسرى، من العوامل التي تؤدي إلى زيادة احتمالات انحراف الأحداث، وذلك كما يشاهد في حالات سيطرة أحد أعضاء الأسرة على الآخر، أو على الجميع، أو كما يبدو في حالات المحاباة بين أفراد الأسرة الواحدة، وتفضيل البعض الآخر، والتجنيب أو العزل أو السخرية تجاه أحد أفرادها.

وقد رأى علماء الاجتماع، أن الجريمة في كل انحراف عن المعايير الجمعية التي تتصف بقدر هائل من الجبرية والنوعية والكلية؛ ويعنى ذلك أنه لا يمكن أن تكون ثمة جريمة، إلا إذا توافرت الأركان الثلاثة الآتية:

1- قيمة تقدرها الجماعة وتحترمها طائفة هامة من الناحية السياسية من طوائف تلك الجماعة.

2- انعزال حضاري أو صراع ثقافي يعمل عمله في داخل طائفة أخرى من طوائف تلك الجماعة، فلا يعود أفرادها يقدرون تلك القيمة، أو لا يصبح لها من الأهمية في نظرهم مثل ما لها في نظر الآخرين، وبناءً عليه يصبحون مصدر خطر تلك الجماعة.

3- اتجاه عدائي نحو القسر أو الضغط من جانب أولئك الذين يقدرون تلك القيمة الجماعية، ضد أولئك الذين لا يكون الاحترام أو التقدير.

ومن الجدير بالذكر أنه عند حدوث أي جريمة من الجرائم، فإن هذه الشبكة من العلاقات لا بد من أن تتمثل في صميم تلك العملية المعقدة التي يطلق عليها اسم الجريمة.

وهناك من يعرف الجريمة اجتماعياً بأنها: الفعل الذي تعتقد فيه الجماعة سواء عن حقيقة أو وهم بأنه ضار بمصلحتها الاجتماعية ومهدد لكيانها، ومهما اختلفت التعريفات، فإن من الأمور الضروري ذكرها، أنه ليس كل سلوك تجرمه الجماعة يعتبر سلوكاً إجرامياً بالفعل، بل قد يحدث كثيراً أن يكون السلوك - وإن تعارض مع الجماعة - سلوكاً سويًا، أو بالعكس.

لذلك يمكننا أن نحدد تعريف الجريمة بأنها: عبارة عن مخالفة للمعايير الجماعية التي تعود بالضرر على المجتمع، سواء نص القانون على اعتبار هذا الانحراف السلوكي جريمة كالسرقة أو القتل، أو لم ينص صراحة عليه، أو بالتحديد سلوك منحرف يصعب ضبطه كالإهمال والتقصير، أو الإسراف في استخدام أوراق الكتابة ومرافق المنظمة؛ كالإضاءة والمياه والاتصالات الهاتفية خارج إطار العمل.

وما يعيننا من مفاهيم، أن الجريمة لدى الشخصيات المعتلة على الأقل امتداد مباشر لاستعداد إجرامي مكتسب في الطفولة المبكرة، وهو استعداد يجعل الفرد أشد تأثراً بالآثار السيئة للبيئة الاجتماعية، وينشأ نتيجة لفشل الوالدين خصوصاً

الأم في ترويض الدوافع العدوانية للطفل، وفي عجزها عن فطامه من مبدأ اللذة، إلى الواقع مما يجعله غير قادر على احتمال ضروب الحرمان فيما بعد، واستعداده لإشباع حاجاته المادية بأي وسيلة، سواء كانت صالحة أو فاسدة.

كما سبق؛ نجد أن السلوك الإنساني هو المحدد للأداء الوظيفي للفرد، والذي يمكن تقسيمه بصفة عامة إلى قسمين:

- 1- الأداء الظاهري: مثل الكلام والحركة وكل ما يلحظه المحيطون بالفرد.
- 2- الأداء الباطني: مثل التفكير والتخيل والتصوير، وهو ما لا يمكن ملاحظته من المحيطين بالفرد، هذا الأداء الذي تشكله الأسرة يتمثل في الفساد والانحراف، أو الالتزام والاستقامة.

وبالتعرف على أسباب كل تصرف أو مظهر سلوكي، نجد أن السبب قد يكون شعورياً؛ أي يدركه الفرد نفسه، وقد يكون لا شعورياً؛ أي لا يدركه الفرد. فالسلوك إذن هو محصلة التفاعل بين طبيعة الفرد ونشأته، والموقف الذي يوجد فيه، وأداء الفرد لا يظهر نتيجة لقوى أو ضغوط نابعة من داخل الفرد نفسه فقط، ولكن نتيجة لعملية التفاعل والتوافق بين القوى الداخلية المحركة لأداء الفرد، والتي تتأثر بالعديد من العوامل؛ ومنها:

- العوامل الوراثية.
- العوامل البيئية.
- الثقافة التي ينشأ في ظلها.
- نوع التعلم والخبرات المكتسبة.

وهي عوامل مؤثرة على الأداء الإنساني سواء كان صالحاً أو فاسداً

إن للقيم والمعايير التي يتمثلها الفرد أثرها على سلوكه، فقد باتت ضرورياً التعرف على طابع القيم والمعايير السائدة بين تلك الفئة، فقد وجد اختلافاً واضحاً بين الطابع الثقافي الريفي، والطابع الثقافي الحضري من حيث التأثير على سلوكه.

وقد تبين من خلال دراسة جريمة الاختلاس، أن نسبة الريفيين أو الأفراد الذين قضوا معظم حياتهم في مناطق ريفية لا تزيد عن 17.5٪ من العينة، في حين أن بقية النسبة تقع أمام من قضوا معظم حياتهم بالمناطق الحضرية؛ حيث تبلغ 75٪، ويتضح من ذلك أن الثقافة الريفية أكثر ردعاً للسلوك المنحرف، لما تمتلكه من محافظة وثبات على القيم والتقاليد وقوة الوازع الديني، بعكس الثقافة الحضرية التي تخضع لتأثيرات معينة من وظيفة الردع التي تمارسها القيم على سلوك الأشخاص.

كما تبين من الدراسة الخاصة بحالة المختلسين أن 40٪ منهم تعاني من مشكلات أسرية تمارس ضغوطها على سلوك هذه الفئة. كما بينت الدراسة أن نسبة ممن يختلسون يقعون تحت ضغط الحاجة الأسرية، والرغبة في إشباع مطالب الأسرة عالية إذ تصل إلى 77.5٪، وهذه النسبة العالية تدل بشكل واضح عن ضغط الحاجات الأسرية على سلوك الأفراد؛ خاصة ظروف الحياة العصرية التي تتزايد فيها دائرة المطالب اليومية، بالقدر الذي يتجاوز حدود الإمكانيات المتاحة لدى الأشخاص للإشباع؛ ومن ثم يتعاضم دور مؤسسات المجتمع الرسمية في رفع مستوى الفرد المادي لإشباع حاجاته الأساسية.

وفي المقابل فإن هناك ارتباطاً وجدانياً بين المرء وأسرته، مما يسهل من دور الأسرة في التأثير عليه، وإكسابه القيم والعادات والأخلاق، فإذا كانت الأسرة في المؤسسة الاجتماعية، فإننا نجد أنها في نفس الوقت كياناً ذاتياً يتعلق بكل فرد من أفرادها، ذلك أن كل واحد من أبناء الأسرة الواحدة يشعر بأن أسرته تعيش بين جنباته، وأنه قد تشرب منها وتقمص دورها؛ بحيث يجد أنه وأسرته وجهان لعملة واحدة، فإذا نحن تعاملنا مع الأسرة من هذا المنطلق، نستطيع أن نؤكد بحق أن دفاع الفرد عن أسرته؛ إنما هو في نفس الوقت دفاع عن ذاتيته ومكانته، فعلى سبيل المثال؛ إن أي مساس بشرف الأسرة وكرامتها يعتبر في نظر الفرد مساساً بشرفه وكرامته، وعلى هذا النحو نجد أن الفرد من أبناء الأسرة يغضب أشد الغضب عندما يتم الاعتداء على ملكية أسرته، حتى عندما تكون تلك الملكية بعيدة عن

يده، وليس له فيها أية حقوق، والمصالح هنا لا تقتصر على الحقوق المادية فقط، بل تمتد إلى المصالح الأدبية والمعنوية كالنجاح في الامتحان، أو كسب معركة انتخابية إلى آخره من المصالح، والتي يشعر بأن أي إعاقة لأية مصلحة منها؛ إنما في إعاقة لمصالحه هو الشخصية، وقد يمتد غضب المرء دفاعاً عن حقوق أسرته إلى مستقبل هذه الأسرة، فالواقع أن حياة الأفراد وحياة الأسر والمؤسسات الاجتماعية جميعاً، تعتمد على ركائز زمانية ثلاث، وهي الماضي والحاضر والمستقبل.

ويبقى شيء آخر يضيف فاعلية لدور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، ألا وهو وعى الأسرة بمفردات كل مرحلة عمرية من مراحل حياة الأبناء، ومعرفة كيفية التعامل معها. فعلى سبيل المثال، في مرحلة المراهقة يكون الفرد في حالة من الرفض لكل ما حوله، محتجاً على كافة الأوضاع القائمة بالمجتمع؛ حيث يضيق بكل تقاليد المجتمع والأعراف والقيم الأخلاقية، بل والدينية في بعض الأحيان، وكل ما يجد من حريته ويفرض عليه التزاماً من أي نوع.

وقد يتقلب المراهق فيما بين أقصى اليمين وأقصى اليسار، بين التدين الشديد وبين الإلحاد، أو الانحراف الظاهر دون خشية أو احترام لقيم المجتمع وآدابه، والتي لا تمثل له في النهاية سوى حالة من التخلف الحضاري.

والمثير للعجب أن التدين لدى المراهق يشير إلى رفض ما هو قائم بالمجتمع من أنماط سلوكية، ونفس الرفض نجده في الإلحاد أو الانحراف عموماً، فهو في حالة غضب ضد كل ما هو قائم وموجود في المجتمع من أنماط سلوكية.

وكما تتصف مرحلة المراهقة بالرفض لكل الأوضاع السائدة، ومحاولاتها المستميتة لحل قيود المجتمع، نجد مرحلة الشباب لا تقل في جموحها عن مرحلة المراهقة، وإن كانت الأخيرة تتصف بميلها الشديد للحرية والاستقلالية عن كل الحدود والقيود المجتمعية.

وجدير بالذكر أن هناك فرق فيما بين وجود القيود التي تفرض على حرية

المرء وعلى تصرفاته، وبين وعى المرء بوجود تلك القيود وكرهيته لها، فكثيراً ما تكون القيود موجودة وثقيلة على الأفراد والمجموعات، ولكن يكون هناك افتقار لديهم لإدراك وجود تلك القيود، كما يكونون مفتقرين إلى الإحساس الوجداني تجاهها. مما يفسر لنا على الجانب الآخر افتقار الموظف المنحرف إلى إدراك جرم انحرافه، وأنه لا يفعل شيئاً خطأً، بل على العكس يعتبر فساداً عادياً في ظل مجتمع فاسد يتوارى بفساده خلف القيم والأخلاق الظاهرية، أو في ظل قيود خاطئة لا يفهم معنى لوجودها، وعادة لا يفيق إلا عند العقاب فحينئذ يدرك مدى جرمه من الآثار المترتبة على جريمته من عقاب، بالإضافة إلى النظرة الدونية له من قبل المجتمع، وإن كان هذا لا يمنع ولا يجد من رفضه للمجتمع بكل ما فيه من أعراف وتقاليد وقيم أخلاقية، ويرجع ذلك بالطبع إلى التنشئة الاجتماعية، ومعايير تحديد الصواب والخطأ بها، والمجتمع المثالي الذي يصبو إليه من وجهة نظره بالطبع، والتي تشكلت ملاحظها بفضل الأسرة والمدرسة والمجتمع ككل.

أما إذا تحدثنا عن دور المدرسة كجزء من منظومة التنشئة الاجتماعية، نجد أن البعض يظن أن المدرسة ما في إلا مؤسسة تعنى بتعليم الطالب فقط، دون الاهتمام بتنشئته وتربيته تربية سليمة كمكمل لدور الأسرة التربوي - وهذا خطأ -، فالمدرسة مؤسسة أخلاقية في المقام الأول ودورها مكمل ومتوازي مع دور الأسرة في التربية، وعليها في سبيل ذلك خلق بيئة أخلاقية مناسبة لتحقيق النمو الخلقي للطلاب، وإلا عجزت عن النهوض برسالتها.

إذن هناك علاقة طردية بين اهتمام المدرسة بالأخلاق، وبين نجاحها في أداء رسالتها التعليمية، وتحقيق الهدف الذي أنشأت من أجله.

وعلى ذلك فعلى المعلمين إدراك الآثار الأخلاقية لكل سياساتهم وتصرفاتهم وأقوالهم؛ أي يكونوا على وعى تام بمكانتهم كقدوة ثانية تأتي بعد قدوة الآباء، وحتى يأتي هذا الوعي بثماره المرجوة، يجب أن يقترن بالالتزام الخلقي على مستوى الفرد (المعلم)، وعلى مستوى الجماعة (المدرسة) ككل.

إذن على المعلم أن يكون متمتعاً بأخلاقيات مهنته كمعلم ومربي؛ أي يمتلك معايير السلوك الرسمية وغير الرسمية التي ترشد سلوكهم أثناء أداءهم الوظيفي، ومن جانب آخر تستخدمها الإدارة والمجتمع للحكم على التزام المعلمين.

ويعود الاهتمام بأخلاق المهنة بصفة عامة، وأخلاق المعلم بصفة خاصة لأهمية تلك الأخلاق في تحسين المجتمع، وفي جميع المجالات بتطبيق العدل وتكافؤ الفرص بين الجميع، وإقرار مبدأ الثواب والعقاب، وإسناد الأعمال للأكفأ، والتوجيه النافع لموارد المجتمع، والقضاء على الفساد بسد منابعه بتشجيع أصحاب المواهب والجهد الوفير، حتى لا يتحول المجتمع إلى جماعات من الانتهازيين، ويسيطر عليه الزيف والاحتيال، وإسناد الأمر إلى من يفسده.

نصف إلى ذلك أن الالتزام بأخلاق العمل يحقق الرضا والاستقرار الاجتماعيين بين غالبية الناس، خاصة الأسوياء منهم؛ حيث يذهب الحق إلى أصحابه، والعدل يسود في كافة المعاملات خاصة التي تتعلق بحقوق الناس.

كما سبق وغيره الكثير، يتأكد لنا أن دور المدرسة يتخطى الجانب التعليمي، ويمتد إلى صناعة مجتمع وتحديد معالم مستقبله؛ ومن ثم بقائه أو انهياره تبعاً لدرجة التحكم في الفساد والانحلال الأخلاقي، وحسبنا دليل أن فوائد الالتزام الخلقي في حقيقتها مقومات المجتمعات الصالحة، والتي تضمن بصلاحتها بقائها على قيد الحياة قوية ومزدهرة ومتقدمة، تلك الفوائد التي يمكن أن نجملها في النقاط الآتية:

- الالتزام بأخلاقيات العمل يدعم البيئة المواتية لروح الفريق وزيادة الإنتاجية، وهو ما يعود بالفائدة على الجميع.
- أيضاً يدعم ثقة الفرد بنفسه وثقته بالمنظمة والمجتمع، ويقلل القلق والتوتر بين الأفراد.
- الالتزام الأخلاقي يقلل تعريض المؤسسات للخطر لأن المخالفات تقل، والجرائم تقل والمنازعات أيضاً؛ حيث التمسك بالقانون الذي هو أولاً وأخيراً قيمة أخلاقية.

- كما يشجع الالتزام بمواثيق أخلاقية صارمة، على اللجوء في التعامل إلى الجهات الملتزمة أخلاقياً؛ وبالتالي تنجح الممارسات الجيدة في طرد الممارسات السيئة.
- أن وجود مواثيق أخلاقية معلنة، توفر المرجع الذي يحتكم إليه الناس ليقرروا السلوك الواجب، أو ليحكموا على السلوك الذي وقع فعلاً.

إذن على المعلم أن يعي دوره كقدوة حسنة، وكمسئول عن النمو الأخلاقي للتلاميذ. وعلى اعتبار أن المدرسة في البيئة الثانية للطفل، وفيها يقضى جزءاً كبيراً من حياته يتلقى فيها صنوف التربية والعلم والمعرفة، فهي عامل جوهري في تكوين شخصية الفرد، وتقرير اتجاهاته وسلوكه، وعلاقته بالمجتمع الأكبر.

وقد لا يتوفر للطالب في بعض المدارس قسط من الحرية والشعور بالمسئولية، وقد لا يجد مكاناً ينمو فيه نمواً يتفق مع طبيعته وحاجاته، وفي مثل هذا المناخ قد يصاب التلميذ بالإخفاق والقلق، وقد تكون المدرسة حينئذ نقطة يتحول عندها الحدث الصغير إلى طريق الانحراف.

- هذا والحياة في المدرسة لها جوانب ثلاثة، قد تكون سبباً في انحراف الحدث؛ وهي:
- علاقة التلميذ بمعلمه.
 - وعلاقته بزملائه.
 - وعلاقته بمواد الدراسة وموضوعاتها.

فقد تسوء علاقة التلميذ بمعلمه لأسباب كثيرة، منها ما يتصل بالمعلم غير المؤهل، الذي لا يعرف شيئاً عن سيكولوجية التلاميذ، وخصائصهم الحسية والعقلية وسلوكهم الاجتماعي في أطوار نموهم.

وقد تكون علاقته بزملائه دافعاً للانحراف في مواضع كثيرة منها سخرية زملائه منه لفقره، أو لعب في خلقه أو تشويه وعجز في جسده، وهو أمر قد يثير الحقد والصراع في نفس الصغير، وقد يكون المخرج منه الانحراف بسلوك عدواني، أو تعويض غير سوى مبالغ فيه، أو في إقدامه على السرقة لمجاراة زملائه.

أما علاقة التلميذ بمواد دراسته، قد تكون أيضاً دافعاً للانحراف إذا استشعر الصغير بضعفه العقلي وعجزه عن مسايرة زملائه في الفهم والتحصيل، مما يشعره بالفشل والمرارة والإحباط، فضلاً عما يمكن أن يصيبه من عقاب وسخرية من معلميه أو زملائه أو تأنيب من والديه.

وكما أن الضعف العقلي قد يدفع إلى الانحراف، فإن الذكاء الخارق والقدرات العقلية المتفوقة للغاية، قد تكون في الأخرى سبباً من أسباب الانحراف، وذلك في ظل غياب الوازع الديني والأخلاقي، وقد يحدث ذلك نادراً وفي حالات لا يجد فيها الطالب متنفساً لقدراته الخارقة، وما يشبع رغباته. نضف إلى ذلك، السلبيات التي مازالت قائمة في بعض قطاعات واقعنا التعليمي العربي، ومنها:

1- فقدان التوازن بين تعليم الصغار وتعليم الكبار، فلا تزال الأولوية لتعليم الصغار على حساب تعليم الكبار، في الوقت الذي ينبغي أن يكون للكبير الحق في التعليم بنفس القوة والمقدار في تعليم الصغار؛ خاصة عندما يكون الكبير في مرحلة خطيرة من عمره كمرحلة المراهقة، أو مرحلة الشباب والتي تحتاج إلى اهتمام من الأسرة والمدرسة.

2- كما أن هناك فقدان في التوازن بين الكم والكيف، فلا يزال يغلب على واقعنا التعليمي سيطرة الكم على حساب الكيف، مما أدى إلى مضاعفة اختلال التوازن بين التعليم النظري والتعليم الفني، في الوقت الذي تحتاج فيه المجتمعات العربية إلى الفنيين المتخصصين، والعمال المهرة المدربين القادرين على استيعاب تكنولوجيا العصر ومتطلباتها؛ خاصة في ظل ما يمر به العالم أجمع والعالم العربي بصفة خاصة من متغيرات دولية متلاحقة خاصة في المجال الاقتصادي، وكافة المجالات تحت مظلة العولمة، والتي أضفت العالمية على كل نواحي الحياة.

تلك العولمة التي تولدت عنها شركات متعددة الجنسيات، وشركات عابرة يشكل إنتاجها مواصفات جودة عالمية. بالإضافة إلى أسواق عمل مفتوحة على مصراعها أمام العمالة الوافدة من كل أنحاء الأرض، مما يفرض شكلاً معيناً على

العمالة أهم ملامحه المهارة وإدراك كافة المتغيرات التي طرأت على الساحة الاقتصادية، وعلى سوق العمل. فمن سلبيات العولمة قلة الطلب على العمالة غير الماهرة، مما يزيد البطالة ثقلاً على ثقل.

3- فقدان التوازن بين الإصلاح الجزئي والإصلاح الشامل، إذ لا يزال يغلب على واقعنا التعليمي الاتجاه الجزئي في الإصلاح، والحرص على تعديل الأشكال دون حدود، وتغيير مضمونها بنظرة شمولية موسعة.

وعلى ضوء هذه السلبيات وغيرها، فإن التربية العربية مطالبة أكثر من أي وقت مضى بالأخذ بالنظرة الكلية إلى إصلاح التعليم، دون الوقوف عند حد الإصلاح الهامشي، وسبيل ذلك الاتفاق على رؤى تعليمية عصرية تكون على مستوى التحديات والتصدي للمعوقات، بالإضافة إلى ضرورة تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية، وذلك عن طريق:

- الإيمان بقيمة الفرد لذاته بحكم كونه إنساناً واعتباره غاية في ذاته، وليس وسيلة لغاية أخرى.
- الإيمان بالفروق الفردية بين الأفراد، وفي هذا فرصة لرقى المجتمع وتقدمه؛ حيث المنافسة الشريفة، والسعي الجاد لتنمية القدرات وتحسينها.
- الثقة في ذكاء الفرد، وأن لكل إنسان قدرات خاصة على التفكير والتمييز والتحليل.
- العمل على توفير مستقبل آمن للفرد بعد انتهائه من تعليمه وعدم تركه للظروف، مما يعطى الثقة للأجيال الجديدة في المستقبل المهني بالمجتمع؛ ومن ثم زيادة الارتباط بالتعليم والتمسك به، بدلاً من التسرب منه نتيجة عدم الثقة في جدوى التعليم، من الناحية العملية والمادية في ظل ظروف المجتمع الاقتصادية.
- العمل على رفع كفاية الأفراد الفنية، وتطوير أدائهم ليكونوا أكثر قدرة على الإنجاز المنتج النافع للمجتمع.

دور القيادة الإدارية الأخلاقي :

إن على الإدارة دوراً هاماً في نشر وترسيخ أخلاقيات العمل في نفوس العاملين، وذلك بخلق المناخ التنظيمي المشجع، ولا يمكن أن نغفل دور القيادة الديمقراطية، والتي تملك القدرة على تفجير طاقات العطاء للعاملين وتحترم مبادراتهم الفردية على اعتبار أنهم شركاء في المنظمة.

ورغم أن الأسلوب الديمقراطي يظهر سهلاً وجذاباً في البداية، إلا أن من الصعب تنفيذه لأنه يتطلب قادة يؤثرون الصالح العام على المصالح الشخصية، والذين يفكرون على المدى البعيد، بالإضافة إلى تميزهم بالجرأة في إحداث التغيير والدفاع عن قناعتهم بضرورة هذا التغيير، ولكن للأسف أغلب القادة يؤثرون السلامة بترك الأمور على ما هي عليه، حتى ولو كانت فاشلة خوفاً من العقاب، خاصة وأن نظام العاملين يسير في دائرة الأقدمية، ولا مكان للمبدعين أو الصف الثاني كما يدعون. فالمعايير واللوائح تقف حاجزاً أمام التطوير المنشود، فالإصلاح يدور في دائرة لا مخرج منها ولا سبيل، طالما أن الإدارة تسير بفكر القرن الماضي. والذي لا يتفق مع ثورة المعلومات والتكنولوجيا التي أرست قيم الابتكار والإبداع في ثقافة المؤسسات، كما ظهرت قيمة رأس المال الفكري فوق كل الموارد المسئولة عن الابتكار والإبداع، ولا يمكن تفعيله إلا من خلال تحرير طاقات الخلق والإبداع في إطار بيئة إدارية تتصف بالديمقراطية والولاء والانتماء والعدل والمساواة، ومن ثم توفير البيئة المناسبة لنمو الأخلاقيات المنشودة.

ويمكن أن نجمل دور القادة في الإجراءات الآتية:

- 1- يجب على المنظمة أن تختار أفراداً مبدعين ليشكلوا العناصر البشرية لتحقيق الأهداف.
- 2- قيام المنظمة بدور قيادي تجاه المجتمع من منطلق المسؤولية الاجتماعية وخلق كوادر مبدعة.

- 3- الأخذ بأسلوب التفويض والذي يعد مدخلاً من مداخل الإبداع.
 - 4- إتاحة الفرصة للتعبير عن الأفكار دون حرج، وتشجيع العاملين على المشاركة الفعالة في حل المشكلات.
 - 5- تخصيص نسبة من ميزانية المنظمة لتنفيذ التجارب المبتكرة.
 - 6- على المنظمة أن تربط أهدافها بأهداف العاملين فيها قدر الإمكان.
 - 7- الحد من كثرة المؤتمرات غير الفعالة، والتي لا تقدم آراء ومقترحات مفيدة، بل تكون توصياتها عادة جاهزة قبل المؤتمر!
 - 8- يجب أن تعمل المنظمة على اكتشاف أصحاب المواهب من العاملين بها، وتدريبهم دون النظر إلى درجاتهم الوظيفية، والمعايير الهلامية التي تخاصم المنطق في كثير من الأحيان، واللوائح العتيقة المحبطة بهم.
 - 9- يجب أن تقتنع المنظمة ممثلة في قياداتها أن التطوير لا يشمل فقط المباني والمنشآت والمعدات والأجهزة فقط، بل يجب أن يشمل بل ويبدأ بالتنمية البشرية.
 - 10- إذكاء روح التنافس الشريف بين الأفراد من خلال المسابقات العلمية والبحثية وإقرار ما يعرف بلوحة الشرف للمتميزين من العاملين، مع جعل جائزة للموظف المثالي خلقاً وأداءً وتميزاً والتزاماً.
- (شتا 2004، عكاشة 1997، أسعد 1987، أحمد 1989: متعدد).

وعلى الدولة دورها أيضاً من خلال:

- توعية الأسر بطرق وأساليب التربية الصحيحة، وطرق الحفاظ على قوام الأسرة واستقرارها.
- ضرورة إعادة دور التربية للمدرسة ليكون من أهم أدوارها، إلى جانب دورها التعليمي.
- القضاء على سلبات التعليم القائمة، والسعي إلى إصلاحه بما يتناسب والمتغيرات الدولية المتلاحقة.

- توعية المعلم بدوره الأخلاقي في حياة التلاميذ، وأنه مسئول عن استقامة المجتمع أو انحرافه، وأنه ليس كغيره من العاملين لأن أثره يدوم إلى ما بعد مرحلة عمله.
- تطوير نظام التعليم فيما قبل المرحلة الجامعية بالشكل الذي يتيح الفرصة لميول الطلاب نحو فرع من فروع العلم، وفتح المجال أمام دراسة ما يجوبونه من علوم.
- توفير فرص العمل المرتبطة بمراحل التعليم المختلفة، بدءاً بمرحلة محو الأمية والتي تعد الأساس الأولى في عملية تنمية المجتمع فهو في صورته البسيطة أول وسيلة من وسائل إيصال رسالة المجتمع إلى الأفراد، مروراً بمراحل التعليم الأخرى، مع زيادة الاهتمام بالتعليم الفني.
- ضرورة أن تتفق قرارات وسياسات القادة مع الاتجاه العام للدولة، حتى يثق الموظف العام بمكان عمله بصفة خاصة، وبصدق سياسة دولته بصفة عامة.. فمثلاً حينما يكون اتجاه الدولة خلق صف ثان من العاملين تمهيداً لتحملهم المسؤولية فيما بعد، وتأتى قرارات القادة مغايرة لهذا الاتجاه بأن تنتهج معايير خاطئة تمنع المجتهد من العاملين من اكتساب المهارات الجديدة في العمل بحجة أن هذه (المعايير) لا تنطبق عليهم، مما يخلق حالة من الإحباط قد تؤدي إلى تحول المجتهد إلى مهمل، والحريص على أدوات عمله إلى مبدد لها، وبذلك نفقد جيلاً جديداً من العاملين الأكفاء.
- ضرورة اهتمام الدولة بمن أعطوا في سبيل بلدهم في كافة المجالات، بتوفير الرعاية لهم، والحديث عنهم في وسائل الإعلام المختلفة، حتى يكونوا القدوة للأطفال، فليس من المنطقي أو المفيد أن تهتم وسائل الإعلام بالحوادث والقتلة وتهمل من بذلوا كل غال ونفيس في سبيل بلدهم.
- الاهتمام بأصحاب المواهب والعمل على تنميتها وعرضها بالشكل اللائق.
- على المنظمات عمل جائزة الموظف المثالي لتشجيع الأفراد على تحرى الالتزام الخلقى والمهني، تعطى لكل متميز في إدارته على كافة المستويات.

- رصد جائزة للمتفوقين من أبناء العاملين في الشهادات العامة، مما يؤدي إلى تنمية اهتمام الطلبة بالتعليم، وإبراز قيمته ومدى اهتمام المجتمع به، وبالمتفوقين فيه.
- طرح مشاريع تطوير العمل على العاملين، وإتاحة الفرصة أمام من لديه مقترحات وأفكار لعرضها في صورة ورقة عمل، أو ما شابه ذلك. على (2011)

إن حقوق الإنسان النفسية؛ في حقوق معنوية، لم تأخذ الصفة الرسمية بعد، فهي حقوق للفرد على الفرد، قوامها السلوك الإنساني القويم، من أخلاقيات يجب أن يتحلى بها الإنسان بصفة عامة، ومعتنقي الديانات السماوية بصفة خاصة، تلك الديانات التي أمرت جميعها بالسلوك الحسن، والأخلاق الحميدة.

لذلك يمكن تعريفها بأنها: واجبات الفرد تجاه غيره من الناس، محورها مكارم

الأخلاق، والتي تنقسم إلى:

- 1- أخلاق الفرد تجاه نفسه.
- 2- أخلاق الفرد تجاه الأسرة.
- 3- أخلاق الفرد تجاه المجتمع.
- 4- أخلاق الفرد تجاه عالمه ككل.

ولكي يتحقق ذلك السلوك، يجب أولاً أن يؤدي الفرد واجباته تجاه خالقه، وذلك بالإيمان به، وبالיום الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبين، وبكل ما أمر به المولى عز وجل، فطاعة الله ورسوله في أولى الواجبات الملقاة على عاتقنا، وهي البوابة التي ستأخذنا إلى مكارم الأخلاق في الأسرة، والمجتمع، وفي العالم من حولنا، وبذلك نكون قد حافظنا على الحقوق النفسية للإنسان، والتي أكد عليها القرآن الكريم في العديد من الآيات، التي تعبر عن حقوق الإنسان النفسية وأنواعها، واعتنى بها النبي الكريم كما سنرى لاحقاً.

حقوق الإنسان النفسية في القرآن الكريم:

1- حقوق الإنسان النفسية تجاه نفسه:

إن حقوق الإنسان النفسية تبدأ من عنده وتنتهي إليه، في صورة عالم بأكمله يحرص على حقوق الإنسان النفسية، من أخلاق وقيم ومثل ينتفع بها الإنسان في النهاية، ولكي يتحقق ذلك لابد أن يحافظ الفرد على حقوقه تجاه نفسه، وأولها تتعلق بطاعته لله عز وجل، ورسوله الكريم ﷺ، تلك الطاعة النابعة من الإيمان الحقيقي المصدق بالعمل، وهي تعد من أولى الواجبات المنوط بنا أداءها، فهذه البداية تكون قد وضعنا أقدامنا على أول الطريق الصحيح تجاه المحافظة على حقوقنا النفسية. يقول تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنْنَا عَلَيْهِمْ أَن نَّقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ أَخْرَجُوا مِن دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴾ [النساء: 66]

وقال: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَمَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 177]

كما أن من واجباتنا تجاه المولى عز وجل، تدبر كل ما حولنا من مخلوقات نصل من خلالها إلى آيات الله فيها؛ ومن ثم الاستفادة بها في رحلتنا الإيماني والدنيوية:

قال الله تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: 21]

كما أن على الفرد أن يؤمن بأن الله هو الرزاق، وهو المنعم عليه بكل ما ينعم به من خيرات، وإن وقر هذا الإيمان في القلب، فلن يكون فيه مكان للبغضاء، أو الحقد، أو الحسد. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَكُومُ مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُرَا إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ
تَجَرُّونَ ﴾ [النحل: 53]

ويرتبط بهذا الإيمان خلق التوكل على الله حق توكله، آخذين في سبيل ذلك
بالأسباب التي سخرها لنا المولى عز وجل؛ حتى نصل إلى ما قدره لنا من رزق،
ومن نعم، قال الله تعالى:

﴿ إِن يَصْرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُ لَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: 160]

وعلى النقيض.. فما من ابتلاء إلا وله أجر عند المولى عز وجل، فهو الذي
يبتلينا ليختبر قدرتنا على الصبر، ويبشرنا بالرحمة، وبأننا من المهتدين، قال تعالى:
﴿ وَالنَّبَلُوكُمْ بَشَىءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرْمِثِ وَبَشَىءٍ مِّنَ الصَّبْرِ
الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [١٥٦] أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 155-157]

وعلينا أن نعلم علم اليقين أن ما من شيء يمر بنا، أو نفعله إلا بمشيئة الله
وإذنه: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُمْ غَدًا ﴾ [٢٣] إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرَنَّ رَبَّكَ إِذَا
نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِّنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ [٢٤] [الكهف: 23-24]

كما يجب على الفرد أن يوفى بعهد الله حتى لا يعاقب بالنفاق طوال حياته،
وأن يحفظ اليمين إذا حلف، وأن يكون صادقاً في كل قول وفعل، قال تعالى:

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [٧٥]
فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَحَلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [٧٦] فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى
يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: 75-77].

وقال: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ
فَكَفَرْتُمْ؛ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرُهُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٨٩] [المائدة: 8]

بالإضافة إلى العبادات المفروضة كالصلاة والزكاة والصوم والحج، والنوافل

تقرباً إلى الله عز وجل من ذكر وتسييح وغير ذلك من الطاعات، وقد ذكر المولى عز وجل ذلك في آيات كثيرة، ومنها قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسِعَّ حُجُوهُ بُكْرُهُ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾
[الأحزاب: 41-42]

وقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: 96-97]

وكل هذا لن يتحقق إلا بحب الله عز وجل، والذي سيدفعنا إلى تنفيذ ما أمر به الله، والبعد عن كل ما نهى عنه من مجالسة الخائضين في آيات الله، ومجاراة المشركين، وأعداء الإسلام في هجومهم وتهكمهم، يقول المولى عز وجل:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِءَ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوِّمْ يُجِبُّهُمْ وَيُجِبُونَهُ ءَذَلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: 54]

ويقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ءَ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٓ مَعَ الْقَوٰمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: 68]

وغير ذلك من الأمور المنهي عنها، مثل الشرك وإتباع الهوى، والتقليد الأعمى، وشرب الخمر، والميسر، وخيانة المسئولية والنفاق، وقتل النفس التي حرمها الله إلا بالحق، والزنا، والفاحشة فعلاً وقولاً، والسعا في الأرض إفساداً، والسخرية من الناس، والكذب والذي ينفى عن الفرد صفة الإيمان، كما أبلغنا الرسول الكريم ﷺ

إن أداء تلك الواجبات بصدق ويقين؛ سوف ينقل الفرد إلى مرحلة أخرى، وهى: أخلاقيات الإنسان نفسه، وتعد في نفس الوقت حقوق نفسية للآخر، من الكلمة الطيبة، والتبسم في وجه الآخر، والاستقامة في السلوك، وطهارة النفس،

وحسن الاستماع، وإتباع الحسن من الحديث، ومعاونة الغير على البر، وفعل الخيرات، والتواضع، والإتحاد حول المبادئ السامية.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُصْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [فصلت: 6]

وقال: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: 7-10]

وقال: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أَزْوَاجٌ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: 18]

وقال: ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا أَلْقَيْدًا وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: 2]

وقال: ﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: 104]

وقال: ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: 19]

كما تشمل حقوق الإنسان النفسية، الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتطبيق أوامر الله على النفس أولاً قبل الدعوة إليها، قال تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: 44]

وقال: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة: 256]

كما أن على الإنسان التوسط في الملبس والمأكل والمشرب، وكل أوجه الإنفاق، ومن روعة هذا الأمر، أن فيه مراعاة لمشاعر من ابتلاهم الله بنقص في المال، وضيق في الإنفاق. قال تعالى:

﴿يَنْبَغِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: 31]

ولابد أن يتصف الإنسان بالصدق في القول، وأن تطابق أفعاله مع ما يقول ويأمر به، وعليه أن يعلم أنه قدوة لغيره من الناس، مهما قل شأنه، فهناك من يقلده ويتأسى به في كل أفعاله الحسن منها والقبیح. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: 2-3]

كما يجب على الإنسان أن يتأسى بالرسول وطاعته في كل ما أمر به (حاتم، 1988: متعدد). قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: 80]

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: 21]

وقد تعددت حقوق الإنسان النفسية في القرآن الكريم، وكلها تدور حول القيم الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الإنسان، ففيها نعيم الآخر وسعادته، وفي نفس الوقت فيها راحته هو ونعيمه، فما يؤديه من واجبات أخلاقية تجاه الآخر، يفعلها الآخر تجاهه، وأيضاً يكون قدوة لغيره من الناس، مما يجعلهم يسعون إلى تقليده والتأسي به في أفعاله الحسنة.

ويعد الشعور بالمودة والأخوة الإنسانية من أهم أخلاقيات الفرد، وهي الأساس الذي يبنى عليه البناء الأعم الأشمل لحقوق الإنسان النفسية. يقول المولى عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: 13]

فالإنسان لا بد له وأن يتحلى بالأخلاق الحسنة، والسلوك القويم، وليس أدل على أهمية الأخلاق بالنسبة للفرد، سوى الآية الكريمة التي تؤكد أن الأخلاق في أساس الجزاء. يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم: 39-41]

2- حقوق الإنسان النفسية تجاه أسرته:

رأينا من الضروري عند بدء الحديث عن حقوق الإنسان النفسية تجاه أسرته وداخلها، أن نبدأ بالعلاقة بين الزوجين، انطلاقاً من أنهما أساس الأسرة ونواتها، وما من شك في أن المودة والألفة والرحمة بينهما، لها آثارها في تنشئة الأطفال تنشئة حسنة تجعلهم أسوياء فيما بعد، وقد تحدثنا سابقاً عن أهمية وخطورة مرحلة الطفولة في مسألة بناء الشخصية السوية.

لذلك وجهنا الدين الإسلامي إلى ضرورة الاختيار الدقيق عند الإقدام على الزواج، وأن يكون الاختيار على أساس الدين أولاً، وهذا الأساس المتين هو السبيل للمودة والرحمة بين الأزواج، وعدم الافتئات على حق من حقوق طرف من الطرفين: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: 21]

كما حث الإسلام على الإحسان للوالدين، وفي ذلك بالإضافة إلى قيمة بر الوالدين، قيمة أخرى تعبر عن الإيجاز البليغ في القرآن تتمثل في القدوة التي يتأسى بها الأبناء حينما يرون ذلك من آبائهم وأمهاتهم، ويذكرهم القرآن بأنهم صغار يحتاجون إلى التربية كما كان آبائهم وأمهاتهم في الماضي، وفي ذلك يقول المولى عز وجل:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ ﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤ ﴾ [الإسراء: 23-24]

كما حث الإسلام الحنيف على حسن معاملة الزوجة، بأن وضع الآداب التي تحكم معايشة الزوجات، مما يفرض على الزوجات عند تحقق ذلك، حسن معاملة أزواجهن. يقول تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ اتِّمُّوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩ ﴾ [النساء: 19]

ثم تنتقل بعد ذلك إلى مسئولية الأب عن أسرته. قال تعالى:

﴿ لِنُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآءَ اتِّهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ٧ ﴾ [الطلاق: 7]

وتأكيداً لذلك؛ فقد نهى القرآن الكريم عن البخل بصفة عامة، والبخل في نفقة الأسرة بصفة خاصة، وقد ذكر هذا النهي في العديد من الآيات الكريمة، ومنها قوله:

﴿ الَّذِينَ يَخْلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآءَ اتِّهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ٣٧ ﴾ [النساء: 37]

وقوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَآءِ اتِّهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ ۗ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا نَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٨٠ ﴾ [آل عمران: 180]

وقد فرض الإسلام خصوصية للأسرة، وحما أسرارها ونهى الأزواج عن الحديث عما يحدث بينهم من أمور، كما حما الإسلام الأسرة من الغرباء، بأن جعل للزيارة آداباً على الفرد أن يتبعها ويلتزم بها حاتم (1988): ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا

﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُوَ أَزكىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ [النور: الآيات 27-29]

ويتفق هذا المعنى مع ما جاء في القرآن الكريم من نهى عن رمى المحصنات وإتهامهن بالباطل، وذلك حماية للأعراض بالنهى عن الخوض فيها. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: الآيات 23-25]

3- حقوق الإنسان النفسية تجاه المجتمع:

إن حقوق الإنسان النفسية داخل أسرته، في الأساس لحقوقه تجاه مجتمعه، وداخله، فالأسرة في أساس بناء المجتمع، وكلما كان الأساس سليماً خالياً من العيوب، كلما كان المجتمع قوياً صالحاً، يتميز بالأخلاق، والقيم، والمثل العليا، متمسكاً بتعاليم الشريعة، منفذاً لأوامرها، بعيداً عن ما نهت عنه من سلوك سيء.

ولا يمكن أن يتحقق ذلك دون وجود تعاون حقيقي بين أفراد المجتمع تذوب فيه المصلحة الشخصية، وتبرز المصلحة العامة، كقيمة في نفوس أعضاء المجتمع، ويأتي التعاون على البر والتقوى على رأس قائمة أولويات التعاون بين الأفراد، فعلى كل فرد أن يذكر غيره ويبصره بطرق البر، وأن ينهيه عن كل إثم أو عدوان، ويجب على كل فرد أن لا يرفض نصيحة غيره من الناس تكبراً، أو غروراً بما هو عليه من إيمان، فقد يرى غيرك ما لا تراه أنت في نفسك.

لذا أمرنا المولى عز وجل بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، متخذاً في ذلك أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، واللين مع الآخر. قال تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: 110]

وكل ذلك يصب في معنى تضامن المجتمع ووحدته، حتى تتحقق له الفاعلية، والتي من خلالها يستطيع أن يصلح أحواله، بالتكامل بين أعضائه وحماية الضعفاء منهم، وقد أكد القرآن الكريم في العديد من الآيات على كل هذه المعاني، ومنها قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: 41]

وقال: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ ءَالٍ ۗ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد: 11]

وقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: 10]

وقال: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: 1-3]

إن على أفراد المجتمع أن يعملوا على تحقيق سلامته، والحفاظ عليها، بتطبيق العدل، والقصاص من الظالم، وبالنظام والطاعة، والتثبت من الأخبار، حتى لا تنتشر الشائعات الكاذبة، والشورى، وروح السلام، والإنتاج، والقول الحسن، والإحسان، والتكافل وحسن السلوك، والإعراض عن اللغو، والعفو والغفران للمسيء، وإيفاء الكيل والميزان، والتطهر، والقول المعروف، والابتعاد عن كل ما يثير العداوة والبغضاء، والبعد عن شهادة الزور، وغير ذلك من الحقوق التي تكفل سعادة المجتمع ووحدته، وعلى رأسها البعد عن الاختلاف، والتفرق بين أعضاء المجتمع. حاتم (1988)

يقول المولى عز وجل: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: 105]

وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: 159]

حقوق الإنسان النفسية تجاه العالم:

إن على الإنسان حقوقاً لا بد أن يؤديها لغيره من الناس، وله مثل الذي عليه من حقوق، على الناس أن تؤديها إليه، ولأن الناس شركاء في الأرض، وفي ظل العلاقات الدولية المتاحة على أوسع نطاق، تأخذ هذه الحقوق صفة العالمية، فهي حقوق على الجميع.. للجميع، ومنها رد الظلم ونصرة الحق، هذا الخلق الضائع في وقتنا هذا، فالمبدأ السائد هو مبدأ القوة، دون النظر إلى ظلم تفشى، وإلى حقوق ضاعت، وإلى قيمة انهارت تحت وطأة الظلم، وهي قيمة الأخوة الإنسانية. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [النساء: 1]

حتى ما ابتدعه الدول القوية من معاهدات لم تحترمها، واستمرت في إهدارها لكل الأعراف، والقيم، والأخلاق، وأضاعت حقوق الإنسان المادية قبل النفسية، تلك المعاهدات التي أمر المولى عز وجل باحترامها، ونهى عن نقضها. يقول تعالى:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النحل: 91-92]

كما أمرنا المولى عز وجل بالاستجابة للسلام في قوله:

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ
يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِيكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ [الأنفال: 61-62]

ومن ذلك النهى عن التكبر والعلو في العلاقات الدولية، قال تعالى:

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِزَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٨٣) [القصص: 83]

لقد أوجمل القرآن الكريم قضية حقوق الإنسان بشقيها المعنوي والمادي في كلمة واحدة ذكرت في سورة الإسراء. يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠) [الإسراء: 70]

عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان النفسية :

لابد وأن نكون قد اتفقنا على أن المحافظة على أخلاقيات التعامل؛ في سبيلنا للمحافظة على حقوق الإنسان النفسية، ولأن لنا في رسول الله أسوة حسنة، فعلياً أن نتعرف على بعض أخلاقيات الرسول الكريم ﷺ، في محاولة منا للتأسي به، وعلى الجانب الآخر نقدم صورة للغرب تعكس حقيقة هامة؛ وهي: أن من يتميز بهذه الأخلاقيات لا يمكن أبداً أن يكون كلامه من عند غير الله، وأن من يتميز بهذه الأخلاقيات، هو بحق القائد الذي ينبغي أن نسير تحت لواءه على اختلاف دياناتنا ومعتقداتنا، وأن من يتميز بهذه الأخلاقيات، هو بحق المنهل الذي نأخذ منه دساتيرنا الحياتية كمخلوقات تسعى أن تتصف بصفة... إنسان.

إننا نقصد بأخلاقيات الرسول ﷺ، تلك الأخلاقيات الفطرية التي أكرمها الله عز وجل بها كني مرسل يحمل رسالة ربه إلى العالمين، رسالة خاتمة لكل الرسالات، وجاء النبي ﷺ كخاتم الأنبياء والمرسلين، ليس بعد رسالته رسالة، ولا بعد نبوته نبوه.

هذه الأخلاقيات وأساسها القرآني كما سنتحدث فيما بعد، تأتي تدعيماً لما

جاء على لسان الرسول ﷺ فيما يتعلق بحقوق الإنسان رداً على المتشككين من أعداء الإسلام.

فالقرآن هو دستور الإسلام ومنهجه، وما جاء فيه من أوامر ونواهي على لسان الرسول ﷺ كانت لراحة الإنسان والوصول به إلى السعادة المرجوة، وكم من قضية طرحتها آيات القرآن الكريم والتي نزلت على قلب ولسان الرسول الكريم ﷺ ولم تكن معروفة في وقتها، وأثبتتها الأيام وأكدت الاكتشافات العلمية صحتها.

وإن كنا لا نحتاج إلى تأكيد ما جاء به القرآن الكريم وأنه من عند الله سبحانه وتعالى، وما أخذ عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير كسنة مؤكدة، إلا أن شأن المؤمن شأن العالم الواثق الذي لا يهاب الجهل والحقد الكافر، فما لدينا من عقيدة يكفى ويزيد.

فالتركيز على أخلاقيات الرسول ﷺ، ما هو إلا نقطة في بحر من الأدلة الكونية على أن وجود الله (عز وجل) حق، وأن الإسلام حق، وما جاء به من أمور ومنافع إنسانية جليلة حق، وأن ما ورد عن الرسول الكريم ﷺ من أحاديث ومواقف حق:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَاصِلَ صَاحِبِكُمْ وَمَا عَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 1-4]

فالنبي الكريم ﷺ كان خلقه القرآن، فما من أمر ورد في القرآن إلا امتثل له ونفذه، وما من نهى إلا وانتهى عنه، ومن أخلاقياته الكريمة على سبيل المثال لا الحصر، أنه ﷺ كان في الحياء أشد حياءً من العذراء في خدرها، وفي ذلك يقول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه». - رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه في سننه -

وكان مثالاً للجود والكرم والشجاعة والحلم والصبر والصفح والعفو عن من ظلمه، والرحمة بمخلوقات الله، ولم يكن ﷺ يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم

يكن في ذلك إثم، فهو البعيد عن كل إثم، بل بعيد عن كل خطأ صغيراً كان أم كبيراً، ولم يكن ليغضب إلا في الله، فهو لم ينتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة للمولى عز وجل.

ولم يحدث أن ضرب رسول الله امرأة أو خادماً، فلم يكن النبي الكريم سبباً ولا لعاناً ولا فاحشاً، ففي صحيح مسلم عن عبد العزيز عن أنس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أنساً غلام كَيْس فليخدمك قال: فخدمته في السفر والحضر، والله ما قال لي لشيء صنعت: لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه: لم لم تصنع هذا هكذا؟. - رواه البخاري ومسلم وأبو داود والمام أحمد في مسنده -

وكان النبي أبعد ما يكون عن الغيبة والنميمة، وذكر الناس بما يكرهون من كلمات اعتدنا عليها في وقتنا الحاضر، بل أمر الرسول أصحابه بأن لا يبلغه أحد عن أحد شيئاً: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً. فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر». - رواه الإمام أحمد -

وكان ﷺ حينما يصافح أحد، لم يكن لينزع يده حتى ينزع الآخر يده من يد النبي، بل من شدة أخلاقه، أنه لم يكن يصرف وجهه الذي استقبل به الرجل حتى ينصرف عنه، وقد كان النبي أكثر الناس تبسماً، فلم يكن ﷺ متجهماً رغم جديته وجدية الرسالة التي بعث بها، ورغم أخلاقياته الراقية، ليضرب المثل لنا في حسن الخلق، بعيداً عن تنطع مدعى التدين الذين يربطون بين التدين، وبين التجهم، وكان التدين معركة حربية!.

وقد كان الرسول فطناً يحمل من الثقافة الفطرية، "ما يجعله عالماً في إدارة الحوار وجذب مستمعيه؛ ومن ثم التأثير في نفوسهم، بما يملكه من علم ديني، بل وعلم دنيوي أيضاً، فقد كان يذكر الآخرة مع من يذكروها حين ينزل الوحي، وكان

يذكر أمور الدنيا كالطعام مثلاً إذا ذكر، فلم ينفصل النبي الكريم بصفته كني ورسول عن أمور الدنيا، لتتعلم من ذلك أن الإسلام دين ودنيا، وليس كما يفهم البعض بأن الإسلام يجب فصله عن السياسة، والاقتصاد، وغير ذلك من العلوم الدنيوية، فلم يأتي القرآن دستور الإسلام، إلا بكل ما فيه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وعلى المستوى السياسي ونظام الحكم، لم يكن رسول الله ﷺ حاكماً ديكتاتوراً لا يقبل التدخل من أحد، فرغم أنه لا ينطق عن الهوى، إلا أن الأمر كان شورى بين رسول الله ﷺ، وبين أصحابه.

تلك كانت بعضاً من أخلاقيات الرسول ﷺ، وأفعاله كلها رحمه بالإنسان، كما أكدت الأحاديث النبوية فيما يتعلق بحقوق الإنسان في الإسلام، المادية منها، والنفسية.

ولو أضفنا إلى ذلك عالمية الإسلام كدين خاتم لكل الأديان، و أيضاً لعظم حجم العالم الإسلامي المبني على نواة فكرية في الإسلام، فهو لا يعنى فقط عالم الدول الإسلامية (التي أعلنت الإسلام ديناً رسمياً لها)؛ وإنما يعنى حسب نطاقه الجغرافي: كل بقعة على ظهر الأرض يقطنها مسلمون، بصرف النظر عن أي معيار آخر، فهو يمتد ليشمل العالم كله، وإن كان بدرجات متفاوتة؛ حيث لا توجد دولة في العالم لا يمثل فيها الإسلام ولو بوجود رمزي كدين عالمي، مما يفرض ضرورة الأخذ بما جاء به الإسلام من حقوق للإنسان، وهذه الضرورة التي نسعى إلى تحقيقها بالإقناع بما نملكه من حجج علمية تدحض افتراءات أعداء الإسلام، الذين اتخذوا من الزيف وقلب الحقائق منهجاً وأسلوباً في هجومهم على الإسلام.

لذا قصدنا في هذا الكتاب التطرق إلى موضوع لم ينل حقه من البحث والتقديم رغم أهميته العظيمة، وهو البعد النفسي لحقوق الإنسان في الإسلام، فالحقوق النفسية للإنسان لم يلتفت لها أحد، رغم أهميتها في توازن الإنسان النفسي؛ ومن ثم

قدرته على التمتع بحقوقه المادية في الحياة، وعلى الجانب الآخر القيام بما عليه من واجبات؛ في صورتها الحقيقية حقوق لغيره من الناس.

فما جاء به الدين من أوامر ونواهٍ وتوجيهات تتضمن التزامات أو واجبات على طرف، في وجهها الآخر مصالح وحقوق الطرف الآخر، مثل النهي عن قتل النفس بغير نفس، أو فساد في الأرض، والأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، والنهي عن بحس الناس أشياءهم، والنهي عن دخول بيوت الآخرين حتى يستأذن الداخل ويسلم على أهلها، والأمر بالإحسان للوالدين، وبذي القربى واليتامى والمساكين، والجار ذي القربى، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، والتوجيه إلى أن الدين النصيحة، توجيهه إلى حقوق الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وتوجيهات الإسلام في العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

فالإنسان أياً كان وضعه في المجتمع الإسلامي، مطالب بأن يعيش في أكثر من وجود، وأن يحيا في أكثر من حياة، فهو يتحرك داخل ذاته، وهناك مجال يتحرك فيه المسلم مع أسرته من زوج وولد، وهناك مجال يتحرك فيه المسلم مع أهله وعشيرته وذوى قرابته الأدين والأبعدين، وهناك أيضاً مجال يتحرك فيه المسلم مع المجتمع الذي يدين بدينه، ويعتقد بمعتقدده. فالمسلم مسئول في الأمة الإسلامية متى بلغ مبلغ الرشد (السيد، 1971). يقول الرسول الكريم ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" - فالعبد - زمن الرق - راع في مال سيده وهو مسئول عنه، والمرأة راعية في مجال زوجها والعكس، وهكذا الزوج، والابن، والحاكم.. فالكل مسئول ومسئول عنه) - رواه البخاري ومسلم وأبو داود -

ويتضح لنا أن الإسلام لم يجعل حقوق الإنسان حقوقاً إتكالية يمتلكها البعض ويتمتع بها، وتكون واجبة على البعض الآخر مع حرمانه منها، وانطلاقاً من أن فاقد الشيء لا يعطيه، جعل الإسلام حقوقاً للجميع، وعلى الجميع واجبات، فمثلاً الحاكم والمحكوم لكل منهما حقوقاً ولكل منهما واجبات، وقد نادى الإسلام بكرامة بنى آدم عموماً بغض النظر عن الجنس أو اللون أو الدين:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْبِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [70]. [الإسراء: 70]

ومن مقتضيات هذه العلاقة: تبادل المصالح، وإطراء المنافع، وتقوية الصلات الإنسانية، وهذا المعنى لا يدخل في نطاق النهى عن موالة الكافرين، إذا أن النهى عن موالة الكافرين؛ يقصد به النهى عن مخالفتهم ومناصرتهم ضد المسلمين.

أما الموالة بمعنى المسالمة، والمعاشرة الجميلة، والمعاملة الحسنة، وتبادل المصالح، والتعاون على البر والتقوى، فهذا مما دعا إليه الإسلام، سابق (د.ت: ص 13) وليس كما اعتاد الغير في سلسلة هجماته على الإسلام، بأن يوجه الاتهامات الباطلة، وأن يخص غير المسلمين والمرأة بالذكر، والإسلام من تلك الاتهامات براء، فالإسلام أقر المساواة بين الذميين، والمسلمين، فلهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وقد كفل لهم حريتهم الدينية، فقد حمى الإسلام كرامتهم، وصان حقوقهم، وجعل لهم الحرية في الجدل والمناقشة في حدود العقل والمنطق، مع التزام الأدب والبعد عن الخشونة.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وجعله سيداً على هذا الكوكب الأرضي، واستخلفه فيه ليقوم بعمارته وإصلاحه، ومن أجل أن يكون هذا التكريم حقيقة واقعة، كفل الإسلام جميع حقوق الإنسان، وأوجب حمايتها وصيانتها، سواء أكانت حقوقاً دينية، أو مدنية أو سياسية. سابق (د.ت)

وجدير بالذكر أنه على الرغم من الاختلافات بين الأديان في بعض الأمور العقائدية، لم يتدخل الإسلام في عقائد الغير مصداقاً لقوله تعالى:

﴿قُلْ يَتَّابِعُونَ الْكُفْرُونَ﴾ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ④ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⑥ ﴿

[سورة الكافرون].

وقد أقرت هذه السورة مبدأ هاماً في تعامل المسلمين مع غيرهم، وهو أن لكل إنسان دينه حتى، ولو كانوا قد كفروا بكل الأديان أو بعضها.

ويرى البعض أن جهل البعض - سواء أكان متعمداً أو غير متعمد - بحقيقة الإسلام، وبسيرة النبي ﷺ، في مقدمة ما يدعوا إلى خصومة أعداء الإسلام، والجهل ولا ريب من أعقد أسباب الجمود، والتعصب، وأشدّها استعصاء.

ولقد تراكم هذا الجهل على مر القرون، وقامت له في نفوس الأجيال تماثيل وأوثان يحتاج تحطيمها إلى قوة روحية كبرى كقوة الإسلام. على أننا نحسب ثمة سبباً غير الجهل هو الذي دفعهم إلى هذا التعصب، وإثارة الحرب الضروس الشعواء التي أثاروها ويثيرونها على الإسلام وعلى المسلمين آنأ بعد آن، ولا يدور ذهننا إلى ما قد يدور بالخطا من صروف السياسة، وحب الظفر بالشعوب لاستغلالها، فتلك في اعتقادنا نتيجة لا سبب لهذا التعصب المستعصي حتى على العلم وعلى بحوثه. (هيكل، 1997)

ونرى أن الرغبة الدفينة في استغلال الشعوب الضعيفة، والمالكة للثروات، سبباً في الهجوم على الإسلام، فالأمر لا يرجع إلى اختلافات دينية بين الإسلام، وبين المسيحية، أو بينه، وبين اليهودية، وذلك لأن الأمر يشبه إلى حد كبير ما حدث في الحروب الصليبية، فالظاهر منها أنها حروب لحماية الصليب، لكن الباطن يحوى أطماع في ما يملكه الشرق من ثروات.

نصف إلى ذلك أن الغير قد درس تاريخ الدولة الإسلامية جيداً خاصة في أوج قوتها وازدهارها في عصر صدر الإسلام، وعرف كيف وصلت إلى ما وصلت إليه من اتساع يدل على القوة والازدهار الحضاري، وعرف أن السر يكمن في الوحدة والتي أساسها الإيمان القوى، ولهذا عملوا على محاربة الوحدة بين المسلمين، والحقيقة المرة تقول أنهم إلى الآن قد نجحوا في تحقيق ما يريدونه، وما يحدث من انقسامات بين الدول العربية والإسلامية، وتبادل الاتهامات هو خير دليل على هذا النجاح، والآن لم يبقى سوى الإسلام كي يهاجمونه عن طريق التشويه وادعاء

الأكاذيب من امتلاك أسلحة دمار شامل، إلى اضطهاد الأقليات الذين ينعمون بحياة أفضل وأرقى حضارياً من الأقليات المسلمة في بلادهم، كل هذه القضايا الكاذبة مجرد ذرائع بعيدة عن الدين تماماً، لتفتيت وتفكيك الدول، والكيانات الإسلامية حتى يزول الخطر من وجهة نظرهم.

وحسبنا دليلاً على ذلك الرأي القائل "بأن المسيحية مثلاً لا تلائم طبيعة الغرب، وذلك لأن المسيحية، وما تدعوا إليه من زهد في الحياة، واعتزال العالم، ومن العفو والمغفرة، ومن المعاني النفسانية السامية، ليست ما يلائم طبيعة الغرب الذي عاش ألوف السنين على دين تعدد الآلهة، والذي يدعوه مركزه الجغرافي إلى حياة الكفاح لمغالبة الزمهرير الضنك وسوء الحال، فإذا قضت الظروف التاريخية عليه بأن يدين بالمسيحية، فلا مفر له من أن يسبغ عليها ثوب الكفاح، وأن يخرجها بذلك عن طبيعتها السمحة الجميلة، وأن يفسد فيها هذا التناسق الروحي الذي يجعل منها حلقة في سلسلة الوحدة التي أتمها الإسلام، والتي توأخي بين الروح والجسد، وتزواج بين العاطفة والعقل، وإلى ما سبق يرجع إغراق الغربيين في غلوهم، وقد عرف التاريخ أن حياة أمم الغرب كانت دائماً حياة نضال وحروب دامية بإسم السياسة، أو بإسم الدين، وعرف أن أرباب السلطة الزمنية حاولوا القضاء على الحياة الروحية بإسم العلم، وقد زعموا بأن العلم سيحل من الحياة الإنسانية محل الإيمان من الحياة الروحية، وها في ذي عرفنا اليوم بعد جهاد طويل، سوء رأيها، وأن ما قصدت إليه مستحيل تحقيقه. والصيحة تعلق اليوم من جوانب الغرب المختلفة يريد أهله حياة روحية أضاعوها، فظهرت العديد من التيارات العقائدية التي تتطلع إلى تلك الحياة، وحاولوا أن يصبغوها بصبغة الدين، ومنها "الثيوزوفية"^(*)، ولو أن المسيحية كانت تلائم غرائز الكفاح التي تنشأ بحكم الطبيعة

(*) الثيوزوفية: مذهب استنبطته مدام "بلافاتسكى" الأمريكية من أديان الهند، ومن البوذية، والبرهمنية منها بنوع خاص، ودعته "دين الحكمة"، وقد تأسست لهذا المذهب جمعية في أمريكا وفروع لها في

كجزء من حياة أهل الغرب، لرأيهم، وقد شعروا بعجز الفكرة المادية عن أن تلهمهم المدد الروحي، يعودون إلى المسيحية - دين عيسى بن مريم -، إن لم يهدهم الله إلى الإسلام. هيكمل (1997: ص 28)

أما فيما يتعلق بالهجوم على الإسلام من خلال اتخاذ حقوق المرأة ذريعة لذلك، فإنه لا يرجع إلى حق يريدون تقريره، أو باطل يريدون تصحيحه؛ وإنما في العصبية الدينية، أو الفتنة بالتقليد عن طريق استحسان ما يستحسنه القوى ولو كان قبيحاً منكرًا، واستقباح ما يستحسنه الضعيف ولو كان حسناً معروفًا.

والحقيقة أن أول ما يطالعا في قضية حقوق المرأة في الإسلام، أن القرآن حينما تحدث عن الأصل الذي تفرع منه الإنسان، جعل المرأة شريكة فيه للرجل، فكان الرجل أباً، والمرأة أمًا، واعتبر القرآن الكريم ذلك يوجب على الإنسان النظرة المستقيمة إلى أخيه الإنسان الذي يشاركه في معنى الإنسانية، وفي نسبته إلى أصله الذي تكونا منه، ومعنى هذا أنه لا تفاضل بينهما، إلا بما يكتسبه الإنسان من خلال ترقى الإنسانية إلى المستوى الفاضل. (شلتوت، 1983: ص 220).

فقد جاءت التعاليم القرآنية بوضع الوالدين معاً موضع التكريم والإجلال ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: آية 36].

==

بلاد أوروبا المختلفة، ثم انقسمت بعد موت "بلافانسكى" إلى ثلاث شعب ومذهب الجمعية يقوم على وحدة الحياة، ويدعوا إلى نوع من الرياضة الصوفية لبلوغ مرتبة (الزفانا) البوذية وهذه المرتبة يبلغها صاحبها حين يصل من - رياضته إلى الفصل التام بين الروح والتأثر بماديات الحياة وحين تسموا الروح بذلك إلى مكان من القدسية والطهر تتصل فيه الأرواح العليا، كما يدعو المذهب إلى إخاء الإنسانية إزاء عام تزول معه فوارق الجنس واللغة وكل ما هو عائق أمام ذلك!.

كما أرشد القرآن إلى ما للوالدة من جهود مضية في تربية الأبناء، ليس شيئاً منها للوالد سوى الرعاية والإرشاد: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَيَّ وَهْنٍ وَفَصَّطِلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ [لقمان: آية 14].

فإذا ما تتبعنا ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وجدنا تقرير القرآن للمساواة بين الرجل والمرأة في الطبيعة الإنسانية، وقد أعلمنا القرآن الكريم أن الإنسان - رجلاً أو امرأة - خلق من علق، وإذا كان الدين قد سوى في أصل الخلقة، فقد سوى كذلك في المسؤولية؛ حيث كان التكليف بالأحكام الشرعية لكل منهما، وليس هناك من استثناء بفروق إلا في أمور بسيطة من أجل الموازنة بين الواجبات والقدرات والإمكانات، سيراً على منهج لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، نجد القرآن الكريم وهو يتحدث عن الإيمان والفكر والتعقل والمصارعة إلى أعمال البر والإيمان بيوم الجزاء، يقرر المساواة في الجزاء كما ساوى في العمل.

والمرأة ذات مسؤولية مستقلة عن مسؤولية الرجل، مسئولة عن نفسها، وعن عبادتها، وعن بيتها، وعن جماعتها، وهي لا تقل في مطلق المسؤولية عن مسؤولية أخيها الرجل، إضافة إلى المسؤولية العامة فيما يختص بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والإرشاد إلى الفضائل، أو الانحراف عن واجب الإيمان والإخلاص لله وللمسلمين، وليس من شك أن تحميل المرأة بالمسؤوليات، يجعل لها أو عليها الحق في أن تتعلم كل ما يمكنها من القيام بهذه المسؤولية على الوجه الذي حددت به، وطلبت منها عليه. فمن حقها التعلم حتى تكون قادرة على تحرى الخير والإصلاح، والبعد عن الشر والفساد. شلتوت (1983)

أما الدور الأكبر فهو تحقيق مبدأ حقوق الإنسان، والذي يحتاج إلى مجتمع قوى متماسك قائم على أسس دينية ونفسية سليمة، بداية من تكوينه الإنساني - كفرد - ونهاية بالأمة ككل، والتي تتكون من لبنات (مجموعة أسر)، يرتبط بعضها ببعض تأخذ من قوة هذا الترابط، أو من ضعفه مكوناتها، والمرأة جزء لا يتجزأ من الأسرة وتكوينها، ومن هنا يتضح لنا أهمية دورها، وخطورتها في الإسلام.

ولهذا فقد أوصى الإسلام الحنيف الزوج بعدة وصايا، تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك قيمة المرأة في الإسلام كزوجة، وأم، وشريك أساسي في بناء المجتمع، وعلى الجانب الآخر تؤكد ما ذهبنا إليه من أهمية المحافظة على حقوق الإنسان النفسية، وكون المرأة إنساناً، فقد عنى الإسلام إلى جانب حقوق المرأة المادية كالإنفاق، والصداق، وغير ذلك من متطلبات الحياة، بحقوقها المعنوية - النفسية - ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- 1- أمر الإسلام الزوج بالتزین لزوجته، وأن لا ترى منه إلا كل جميل، وقد قال بن عباس رضي الله عنهما: (أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي).
- 2- اختيار الكلمة الحسنة والطيبة، فإذا كان الإنسان مأموراً دينياً بالكلمة الطيبة لغيره من الناس، وجعل الله له ثواباً عليها، فمن باب أولى أن تكون بداية وجهة هذه الكلمة للزوجة شريكته في الحياة مجلوها ومرها، حتى ولو كانت كذباً بأن يصف الزوجة بصفة جميلة لا تتحلى بها، لما في ذلك من حسن عشرة وإصلاح.
- 3- طلاقة الوجه وبشاشته، وأن يكون الزوج متبسماً في وجه زوجته.
- 4- التسرية عنها في غضبها، ومن المعروف علمياً أن هناك فترات تمر على المرأة، تسوء فيها حالتها النفسية، كفترة الحيض، أو الأمراض التي تتبعها آلام مبرحة، فعلى الزوج أن يتحمل ذلك الغضب، وأن يقدر طبيعة المرحلة وتأثيراتها، كما تتحمله زوجته في غضبه نتيجة الضغوط الحياتية المعتادة.
- 5- شكر الزوجة على ما تؤديه من خدمة داخل البيت، وإظهار الامتنان بمجهودها ولو بكلمات بسيطة تسعدها، وتجعلها في نشاط دائم طالما أن مجهودها يلقى التقدير والإعجاب، بل إن على الزوج في حالة قدرته المادية، أن يأتي لزوجته بخادمة تعينها على أمور المنزل.
- 6- مساعدة الزوجة في أداء متطلبات البيت، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في خدمة أهله، فإذا

قطع ثوبه مثلاً كان يقوم بجياكته، وهكذا، وهو من هو؟، هو من الناحية المادية يعد ملكاً أو رئيس دولة بمسمياتنا الحالية، ومن الناحية الدينية فهو خير رسل الله وأنبيائه (صلى الله وسلم عليهم أجمعين)، فلا مكان هنا للتكبر، والأولى بنا أن نقتدي برسول الله.

7- إشراك الزوجة في الأمور الحياتية بأخذ رأيها ومشورتها، والأخذ بها عند صحتها دون تكبر، فليس في ذلك أي تقليل من شأن الرجل، بل على العكس قد ترى الزوجة كونها امرأة الأمر بشكل أفضل في بعض الأمور الحياتية المتعددة والمختلفة.

وما سبق وغيره الكثير؛ يؤكد فهم الإسلام لطبيعة المرأة، فقد تتحمل سوء الأحوال المادية وتقف مع زوجها، وقد تنزل إلى العمل لمساعدته، إلا أنها لا تتحمل سوء المعاشرة، أو أي إهدار لكرامتها وإنسانيتها.

يعد موضوع حقوق المرأة - رغم أنه موضوع كبير - موضوعاً فرعياً في مجال حقوق الإنسان؛ حيث تم بحث موضوع التمييز العنصري في لجنة الأمم الخاصة بحقوق الإنسان، وفي نظام الأمم المتحدة تم عزل التمييز الجنسي في لجنة الأمم المتحدة حول وضع المرأة.

لقد لعبت لجنة وضع المرأة - وهي جهاز فرعى تابع للمجلس الاقتصادي والاجتماعي، أنشئت في 1947م - دوراً في خلق المعايير للدور الذي لعبته لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، في تقديم عدد من الاتفاقيات المتخصصة، مثل اتفاقية عام 1952م بشأن الحقوق السياسية للمرأة، واتفاقية عام 1979م للقضاء على التمييز ضد المرأة، وفي عام 1984م بدأت اللجنة في دراسة الشكاوى الفردية.

إن إجراء تقديم التقارير في ظل اتفاقية القضاء على التمييز ضد المرأة، والتي دخلت حيز التنفيذ في 1981/9/3م - وصادقت عليها أكثر من 90 دولة - تعد الإجراءات الأكثر وعداً.

ويبدو أن لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة - التي ظلت تنعقد سنوياً منذ 1982م - ستعمل بشكل مماثل للجنة حقوق الإنسان (لجنة الخبراء)، ويمكن للجنة فقط دراسة الأحوال في تلك الأقطار الأطراف في الاتفاقية، كحال أغلب أجهزة التعزيز والرقابة المنشأة بموجب الاتفاقية.

كما أن السلطات الأضعف للجنة، ستظل مثار أهمية مستمرة، وكما في النظم العالمية، فإن هناك تضحية سياسية بين قوة مجموعة من الإجراءات وبين متابعتها.

ويمكن إرجاع التقوية الراهنة لنظام حقوق المرأة، إلى الوعي المتغير بموضوعات المرأة في السبعينات، وهي عملية تغير في الإدراك الحسي، تركزت على المستوى الدولي حول اختيار عام 1975م كعام دولي للمرأة، وعقد المؤتمر العالمي المرتبط بها في مدينة المكسيك، وقد تكونَ جمهور دولي من أنصار حقوق المرأة، يرتبط بالأنشطة السياسية، وأنشطة رفع مستوى الوعي التي قامت بها الحركات النسائية الوطنية؛ فقد انبثقت مجموعة متنامية من صناعات النظم وأخذيها، وقد تم ردع المخربين المحتملين من محاولة القيام بمعارضة نشطة، إما من خلال المواقف الإيديولوجية المحلية، أو بواسطة انبثاق إجماع معياري دولي، ويبدو أيضاً أن مؤتمر المتابعة الذي عقد في نيروبي في عام 1985م، قد لعب دوراً مهماً في ترسيخ وتعميق هذا الإجماع الدولي. دونللي (1998: ص ص 262، 263)

وتجدر الإشارة قبل الحديث عن عناية السُّنة النبوية بالحقوق النفسية للإنسان، إلى الحقوق الطبيعية في الإسلام، وبداية.. فالحق في القانون يعرف بأنه السلطة أو القدرة الإدارية المخولة للشخص، كي يتمكن من القيام بأعمال معينه تحقيقاً لمصلحة له يعترف بها القانون ويقرها، وتنقسم الحقوق إلى قسمين أساسيين؛ وهما:

1- الحقوق السياسية: وتعرف بأنها السلطات التي تمنحها الدولة لبعض الأشخاص، لتمكينهم من القيام بأعمال معينه يشتركون بها في إدارة وتنظيم الشؤون السياسية لمجتمعهم، مثل حق الانتخاب (البيعة).

2- الحقوق غير السياسية (المدنية) وتنقسم إلى:

أ - الحقوق الخاصة: ويقصد بها الحقوق الشخصية المتعلقة بنظام الأسرة، أو حقوق مالية تسمح لأصحابها القيام بأعمال يمكن تقويمها بالمال، مثل الدين والملكية والوصية... الخ.

ب- الحقوق العامة: ويقصد بها تلك الحقوق الممنوحة لجميع الأفراد داخل المجتمع سواءً بسواء، والتي تجعلهم قادرين على تبوء مركز ممتاز، مثل الحق في الحياة، والتنقل، وحرية الرأي، والفكر، والعقيدة، والاجتماع، والعلاج، والصحة.. الخ.

وتتصف الحقوق الطبيعية بصفتين أساسيتين هما كونها نسبية، وغير قاصرة،، ويقصد بالنسبة أن كل حق ممنوح لشخص يقابله حقاً، أو حقوق أخرى ممنوحة لبقية الأشخاص في نفس المجتمع، فحق البيع يقابله حق الشراء، وحق الملكية يقابله حق عدم ملكية بقية الأشخاص في هذا المجتمع لنفس الشيء المملوك. أما كون الحقوق الطبيعية غير قاصرة؛ فيعنى أن هذه الحقوق ليست قابلة للعزل عن المجتمع وقصرها على فرد مطلق ليس عضواً في جماعه معينة، بل في حقوق لجميع الأفراد باعتبارهم أعضاء في المجتمع.

ومن سمات الحقوق الطبيعية في الإسلام:

1- أن الإسلام أقر هذه الحقوق بالنص الصريح في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾ [الإسراء: 70] ، وجعل الإنسان خليفة الله في الأرض.

2- أن الحق الطبيعي الفردي في الإسلام يعتبر حقاً اجتماعياً، وذلك لأن المصلحة العامة ليست في الواقع إلا مصلحة لكل فرد من الأفراد المكونين للمجتمع الإسلامي، وذلك طالما اتفقنا على أن الصالح العام هو حق الأفراد بمجموعهم، وليس بأشخاصهم.

- 3- أن تنظيم الحقوق الفردية الطبيعية، وأسلوب الانتفاع بها يتم في المجتمع الإسلامي عن طريق إلزام الأفراد دستورياً.
- 4- أن الحقوق في الإسلام جاءت عامة وشاملة (سياسية، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، صحية... الخ)، مما يجعل نظام الحقوق الإنسانية في الإسلام نظاماً متكاملًا شاملاً.

السنة النبوية وحقوق الإنسان النفسية :

إن السنة النبوية لم تعنى فقط بالحقوق الإنسانية الملموسة، بل تخطت ذلك إلى الحقوق الإنسانية النفسية، والتي لا تقل أهمية عن الحقوق المادية، لما في ذلك من تحقيق توازن نفسي، وخلق نفس سوية قادرة على القيام بواجباتها، والتي في نفس الوقت حقوق إنسانية للغير، وبذلك تكون السنة النبوية كجزء من الشريعة الإسلامية، قد سبقت العلم في إبراز أهمية الجوانب النفسية.

حقيقة.. يختار المرء في اختيار البداية ونقطة الانطلاق، فكل ما جاءت به السنة النبوية، أو جاء في القرآن الكريم، حقوق لها من الأهمية ما يصعب معها ترتيب تلك الحقوق.

وقبل أن نتحدث عن حقوق الإنسان النفسية في سنة الرسول الكريم ﷺ، يجب علينا أولاً أن نعيد التأكيد على أنه لا تعارض بين الإسلام و علم النفس، فالإسلام يحث على العلم، لقوة الإسلام من جهة، فهو لا يخشى الاكتشافات العلمية لأنه دين الحق، ومن جهة أخرى، تأتي اكتشافات العلم كأدلة تضاف إلى الكثير والكثير من الأدلة والبراهين التي تؤكد أن الدين الإسلامي هو دين من عند الله، وإن ما جاء به رسول الله ﷺ حق، وحسبنا في ذلك ما أثبتته علم النفس والاجتماع من أن النفس السوية في نفس قادرة على الحياة، يتسع وعيها بالقدر الذي يسمح بالتفرقة بين القبح والجمال، نفس قادرة على إعطاء حقوق الإنسان للإنسان، وأيضاً الحصول على حقوقها.

ولأن الرسول الكريم ﷺ لا ينطق عن الهوى، فقد جاءت سنته - من قول أو فعل أو تقرير- سباقاً لما جاء به العلم الحديث، ولما لا.. فهو النبي مبعوث السماء، يحمل رسالته وهى من أعظم الرسالات، جاء بالإسلام الحق لنعيم الأمة. لذلك كان من الطبيعي والمنطقي، أن تعني السنة النبوية بالحقوق النفسية للإنسان أجل عناية، ويتضح ذلك في الآتي:

- 1- الوصاية بحسن الخلق وحب الخير للغير.
- 2- استحباب طيب الكلام.
- 3- فضل إفشاء السلام.
- 4- تحريم الغيبة.
- 5- النهى عن الشماتة.
- 6- تحريم احتقار المسلمين.
- 7- النهى عن تناجى اثنين دون ثالث.
- 8- كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة.
- 9- كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده.
- 10- تحريم الخطبة على خطبة الغير.

وغير ذلك من الأمور النفسية التي تؤثر على حياة الإنسان، ومنها:

- (عن أنس رضي الله عنه قال: ما مسست ديباجاً، ولا حريراً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟). - متفق عليه -

ونخرج من هذا الحديث بحقيقتين في غاية الأهمية:

- الأولى: ضرورة حُسن المظهر، وما لذلك من أثر طيب في نفوس الغير.
- الثانية: أثر الكلمة الطيبة في النفس البشرية، خاصة لمن هم في مكانة أقل من مكانتنا الاجتماعية.

- (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم). - رواه أبو داود والمام أحمد -
- (وعن أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه). والزعيم: الضامن، ورواه البيهقي في السنن الكبرى. - حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح -
- (وعن ابن مسعود س قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء). - رواه الترمذي، والحاكم في المستدرک، وابن حبان في صحيحه -
- (وعن أنس س قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كان الفحش في شيء إلا شأنه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه). - رواه الترمذي وقال حديث حسن، ورواه الإمام أحمد والشهاب في مسنده -

تلك الأحاديث التي تطالب وتؤكد على أهمية حسن الخلق في تعاملاتنا مع الغير، لما لهذه الأخلاق من آثار نفسية جيدة؛ تؤدي إلى الحب، والإخاء، والتعاون وتبادل المصالح؛ ومن ثم يمتد الأثر على الأمة الإنسانية كلها، بدوام النشاط والسعي الدائم إلى الابتكار وخدمة البشرية - كل في مجاله -.

- (فعن أنس س عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). - أخرجه البخاري، والترمذي، وابن ماجه -

وحب الخير للغير كما يحبه المرء لنفسه ينزع الضغينة، والبغضاء، والحسد من النفس، ويجعلها نفساً سوية قادرة على العطاء، والتنعم بحقوقها، بالإضافة إلى الهدف الأسمى للنفس السوية، وهو أنها قادرة على التقرب إلى الله بمعرفته حق المعرفة، والوصول إلى حكمة العقيدة الإسلامية، وما جاءت به من تعاليم لراحة البشرية في الدنيا والآخرة، فيكون التدين تديناً حقيقياً بعيداً عن مظاهر الغش والنفاق.

- (وعن أبي هريرة س أن النبي ﷺ قال: الكلمة الطيبة صدقة). - متفق عليه -
 - (وعن عدى بن حاتم س قال: قال رسول الله ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمره، فمن لم يجد فبكلمة طيبة). - متفق عليه -
 - (وعن أبي ذر الغفاري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق). - متفق عليه -
 - (وعن جرير بن عبد الله س قال: قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع: استنصت الناس، ثم قال: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض). - متفق عليه -
- واستنصت الناس: أي أمرهم بالإنصات.

ونرى في الأحاديث السابقة صورة جليلة من صور اهتمام الإسلام بحقوق الإنسان النفسية، بأن جعل الكلمة الطيبة كجزء من الأخلاق الحميدة، وما لها من أثر جيد على النفس، صدقة يثاب عنها الإنسان، وفي ذلك تشجيع للمسلم المؤمن، وحثه على ذلك الفعل النبيل، وما يؤكد لنا أهمية هذا الأمر ما نشهده الآن من سلوك إنساني مليء بالفظاظة، وقسوة الحديث، والتهمك، والسخرية، والأذى بكافة أشكاله اللفظية، حتى وصل الأمر إلى التشاحن، بل والقتال أيضاً، كما توقع الرسول الكريم، فنهانا عن الرجوع إلى الكفر، يضرب بعضنا رقاب بعض، وهذا السلوك إنما يدل على ضعف إيمان بالله، وبالْحَسَاب، وبأن ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، سبحانه أمرنا بطيب الكلام، وأوصى النبي الكريم بذلك، وأرشده بأنه لو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله، فمن الأساسيات التي قامت عليها دعوة النبي ﷺ، حُسن الخلق، المشهود له به، بالإضافة إلى السمات الإنسانية الأخرى كالأمانة في المعاملة، والصدق في الحديث. وما كان ذلك إلا ليعطى النبي الكريم المثل والقدوة للبشر، ويعلمهم أهمية حُسن الخلق وقيمتها، لعلم الله المسبق بما سنكون عليه في حياتنا الدنيا.

- (وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف). - متفق عليه -
- (وعن أبي عمارة البراء عازب رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع: عيادة المريض، وإتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار القسم). - متفق عليه. هذا لفظ إحدى روايات البخاري -
- (وعن أبي هريرة س قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ! أفشوا السلام بينكم. - رواه مسلم والإمام أحمد وابن ماجه -
- وعن أبي يوسف عبد الله بن سلام - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام. - رواه الترمذي وقال حديث صحيح، ورواه الإمام أحمد -
- وعن الطفيل بن أبي بن كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيعدوا معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبد الله على سقاط، ولا صاحب بيعة، ولا مسكين، ولا أحد إلا سلم عليه. قال الطفيل: فجئت عبد الله بن عمر يوماً فاستتبعتني إلى السوق فقلت له: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق؟ وأقول: اجلس بنا ههنا نتحدث. فقال: يا أبا بطن - وكان الطفيل ذا بطن - إنما نغدوا من أجل السلام نسلم على من لقيناه. - رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح، ورواه البخاري في الأدب المفرد -
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث المسيء صلواته أنه جاء فصلى ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه. فرد صلى الله عليه وسلم فقال: ارجع فصل فإنك لم تصل، فرجع فصلى، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم حتى فعل ذلك ثلاث مرات. - متفق عليه - والمعنى: استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاءه.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلوات الله عليه قال: إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن من حالت بينهما شجرة، أو جدار، أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه.
- رواه أبو داود، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو يعلى في مسنده -
- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكوا العاني (أي الأسير). (النووي، د.ت) - رواه البخاري، والبيهقي في السنن الكبرى -
- عن أبي هريرة س أن رسول الله صلوات الله عليه قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أ رأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد أعنته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته. - رواه مسلم، والإمام أحمد وأبو داود -
- وعنه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلوات الله عليه يقول: إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلُّ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب. - متفق عليه -
ومعنى يتبين: يفكر أنها خيراً أم لا.
- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده. - متفق عليه -
- وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه قال في خطبة يوم النحر بمنى في حجة الوداع: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا ألا هل بلغت. - متفق عليه -
- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلوات الله عليه: حسبك من صفة كذا وكذا - قال بعض الرواه؛ تعنى قصيرة - فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته، قالت: وحكيت له إنساناً فقال: ما أحبُّ أني حكيت إنساناً وإن لي كذا وكذا.
رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح -

ومعنى مزجته: خالطته مخالطة يتغير بها طعمه، أو ريحه لشدة نيتها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة.

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم. - رواه أبو داود والإمام جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير -

• وعن أبي الدرداء س عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة. - رواه الترمذي وقال: حديث حسن، ورواه الإمام أحمد، وعبد بن حميد في مسنده -

• عن عتبان بن مالك س وهو ممن شهد بداراً في حديثه الذي وصف فيه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في بيته أنه قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فقال: أين مالك بن الدخشم؟ فقال رجل: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله، وإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله. - متفق عليه -

• وعن كعب بن مالك س في حديثه الطويل في قصة توبته قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفه! فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. - متفق عليه -

- عطفاه: جانباه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه.

ولسماحة الإسلام؛ هناك ما يباح من الغيبة لما في ذلك من فائدة للمسلمين والإباحة، وذلك في ست حالات؛ وهي:

- 1- التظلم: يجوز للمظلوم أن يتظلم إلى من له القدرة على إنصافه.
 - 2- تغيير المنكر ورد المعاصي إلى الصواب فيقول: فلان يعمل كذا فاجره عنه.
 - 3- الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمي أبي، أو أخي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟.
 - 4- تحذير المسلمين من الشر، ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان والتحذير من مصاهرته، أو مشاركته إن كان سيئاً.
 - 5- أن يكون مجاهرًا، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب.
 - 6- التعريف: إذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعمش، أو الأصم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.
- فعن عائشة ل أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: ائذنوا له ببس أخو العشيعة. - متفق عليه -
احتج به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد، وأهل الريبة.
 - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ما أظن فلاناً وفلاناً يعرفان من ديننا شيئاً.
 - قال الليث بن سعد أحد رواة هذا الحديث: هذان الرجلان كانا من المنافقين. -
- رواه البخاري -
 - وعن فاطمة بنت قيس ل قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت: إن أبا الجهم، ومعاوية خطباني، فقال رسول الله ﷺ: أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه. - متفق عليه -
 - وفي رواية لمسلم: أما أبو الجهم فضرباً للنساء، وقيل معناه: كثير الأسفار.
 - وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيه منه شدة فقال عبد الله بن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفقوا

- وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فأجتهد يمينه ما فعل، فقال كذب زيد رسول الله ﷺ فوقع في نفسى مما قالوه شدة حتى أنزل الله تعالى تصديقي: "إذا جاءك المنافقون؛ ثم دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم. - متفق عليه -
- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، قال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف. - متفق عليه -
 - عن وائلة بن الأسقع س قال: قال رسول الله ﷺ: لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه ويبتليك. - رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب، والطبرانى في الكبير -
 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. - رواه مسلم والترمذى -
 - وعن ابن مسعود س عن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر! فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً وفعله حسناً. فقال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس. النووى (د.ت) - رواه مسلم وأبو داود - ومعنى بطر الحق: دمغة غمطهم: احتقارهم
 - وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال رجل والله لا يغفر الله لفلان. فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى على أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت له، وأحببت عملك. - رواه مسلم وابن حبان -
 - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه. - رواه البخاري، متفق عليه -
- ذلك لأنه لطيف يجمع المحاسن وأعضاؤه نفيسة لطيفه، وأكثر الإدراك بها، فقد يبطلها ضرب الوجه، وقد ينقصها، وقد يشوه الوجه، مما يتبع ذلك من أذى نفسي!.

• وعن بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث. - متفق عليه ورواه أبو داود -

لما في ذلك من أثر نفسي سيء على الرجل الثالث، فقد يظن أن الحديث عنه، أو أنه غير مرغوب في صحبته، إلى آخره من ظنون النفس، وفتح الباب لعمل النفس الأمانة بالسوء.

فعن بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه. النووى (د.ت: ص ص 548، 549) - متفق عليه -

وأخرجه البخاري. باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمساواة والمناجاة والمعنى في الحديثين: بأن الواحد إذا بقى فرداً وتناجى من عداه دونه أحزنه ذلك إما لظنه احتقارهم إياه عن أن يدخلوه في نجواهم، وإما لأنه قد يقع في نفسه أن سرهم في مضرتة، وهذا المعنى مأمون عند الاختلاط، وعدم إفراده من بين القوم بترك المناجاة فلا يتناجى ثلاثة دون واحد. ولا عشرة.

وفى كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة:

• عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثنى على رجل ويطريه في المدح فقال: أهلكتم، أو قطعتم ظهر الرجل. - متفق عليه -
- والإطراء: المبالغة في المدح.

• وعن أبي بكرة س أن رجلاً ذكر عن النبي ﷺ فأنى عليه رجل خيراً، فقال النبي ﷺ: ويحك! قطعت عنك صاحبك - يقوله مراراً - إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك، وحسببه الله، ولا يركى على الله أحد. - متفق عليه -

• وعن همام بن الحارث عن المقداد رضي الله عنه أن رجلاً جعل يمدح عثمان س فعمد

المقداد فجشاً على ركبتيه فجعل يمشو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال إن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم المداحين فاجشوا في وجههم التراب. - رواه مسلم -

والأحاديث السابقة جاءت في النهي، أما عن الإباحة فقد جاءت فيها أحاديث كثيرة صحيحة، قال العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال: إن كان الممدوح عنده كمال إيمان ويقين، ورياضة نفس، ومعرفة تامة؛ بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك، ولا تلعب نفسه فليس بحرام ولا مكروه، وإن ضيف عليه شيء من هذه الأمور كره مدحه في وجهه كراهة شديدة، وعلى هذا التفضيل تنزل الأحاديث المختلفة في ذلك. ومما جاء في الإباحة قوله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: أرجوا أن تكون منهم؛ أي من الذين يدعون من جميع أبواب الجنة لدخولها، وفي الحديث الآخر: لست منهم؛ أي: لست من الذين يسبلون أزهرهم خيلاء، وقال رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه: ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك.

• وعن المساواة بين الأبناء يقول النعمان بن بشير ب أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إنني نحلته بيني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: فأرجعه. وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم، فرجع أبي فرد تلك الصدقة.

• وفي رواية - فقال رسول الله ﷺ: يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ فقال: نعم، قال: أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: فلا تشهدني على جور، فإني لا أشهد على جور.

• - وفي رواية: لا تشهدني على جور، وفي رواية أشهد على هذا غيري. ثم قال: أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذن. النووي (د.ت) - متفق عليه -

- وعن النهى عن التعدي على الغير في البيع، أو في الخطبة، لما في ذلك من آثار سيئة على النفس، تؤجج نيران البغضاء بين الناس، حديث ابن عمر ب كان يقول: نهى النبي ﷺ أن يبيع بعضكم على بيع بعض، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخطاب قبله أو يأذن له الخطاب. - أخرجه البخاري: باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع -

الفصل العاشر

**دور صيانة حقوق الإنسان النفسية
في إدارة الموارد بفعالية**

الفصل العاشر

دور صيانة حقوق الإنسان النفسية

في إدارة الموارد بفعالية

إن الأخلاق كما يراها الإسلام يمكن اكتسابها وتكوينها وتعديلها، وكل إنسان عنده أهلية، وله إرادة وقدرة للتحلي بالأخلاق الجيدة، والتخلي عن أضرارها، ومع إمكانية اكتساب الأخلاق، إلا أن ذلك يتفاوت من شخص إلى آخر، لما بينهم من اختلافات في الإدراك والذكاء، ولما بينهم من تفاوت فيما يجلبون عليه من سلوكيات وقيم. أبو بكر (2010)

وما يعيننا هنا؛ أن اكتساب الأخلاق الحميدة؛ وفيما يتعلق بموضوع الكتاب؛ أخلاقيات العمل التي يجب أن يتحلى بها أفراد المنظمة، ليس بالأمر المستحيل، وذلك إذا أدركت القيادات الإدارية في إدارتها للموارد البشرية كما سنرى لاحقاً؛ أن:

- 1- الطريقة السليمة لتغيير الاتجاه تتمثل في مخاطبة العقل، من خلال تزويده بالحقائق والمعلومات الصحيحة، وليس عن طريق مخاطبة العقل.
- 2- سلوكيات الأفراد تتأثر باختلاف العوامل البيئية للمجتمع، مثل العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وغيرها.

- 3- كما تتأثر في العمل باختلاف العوامل البيئية الداخلية للمنظمة، مثل ظروف العمل المادية، والعلاقات بين العاملين.
- 4- أن فهم وتحليل وتفسير سلوك الآخرين يعتبر مهارة أساسية لمن يتعامل مع الآخرين؛ حيث يساعدهم على التنبؤ بالسلوك، والقدرة على التحكم في رد فعل الآخرين.
- 5- أن الدافع هو حاجة غير مشبعة، تحتاج إلى إشباع، والتعرف على دوافع الأفراد واحتياجاتهم؛ ومن ثم تحقيقها سوف يساعدنا على تجنب الانفعالات التي تنتج عن عدم إشباع هذه الدوافع، حيث تؤثر دوافع الأفراد على سلوكياتهم من خلال سعيهم إلى إشباع دوافعهم، أو حاجاتهم غير المشبعة.
- 6- تغيير السلوك يتطلب أن يتوافر لدى الفرد قدراً معقولاً من الحساسية الاجتماعية، بالإضافة إلى المرونة السلوكية، والإنسان بطبيعته يتميز بالمرونة؛ ومن ثم القابلية للتعديل.
- 7- التعرف على الآخرين من خلال الإنصات، وملاحظة تعبيراتهم وحركاتهم واستكشاف ميولهم واتجاهاتهم يعتبر من المهارات الأساسية لمن يتعامل مع الآخرين.
- 8- السلوك الإنساني سلوك يهدف إلى تحقيق نتيجة، وهى بطبيعة الحال الغاية من السلوك.
- 9- سلوك الفرد هو محصلة لمجموعة من العوامل التي تنبع من داخل الفرد وخارجه، فالسلوك الإنساني هو محصلة لتفاعل العوامل الداخلية المرتبطة بالفرد، وتفاعلها مع العوامل البيئية المحيطة به.
- 10- تصرفات وسلوكيات الأفراد تختلف بالرغم من تشابه السبب، كما تختلف باختلاف قدراتهم واستعداداتهم وميولهم الشخصية والقيم والعادات والثقافة، وغيرها مثل السن والنوع والمستوى الاجتماعي.

11- لكل منا مجموعة من القيم الشخصية، وهي مجموعة من الاهتمامات التي يحملها الفرد، وتؤثر في حكمه على الأشياء وعلى الأشخاص، مثل القيمة الدينية والقيمة الاجتماعية، وغيرها. وتختلف تصرفات كل منا باختلاف السلم القيمي لكل فرد؛ أي باختلاف ترتيب أولويات هذه القيم.

الأثر النفسي للمديرين على العاملين بالمنظمة :

يواجه مديرو اليوم إشكالية في التعامل مع موظفيهم، وقد نطلق على هذه الإشكالية صدمة الفجوة المعرفية؛ وهذه الفجوة ناتجة عن الفرق بين ما كان يتمتع به الموظف من معرفة قبل الثورة المعرفية والثورة المعلوماتية، وبعدها. (Ryan , 1991)

وهنا يكمن الصراع الإداري في الاستمرار في إدارة الموظفين بأساليب وأدوات ما قبل الثورة المعلوماتية، والتي تتجاهل التغير الحاصل في إمكانات هؤلاء الموظفين المعرفية والمعلوماتية، مع أن ما يتوافر لديهم، أو على الأقل ما يمكن أن يتاح لديهم من معرفة ومواهب، يستدعي نفس كل الممارسات والأساليب الإدارية التقليدية في التعامل مع هؤلاء الأفراد، فتحدث أشكال متعددة من الصراع؛ خاصة وأن الإدارة تعلم وتدرك في داخلها عدم قدرتها على مواكبة التطورات المعرفية المعاصرة، لذلك تحاول مقاومة هذه التطورات وتكريس الواقع التقليدي في الممارسات والسياسات الإدارية، التي تستخدم معها الإدارة بالخوف والإدارة بالترهيب.

ومن هنا صراع المدير أو الموظف القديم الذي يعلم في قرارة نفسه، تفوق من يشرف عليهم وتجاوزهم لقدراته وخبراته التي لا تتجاوز حدود التعليمات البيروقراطية الجامدة، فيشعر بصراع داخلي؛ ومن ثم يدافع عن مكتسباته التي منحها له المركز الوظيفي المدجج بالتعليمات والإرشادات والقوانين، والضوابط التي تخلو من الروح والمعنى في كثير من الحالات.

ويعد الخوف هنا؛ نتيجة حتمية للممارسات الإدارية السلبية التي يفرضها المديرون، ويأخذ الخوف أشكالاً متعددة كحجب المعلومات، وعدم الثقة في تداولها، وعدم

المشاركة في اتخاذ القرارات، ونقد المرءوس أمام الآخرين، وزيادة معدلات التوتر والسلبية والغضب، والشعور الدائم بالنقمة من الإدارة والمسؤولين، مما يؤدي إلى انخفاض مستويات الإنتاجية، وتدنى مستويات الأداء والتنوع والابتكار والإبداع.

في حين أن سر نجاح الكثير من المنظمات العالمية، يكمن في التوافق بين ثقافتها وأهدافها، وبين رضا العملاء، فهي معنية بإكساب الموظف التمكين والرؤية والرضا والثقافة، التي تمكنه من تحقيق الانتماء لأهداف المنظمة، فيشعر الموظف بالتوافق والانسجام بين دوره في التعامل مع الإدارة، وبين شعوره الإيجابي تجاهها في ممارستها نحوه. وفي كثيرٍ من الأحيان يحدث تناقض بين الأمرين، أو تكامل في الأشكال التالية:

- 1- التوافق السلبي: بأن تكون علاقة الإدارة مع الموظف سلبية عدائية، فينجم عنها علاقة سلبية عدائية بين الموظف والعملاء.
- 2- التوافق الإيجابي: وهنا تكون علاقة الإدارة مع الموظف إيجابية، فينجم عنها علاقة إيجابية مع العملاء.
- 3- التناقض الإيجابي: وهنا تكون علاقة الإدارة مع الموظف إيجابية وعلاقته مع العملاء سلبية، أو العكس.

أما التفسير المحتمل لهذه الحالات الثلاث فهو كالتالي:

فالنوع الأول: وهو المتوقع عندما تكون ممارسات الإدارة تقوم على الشك وعدم الثقة في الموظف، أو الاستغلال وتجاهل حقوق الموظفين وحاجاتهم المختلفة، فمن الطبيعي أن ينجم عن ذلك ردود فعل سلبية من قبل الموظفين في تأدية الأعمال التي يقومون بها، سواء أكان في مؤسسات الخدمات التي يتعامل فيها الموظف مع العملاء في احتكاك مباشر وجهاً لوجه، أو في المؤسسات الإنتاجية التي يعمل فيها الموظف بشكل مباشر مع العملاء، فتؤثر العلاقة على كفاءة الموظف وأدائه في الأعمال.

أما النوع الثاني: وهو متوقع وطبيعي أيضاً، عندما تحاول الإدارة العناية برغبات الموظفين وحاجاتهم، فينعكس ذلك إيجاباً على نتائج الأداء.

أما النوع الثالث: فينقسم إلى قسمين:

أ - علاقة إيجابية سلبية: تكون الإدارة علاقتها مع الموظفين إيجابية وتقدر احتياجاتهم ومشاكلهم، ولكن لا ينعكس ذلك على أدائهم في التعامل مع العملاء، وهذه الحالة شاذة، وسببها قد يكون سوء الإدارة.

ب - علاقة سلبية إيجابية: عندما تمارس الإدارة أساليب لا تلبى احتياجات الموظف أو تعني بمشاكله، ولكنه بالمقابل يقوم بأداء مهام وظيفته بشكل مناسب. وهذه الأخيرة تحدث بشكل خاص في المؤسسات الخدمية، التي يتعامل فيها قطاع عام من الموظفين مع العملاء وجهاً لوجه، ولكن هذه العلاقة بشكلها السلبي الإيجابي لا تدوم طويلاً.

ويعد تفويض السلطات مفهوماً محدوداً وقاصراً عن مفهوم التمكين أو مقتضياته، فتفويض السلطة يقتصر على منح المرء وس سلطات محددة من قبل الرئيس، الذي يمكنه استردادها في أي وقتٍ شاء، ضمن أسس وقواعد رسمية محددة، كما تفتقد عملية التفويض لمتطلبات أساسية لا تتوافر إلا في التمكين، مثل الشعور الذاتي بالمسئولية والثقة بالنفس، وقيمة الواجب المناط بالموظف، ومستوى تأثير الموظف، وتأثير العمل في تحقيق نتائج للمنظمة، وللآخرين، إضافة إلى الشعور بالاستقلالية، وحرية التصرف، وهذا ينطلق من أعلى إلى أسفل من خلال التسلسل الرئاسي، ونطاق الإشراف التقليدي.

ويتطلب ذلك مبدأ الإدارة على المكشوف؛ حيث يتعرف أعضاء المنظمة على أرقامها المهمة، ويفهمون علاقاتها وتوابعها وآثارها، وهذا يساهم في ضمان إخلاص جميع العاملين وانخراطهم في المنظمة وتفهمهم لأهدافها وغاياتها، ويتطلب ذلك زيادة المعرفة والوعي بالأرقام، مما يوفر للعاملين معنى أكبر لما يقومون به من أعمال ومهام.

وتهدف عملية مصارحة العاملين إلى ما يلي:

- الشعور بالتمكين وحرية التصرف والشعور بالملكية؛ فيتصرف العاملون وكأنهم أصحاب المنظمة، فيهتمون بنجاحها وتقدمها ويتكون لديهم حماس ذاتي من أجل تحسين مستويات الأداء، دون مراقبة صارمة.
- تحقيق التكامل والترابط من خلال التنسيق، ومن خلال الهدف المشترك بين المستويات الإدارية المختلفة.
- التجديد والابتكار؛ وأفضل شيء لتفجير مواهب وقدرات الموظفين الكامنة، يتأتى من رغبتهم واستعدادهم للتعاون مع الإدارة في المجالات التي تتعلق بالإبداع والابتكار.

قد يكون لدى الموظف القدرة على الإبداع، ولكن لتحريكها وتفعيلها لابد من رغبة داخلية لن تتعزز في ظل الإشاعات، والتجسس، وغياب المعلومة، وانفراد الإدارة العليا باتخاذ القرارات. (ملحم، 2006)

ومن هنا؛ تأتي أهمية التعرف على الجوانب النفسية للقائد وأتباعه من العاملين، من تعقد الظاهرة السلوكية؛ حيث تتداخل فيها العوامل الشعورية واللاشعورية والوراثية والمكتسبة، فضلاً عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والصحية والمزاجية، وغير ذلك من العوامل التي تتداخل في الظاهرة السلوكية.

لذلك؛ على القائد أن يفهم نفسية أتباعه، وطبيعة دوافع سلوكهم وحاجاتهم النفسية والاجتماعية والمادية، وطرق تفكيرهم، وكيفية إقناعهم والتأثير فيهم من خلال ما يملكه من مهارات قيادية، وأولها معرفة طبائع الناس، وميزات وخصائص المجتمع والقيم السائدة فيه، وتأثير العلاقات الشخصية والاجتماعية على بيئة العمل الإداري.

ومنها أيضاً التمييز بين العاملين؛ من حيث تأثير الحاجات عليهم ودفعهم نحو العمل والإنتاج، لأن تظمين الحاجات الأساسية بالنسبة لهم لها الأهمية الأولى،

والبعض الآخر يهتم بالحاجات الاجتماعية أو النفسية، مثل التقدير والشعور بالمكانة والاحترام. فمن الأمور المهمة التعرف على أهداف العاملين التي يسعون لتحقيقها، سواء كانت أهدافاً شعورية يعترف بها، أو غير شعورية لا يدركها العامل. كما يجب معرفة ميول العاملين واهتماماتهم وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم والخلفية الثقافية التي ينحدرون منها.

فالأمر النفسي لا بد وأن توضع موضع الاعتبار، فقد ازداد الإنسان حساسية للأمور النفسية، وعلى المدير الكفاء إدراك حاجات مرؤوسيه والعمل على إشباعها قدر الإمكان.

وبالمثل؛ فإن على العاملين إدراك الجوانب النفسية للقائد؛ حيث يساعدهم ذلك في التعامل معه، وتنفيذ متطلبات وظائفهم بسهولة ويسر، دون صدام يؤثر على سير العمل ككل.

كما يفيد فهم الجوانب النفسية للإنسان من دوافع وانفعالات ناتجة عنها، المنظمة في اختيار القادة، وأيضاً في اختيار العاملين الأكفاء، ومعرفة كيفية التعامل معهم، من أجل تحقيق أهدافها التي أنشأت من أجلها.

تحظى الحاجات الإنسانية في بيئة العمل باهتمام كبير من قبل المؤسسات والكتاب والباحثين، لما لها من أهمية كبيرة في معرفة الأسباب التي تدفع الأفراد للقيام بسلوك معين، والتأثير على سلوكهم وتصرفاتهم وتوجيهها نحو رفع مستويات الأداء، ويتم ذلك من خلال رسم السياسات، ونظم الحوافز التي تعمل على إشباع حاجات الأفراد، ودفعهم تجاه تحقيق أهداف المنظمة. فإذا لم يستخدم الإنسان، أو العامل إمكاناته وطاقاته الذهنية في العمل، فاللوم لا يقع عليه، بل يقع على المنظمة التي لم تعرف كيف تفجر لديه هذه الطاقات، وتزرع لديه حب المبادرة والابتكار، فالفرد لا يكره العمل، بل يحبه لأنه مصدر رضا وسعادة له، ويسعى إلى تحمل المسؤولية، ويتمتع بقدر من التحليل والابتكار، ويسعى إلى تحقيق أهداف المنظمة، لأنها مصدر إشباع رغباته وتحقيق أهدافه.

وتنتج الطاقة النفسية من أجهزة الحاجة التي تتواجد في الشخصية الإنسانية؛ بمعنى أن دوافع الفرد تظهر نتيجة ظهور حاجاته التي يسعى إلى إشباعها، فالحاجات الإنسانية في التي تخلق الدوافع إلى السلوك الذي يستهدف إشباع هذه الحاجات. فالدوافع إذن في البواعث الأصلية لتصرفات الأفراد؛ حيث أن لهم حاجات معينة يريدون إشباعها، وهذا ما يدفعهم إلى إحداث سلوك معين يخففون به من التوتر الذي أحدثه عدم إشباع الدافع. (دقاسمة، يناير 2001: ص 819)

فهناك أزمة في الالتزام، فالناس لا يعملون بكامل طاقتهم وإمكانياتهم، فالهدف هو كسب الرزق، ولكن لا يمنع ذلك من وجود عاملين يقدمون أكثر مما هو مطلوب تماماً، ويسمى هذا الجهد جهد تقديري؛ مما يعطى قوة للمنظمة التي يعملون بها، وعلى القادة تنمية ذلك الجهد وتقديره حتى يستمر ويتنشر بين العاملين. (الصواف، 1995: ص 67)

إن ثقافة المنظمات تعتمد كثيراً على نوع من التعاقد النفسي بين القادة والتابعين، وبدون الإدارة الفعالة للطاقة لن يكون هناك ثقة، والثقة ضرورية لسلامة وحسن أداء المؤسسات؛ حيث تعتمد على التواصل والدعم والاحترام والعدالة والمصادقية، ولكي يفهم القائد معنى هذه الكلمات، عليه أن يضع نفسه مكان التابع، لمعرفة كيف يشعر الشخص في هذا الموقع، إلا أن ذلك يعتمد على التوازن النفسي للقائد.

والحقيقة أن التاريخ النفسي للقائد، لا يعكس تماماً تعقيدات حياته الشخصية، لكن دراسة هذه الحالات تساعد في إيضاح الأنماط المحددة للسلوك القيادي؛ حيث أن معظم استجاباتنا الانفعالية في مزيج من المشاعر الواقعية والاستجابات (التاريخية)، أو التحولية لموقف متاح، وتنشأ هذه الاستجابات التاريخية من العلاقات المبكرة التي نكونها - مع أول من قاموا برعايتنا؛ أي آبائنا -، ومن الانطباعات النفسية التي نلتقاها وتظل معنا طوال حياتنا.

أما بالنسبة للتابعين فيميلون للنظر بمثالية إلى قادتهم (وهو صدى من الطفولة المبكرة؛ حيث يرغب الطفل أن يعتني به آباء مطلقو القدرة والكمال)، ويعملون على أن يلحقوا بالقائد قدرات ومميزات غير واقعية تماماً، وهذه الطريقة تشعر الشخص التابع بالقوة والحماية. وفي ذات الوقت تنعكس صورة القائد في عيون تابعيه، وصورة التابعين في عين القائد. والتابعون يطرحون بسهولة خيالاتهم على قادتهم ويفسرون أفعال القادة في ضوء تصوراتهم عنهم، والقادة في علاقة قائد/ تابع يتشكلون جزئياً تبعاً لرغبات تابعيهم. كما أنهم باعتبارهم رموزاً للسلطة، يعملون على تنشيط استجابات قديمة من طفولتنا ويتحولون لمرايا تساعدنا في تكامل إدراكنا لأنفسنا، وفي تركيز إحساسنا المهزوز بهويتنا - خاصة في أوقات الأزمات-، وهناك قادة كثيرون لا يمانعون عملية الانعكاس هذه، فنظرات الإعجاب لدى تابعيهم ترضى غرورهم للغاية؛ مما يؤدي بالكثير منهم في النهاية إلى الشطط في إدارة المنظمة.

إن من الأدوار المهمة للقائد؛ أن يتفهم الحاجات الانفعالية لمروؤسيه ويستوعبها، وعليه أن يحتوي انفعالاتهم، وذلك لأن فهم شواغل المرؤوسين يعتبر من العناصر الرئيسية لتشجيعهم؛ حيث يؤدي العجز أو عدم الرغبة في الاستجابة لحاجات المرؤوسين، إلى نشوء التشوش والعدوانية وتكوين ثقافة متشككة، حيث ينتقل انشغال المرؤوسين من العمل، إلى حماية مناطقهم الخاصة، وتكوين جبهات متحاربة وغير متعاونة؛ تنشئ حواجز تمنع الانسياب الحر للمعلومات، حيث يتم التركيز على التقرب من خالصاء المدير (الطابور الخامس) ونتيجة ذلك كله: غياب التعاون، العمل بشكل أقل من المطلوب، تصاعد الصراعات الداخلية، عدم ثبات استراتيجية العمل مما له أسوأ الأثر على أداء المنظمات.

لذلك على القادة أن يسمحوا بالتعبير عن الانفعالات، وعليهم أن يشعروا أن التعبير عن الانفعالات لا يؤدي إلى تأثيرات سلبية على مستقبلهم المهني، وأن هناك مساحة للتفكير المتناقض ولتبادل النقد ومساحة للخيال، وهذا يتطلب وجود مناخ من الثقة كي تنجح هذه الممارسات.

كما سبق؛ تتضح لنا حقيقة هامة، وهي: أن التأثير الشخصي هو جوهر القيادة، فبدون التأثير نكون بصدد المدير وليس القائد، على الرغم من أن القيادة جزءاً أساسياً من أساسيات شخصية المدير.

من ناحية أخرى فالسلوك القيادي قد يكون شروعاً في قيادة؛ حيث يسعى فرد بالمجموعة لأن يمارس تأثيراً أو نفوذاً على باقي الأعضاء. وقد يكون ناجحاً عندما يؤدي التأثير إلى سلوكيات ونتائج سعى القائد لتهيئتها.

والتأثير بالنفوذ يعنى قوة التأثير الشخصي على الآخرين؛ ومن ثم السيطرة على البشر والموارد المتاحة، وحيث يتعين أن يتزود القائد أو الرئيس بهذه القوة لتعزيز مقدراته القيادية، وتحسين رضا ومعنويات مرءوسيه، وزيادة الإنتاجية.

ويختلف النفوذ عن السلطة الرسمية. فبينما تتمثل الأخيرة في حق رسمي للإلزام الغير بأداء أشياء، وحق رسمي بالسيطرة على موارد معينة، فإن النفوذ يتمثل في التأثير على الآخرين دون أن يستمد من سلطة رسمية، بل من سمات شخصية؛ فيسعى الآخرون للتوافق معه، وأن يكونوا مقبولين لديه. على سبيل المثال، قد لا يكون قائداً معيناً في مركز أو موقع تنظيمي يمكنه من مكافأة أو عقاب مرءوس معين، لكنه - مع ذلك - يمارس نفوذاً على مرءوسيه باعتباره مستقطباً لاحترامهم وتقديرهم. فضلاً عن ما يعرف بتكتيكات التأثير، والتي يستخدمها القادة للتأثير على الآخرين؛ ومن أهمها:

1- السلوك النموذجي Leading By Example: وهذا يعنى أن القائد يؤثر في أعضاء مجموعته، بتقديم نفسه كنموذج لسلوك إيجابي يحتذى به، فيظهر توافقاً بين أقواله وأفعاله.

2- الحزم Assertiveness: والمقصود هنا أن يكون الشخص إيجابياً، مباشراً، صريحاً، واضحاً، محدداً، وحاسماً في اتجاهاته وسلوكياته.

3- المنطقية Rationality: وهذا يعنى التفكير العقلاني المنطقي، فمثلاً يوضح القائد حقائق الموقف لأعضاء المجموعة لحثهم على أداء شيء معين.

- 4- التودد Ingratiation: وهذا يشير إلى سعيك لجعل شخص ما يحبك، بأن تعامله بطريقة ودودة قبل أن تطلب منه شيء.
- 5- هات وخذ Exchange: وتعنى التأثير في الآخرين من خلال تبادل المصالح مع المرء وسين.
- 6- المزاح Kidding: يمكن أيضاً استمالة أعضاء مجموعة العمل باستخدام قدر من المزاح، بعيداً عن خدش الحياء أو الكرامة.
- 7- الدعابة Humor: لها استخدامات لا نهائية في المنظمة، وهى نوع من أنواع الاتصال؛ يعيننا من أهميته دوره في التعامل مع الصراعات، ومنع الانفجار المفاجئ للتوتر.
- 8- ويمكن استخدام الدعابة في تحويل موقف مجهد إلى ممتع، كما يعمل الضحك المتبادل على تماسك الجماعة، ويشجع على التعاون، ويقرب المسافة بين القائد والتابعين، كما أنها دليل على الصحة النفسية.
- 9- فضلاً عن أنها تسهل من تلقى التعليمات والمعلومات، وتقلل من المقاومة، وتهيب الأشخاص لسماح ما يجب عمله للحفاظ على مسار المنظمة.
- 10- إشراك الموظفين في النفوذ والسلطة Empowerment: والهدف هو إكسابهم إحساساً أكبر بالفاعلية والمسئولية الشخصية عن العمل والنتائج. (دي فريس، 2006)

إن القائد المؤثر الحاضر؛ هو شخص يستطيع بقوة قدراته الشخصية ونمطه السلوكي، أن يخاطب تابعيه وعواطفهم ويؤثر عليهم بدرجة فائقة. إذ يدفعهم للتأمل فيما يقول ويفعل. وتجمع القيادة الجاذبة المؤثرة بين كل السمات والسلوكيات الإيجابية في تجسيد هذا النمط القيادي، والقائد الجذاب المؤثر يكون هكذا لأنه يتمتع بثقة عالية بالنفس وطاقة هائلة، فضلاً عن قدرته على توليد شحنات من الإثارة لتابعيه، وتنشيط وتطوير توقعاتهم من خلال رؤيته المستقبلية.

وقد أوضحت معظم الدراسات، أن بعض المحظوظين يولدون فطرياً بهذه الهبة. لكن معظم القادة الجاذبين المؤثرين يكتسبون وينمون كثيراً من هذه السمات، ويستخدمونها بنجاح كبير. مصطفى (2007)

أساليب التعامل ودورها في إدارة الموارد البشرية :

لقد رأينا أنه من الضروري قبل عرض أساليب التعامل مع الموارد البشرية، لتيسير اختيار الأسلوب المناسب لإدارة الموارد البشرية بفعالية، أن نشير إلى مشكلات الأفراد وكيفية التعامل معها.

وهذا العنوان يعبر عن موضوع هام وخطير في حياة المنظمات، وهو كيفية التعامل مع الأفراد أصحاب المشكلات؛ حيث يمثل ذلك حجر الزاوية ولب قضية هذا الكتاب. وقد ألف د. (بيتر هوني) العالم النفساني والمستشار الإداري للعديد من الشركات العالمية، كتاباً مستقلاً عن هذا الموضوع، والذي يمثل أهمية قصوى لكل مهتم بإدارة الموارد البشرية، إدارة فاعلة ومثمرة.

وللأسف؛ يميل المنشغلون من الناس إلى صرف نظرهم عن مشكلات الأفراد، لاعتقادهم بعدم أهميتها بالنسبة لهم، وللعمل الذي يقومون به، على أساس أن هذه العملية لا تعدو أن تكون مسألة أساليب شخصية، وأنها لا تمثل مسألة جوهرية!.

وفي كل حالة من حالات الأفراد، يبدو أن (المحتوى) يحظى بإلقاء الضوء عليه دون (السلوك). ولكن من خلال التجربة؛ فإنه وبقدر قليل من التشجيع (وأحياناً بدون تشجيع)، فإن الناس يكشفون عن تجاربهم والمحن التي واجهتهم مع الآخرين، ومنها على سبيل المثال؛ أن رئيسهم في العمل يقودهم بطريقة شبه جنونية، أو أنهم محبطون من سلبية زملائهم.

إن مواضيع السلوك، والتي تعد جوهرية؛ تمثل أقصى درجات الإغفال والإهمال

في جدول أعمال بعض المنظمات، علماً بأن مشكلات الأفراد تتصف بالأهمية، نظراً لما ينتج عنها من إمكانية:

- إهدار الوقت والمال، إضافةً إلى أنها تؤدي إلى زيادة حالات التذمر والشكوى بين الأفراد، وتقود إلى بروز الاجتهادية والتخمين، بدلاً من العمل والإنتاج.
 - إيجاد الضغوط النفسية غير الضرورية، فالناس يقلقون أنفسهم بالأفراد ذوى المشكلات، ولذلك تجدهم يعانون من مشاعر سلبية؛ يتولد عنها دائماً مظاهر شدة الغضب، وكثرة الغياب، وانخفاض الروح المعنوية.
 - تحريف أو تشويه القرارات؛ حيث تتصف مشكلات الأفراد بعادتها السيئة، والتي تتمثل في إفسادها للقرارات، حيث يتم تجنب الأفراد ذوى المشكلات، أو نقلهم من مكان لآخر (من باب التسكين أو ترحيل المشكلة دون حلها. كما أن بعض الهياكل التنظيمية والممارسات العملية، غالباً ما يتم تصميمها ويراعى فيها أن تكون قادرة على مسايرة، أو تهميش الأفراد ذوى المشكلات.
- والحقيقة؛ أنه ليس هناك شيء يمكن أن يوصف بالشخص ذي المشكلة، أو صاحب المشكلة، ولكنها مجرد مشكلة تصرفات لا أكثر. لذا؛ فإنه مهما تكمن المشكلة، فإن الشخص ليس هو المتسبب الوحيد في الخطأ، وبذلك فإنه دائماً ما تكون بعض المظاهر السلوكية لدى الفرد؛ في التي نتج عنها التصرفات التي تسبب لك كقائد المشكلة، وليس الفرد نفسه.

إن كافة السلوكيات التي تمثل مشكلات؛ في في الأصل مكتسبة وليست فطرية، وإذا ما كانت هذه السلوكيات مكتسبة في الأصل، فإن ذلك يتيح إمكانية تعديلها؛ حيث يمكن أن تكون السلوكيات المكتسبة غير مكتسبة، أو أعيد اكتسابها مثلاً، أو تم تعديلها أو مكتملة لغيرها من السلوكيات، وهكذا؛ وبدلاً من أن تكون سلوكيات جامدة وغير قابلة للتعديل، تصبح ذات مرونة كبيرة تجعلها قابلة للتعديل والتغيير.

كما يجب عند مواجهة مشكلات الأفراد، النظر إلى المشكلات السلوكية وفق الموقف الذي حدث فيه، لأن المشكلة ما في إلا حالة تحدث إلى حد ما، في ظل مجموعة معينة من الظروف، إضافة إلى أن المشكلات في الأصل، غالباً ما تنتج عن الحالة التي نشأت فيها أو أحدثتها. (هوني، 2003: ص ص 18-19)

وعلى ذلك؛ يجب الأخذ في الاعتبار أن الفرد الذي ينحرف عن السلوك المرغوب فيه، ليس منحرفاً بطبعه، فما لاحظناه من خلال القراءات وجهود الباحثين، أن ما يتم تقديمه لا يعدو كونه شرحاً لظاهرة الانحراف، وتقديم الحلول النظرية لها، والتي يمكن الأخذ بها لعلاج وحل المشكلة، وعلى الرغم من تقديم أسباب المشكلة، إلا أنه عادةً ما نغفل دور القضاء على مسببات المشكلة في حل المشكلة نفسها، وهو حل جذري يقضى على المشكلة من أساسها.

إن البعض منا ينظر إلى المنحرف أو المجرم على أنه شخص واع، يدرك ما يفعله، وهو كذلك بالفعل على الأقل من الناحية القانونية، طالما أنه لا يعاني من مرض نفسي يفقده السيطرة والتحكم في أفعاله.

ولكن من الناحية النفسية؛ ما الذي يدفعه إلى ارتكاب جريمة تعد مخالفة للمعايير الجمعية التي تعود بالضرر على المجتمع، أو بالتحديد تعد سلوكاً منحرفاً يصعب ضبطه كالإهمال والتقصير والإسراف في استخدام أوراق الكتابة ومرافق المنظمة؛ كالإضاءة والمياه والاتصالات الهاتفية خارج إطار العمل.

ونحن في ذلك نغفل أمراً هاماً، وهو الدافع اللاشعوري الذي لا يشعر به الفرد أثناء قيامه بالسلوك أياً كان السبب في عدم الشعور به، وقد قسمت مدرسة (سيجموند فرويد) - مدرسة التحليل النفسي - الدوافع اللاشعورية إلى:

1- دوافع لا شعورية مؤقتة، وهى دوافع يمكن أن يدركها الفرد، لو أخذ بمعنى النظر في سلوكه وفي دوافعه.

- 2- دوافع لا شعورية دائمة، وهي الدوافع المكبوتة التي يصعب على الفرد إمطاة اللثام عنها إلا بطرق علاج خاصة كالتحليل النفسي مثلاً. على (2011)
- وختاماً لهذا الموضوع، يمكنك عزيزي المدير أو القائد من خلال إجابتك على الأسئلة التالية، أن تتعرف على مدى قدرتك في مواجهة وحل مشكلات مرؤوسيك:
- 1- هل أنت ملاحظ جيد لمشكلات الآخرين؟.
- 2- هل أنت مستعد ذاتياً للاعتراف بأن لدى الأفراد مشكلات خاصة بهم؟.
- 3- هل لديك قدرات خاصة على الشعور بمشكلات الأفراد؟.
- 4- هل أنت غير عاطفي وغير انهزامي؟.
- 5- هل أنت ممن لا يميلون إلى توجيه اللوم إلى الآخرين؟.
- 6- هل أنت ممن يعترفون بوجود مشكلات؟.
- 7- هل أنت ممن يستمعون أكثر مما يتكلمون؟.
- 8- هل تهتم بطرح الأسئلة عن المشكلات التي تواجه الأفراد؟.
- 9- هل يحزنك أن يواجه الأفراد مشكلات؟.
- 10- هل أنت ممن لا يفضلون المماثلة أو تأجيل مواجهة المشكلات؛ بناءً على اعتقادك بأنها ستزول تلقائياً؟.
- 11- هل أنت ممن لا ترهبهم المشكلات عند حدوثها في أي لحظة؟.
- 12- في حالة عدم قدرتك على حل مشكلة ما، فإنك لا تتردد في الاستعانة بالمتخصصين المناسبين؟.
- 13- هل تتسم بدرجة عالية من التفاؤل؟.
- 14- هل أنت ممن يؤمنون بوجود المشكلات في الحياة، وأنه ليس هناك حل واحد؛ وإنما توجد العديد من الطرق والحلول والوسائل المتاحة لذلك؟.
- 15- هل تؤمن بأن السلوك الإنساني يحدث غالباً نتيجة لعوامل خارجية، بالقدر الذي يحدث فيه من عوامل شخصية داخلية؟.

- 16- هل تعتقد بأن أية تغييرات تحدث في البيئة الخارجية للمنظمة؛ ستؤدى حتماً إلى إحداث تغيير في سلوك الأفراد؟.
- 17- هل ثقتك بنفسك كبيرة؟.
- 18- هل تتسم بالنزاهة والعدل والانفتاح على الجميع؟.
- 19- هل تميل إلى تعديل سلوكياتك وأفكارك وانفعالاتك؟.
- 20- هل تشعر بالمسئولية المطلقة عن سلوكياتك تجاه الآخرين؟.

أعط نفسك خمس درجات عن كل إجابة بنعم، وحدد درجة استعدادك وقدرتك في مواجهة مشكلات الأفراد، والنجاح في حلها.

أساليب التعامل:

بعد أن تقضى مزيداً من السنوات كمدير، ستجد أن الموظف المرضى، يستخدم المقابلة الشخصية بصفة عامة؛ للفضفضة ببعض المشاكل، والتي تتفاوت شدتها من حين لآخر.

وينبغي لك أن ترحب بتلك المداخلات، حتى لو قمت بسماع ما لا تريد سماعه، فقلة نادرة وقيمة سيكونون ممن يصدقون القول، وهؤلاء هم الذين يجب أن تصغي لهم بعناية.

ويجوز بالطبع ألا تعكس المعلومات التي تتلقاها الحقائق بالضبط، ولكن على الرغم من أنك تتلقاها من خلال مرشح حاملها إليك، فإن ذلك لا يقلل من قيمتها بالمرّة، لقد مضى عليك في منصبك وقت طويل؛ يكفي لكي تعلم كيف تفرز ما هو مهم مما هو محاولة لجذب الأنظار.

وإلى جانب ذلك؛ فمن المؤكد أن هذا المرؤوس يعلم أنك تفضل مقابلة خالية من المتاعب، عن واحدة مليئة بالمشاكل، ذلك فإنك تعرف أن المسألة ما كانت لتثار لولا أن الموظف لديه مشاعر قوية إزاءها. ومن الممكن أن يقع في طريقك بين الحين

والآخر شخص مشاغب مثير للمشاكل، غير أن مثل هؤلاء الناس عادةً ما لا يكونون من موظفيك المرضيين.

على كل حال؛ ينبغي لمقابلتك التي تجربها لتقييم الأداء، أن تشجع رؤوسيك على أن يقولوا أي شيء يخطر على بالهم. فكلما كان التواصل بينكم مفتوحاً، كانت الفرصة أفضل لقيام علاقة عمل مريحة بينكم. (بيكلر، 1995)

لذلك؛ يجب عليك كقائد أن تكون محاوراً جيداً لتخرج ما بداخل الناس، وأيضاً لكي لا تشتتهم، وأن تكون مستمعاً جيداً. فعلى القائد مساعدة العامل على التعبير عن أفكاره ومشاعره بشكل كامل، بأن تعطى الانطباع بحركات الجسم وحجم الصوت أنك تسمع بتركيز أي أنك فهمت ما يريد. (Brinkman , 2006: p.41)

إن العاملين بحاجة إلى قائد إداري يؤمن بهم وبقدراتهم وإمكاناتهم، ويعرف نقاط القوة والضعف فيهم، فيعمل على تنمية نقاط القوة وتطويرها، وعلى الحد من نقاط الضعف بالتدريب والمتابعة. "إنهم بحاجة إلى قائد ينال ثقتهم ويحسن قيادتهم ويستطيع أن يؤمن احتياجاتهم المختلفة، ويشركهم في صنع بعض القرارات الهامة، ويعمل معهم في مواجهة المشاكل والمعوقات، ويشركهم في إيجاد الحلول لها والمعالجات. وبهذا يمكنه التأثير على سلوكهم أثناء العمل ليعملوا متعاونين لأجل الوصول إلى تحقيق أهداف المنظمة.

ويستخدم القائد للوصول إلى هذا الهدف، مجموعة من الأدوات والوسائل مثل الاتصالات، التحفيز، المشاركة في صنع القرارات، تطمين الحاجات، والاهتمام بالجماعة (جماعات العمل). (البياع (د.ت: ص 25)

إن المدير يعمل في ظل شبكة من العلاقات، بعضها تم تحديده من خلال الهيكل التنظيمي، وبعضها الآخر قد يتحقق بالصدفة البحتة لموقع مكتبه.

وهذه العلاقات التي تكونها التفاعلات مع الآخرين تخلط توقعاته وتمزجها بتوقعات الآخرين، وتقدم معلومات حول عمله والطريقة التي ينبغي أن يؤديه بها.

هذه المعلومات تمكنه من أن يحدد دوره بوضوح أكبر، وأن يقوم به بطريقة تناسب إلى حدٍ ما توقعات الآخرين عنه.

كما أن وصف العمل يحدد بعضاً من علاقات المدير، ولكن الرسائل التي يتلقاها المدير خلال تفاعله مع الآخرين جنباً إلى جنب مع تفسيراته واستجاباته، سوف تحدد الجزء الأكبر منها.

والواقع أن الناس الذين يتفاعل المدير معهم لا يدركون بالضرورة أنهم يؤثرون عليه، والعكس بالعكس، سوف تكون هناك أوقات، مثلاً، حينما يتظاهر بالنقد أو بالإطراء حينما لم تكن النية متجهة إلى أيهما، وفي أوقات أخرى قد يكون المدير غير مدرك سواء لكونه تحت التأثير، أو لعدم الاستجابة، بالإضافة إلى حالات أخرى، حينما يكون هناك إدراك مزدوج بالقصد أو الاستجابة. (الديسطة؛ حريز، د.ت: ص 147)

إن من طرق أداء وظيفتك - كمدير وقائد - بشكل طيب، أن تولى عناية كاملة لحاجات الناس العاملين في مجال مسؤوليتك. بعيداً عن المفهوم الخاطئ بأن ما قد يبديه المدير من اهتمام بمرؤوسيه؛ قد يفسر على أنه علامة ضعف، فإبداء الاهتمام لا يعنى أنك ستستسلم لأية مطالب غير معقولة.

وبالطبع يجب أن يكون اهتمامك صادقاً، والمقصود بالاهتمام الصادق؛ أن تتأكد من أن مرؤوسيك لديهم حوافز صحيحة للعمل، وأنهم يكافئون على النحو الملائم، عندما يؤديون عملهم بشكل جيد. (Armstrong 2008)

لذلك؛ يمكن تناول موضوع العلاقات مع الموظفين كنظام يتكون من:

أولاً: المدخلات؛ والتي يتم تحديدها من خلال الأهداف والقيم، وقوة العاملين داخل النظام.

ثانياً: الإجراءات (عمليات التشغيل)؛ وهى التي تقوم بتحويل المدخلات إلى مخرجات.

ثالثاً: المخرجات؛ والتي تتكون من المكافآت المالية والاجتماعية والسيكولوجية (النفسية) التي يحص عليها الموظفون.

رابعاً: حلقة من تقارير التقييم؛ يتم من خلالها إرجاع المخرجات مرة أخرى، إلى النظام الفرعي الخاص بالعلاقات مع الأفراد، وإلى النظم الفرعية الخاصة ببيئات العمل أيضاً.

وحيث إن نظام العلاقات مع الموظفين يعتبر نظاماً مفتوحاً، أكثر منه نظاماً مغلقاً؛ فإنه يتأثر بالمؤثرات الخارجية؛ والتي تشمل على:

1- **الاقتصاد:** من الممكن أن يؤثر التغيير في سياسات الحكومة النقدية والمالية، في ترتيبات العلاقات؛ مثل تحديد حجم المكافآت في القطاع الحكومي. وبطريقة مماثلة؛ فإنه من الممكن أن تؤثر مستويات العمل، على القدرة في التعامل مع الموظفين؛ حيث إن نسبة البطالة المرتفعة، والسهولة النسبية في الحصول على الأيدي العاملة، تقوى من موقف صاحب العمل، وتجعله غير مهتم بكيفية التعامل الصحيح مع الأفراد، واختيار الأسلوب الأمثل لذلك.

2- **التطور التكنولوجي:** حيث يؤدي إلى تقليل احتياج المنظمة، واعتمادها على أعداد كبيرة من العاملين. في حين أن المنظمة ستكون في الوقت نفسه في حاجة إلى نطاق مختلف من المهارات والمعرفة؛ للتعامل مع الآلات الحديثة والكمبيوتر.

3- **القرارات السياسية:** سوف تنتهج الحكومات المختلفة سياسات وآراء اقتصادية مختلفة، فيما يخص توازن القوة في المنظمات.

4- **النظام القانوني:** سوف يتم من خلال التشريع، تحديد الحد الأدنى من المقاييس، أو تنظيم الأساس الذي يتم على أساسه إدارة العلاقات في أماكن العمل.

5- **التأثيرات الثقافية والاجتماعية:** يعتبر الموظفون والمديرون، جزءاً من المجتمع الأكبر، وسوف يجلبون معهم معدلات وقيم هذا المجتمع. ومن المحتمل أن تنشأ المشاكل عندما يكون لدى المجموعتين تقاليد مختلفة، أو عندما يكون هناك قيد

معين على المنظمة. على سبيل المثال، في خدمات الطوارئ؛ حيث يكون هناك توقع بأن الموظفين لن يقوموا بأي إضراب أياً كانت الأسباب.

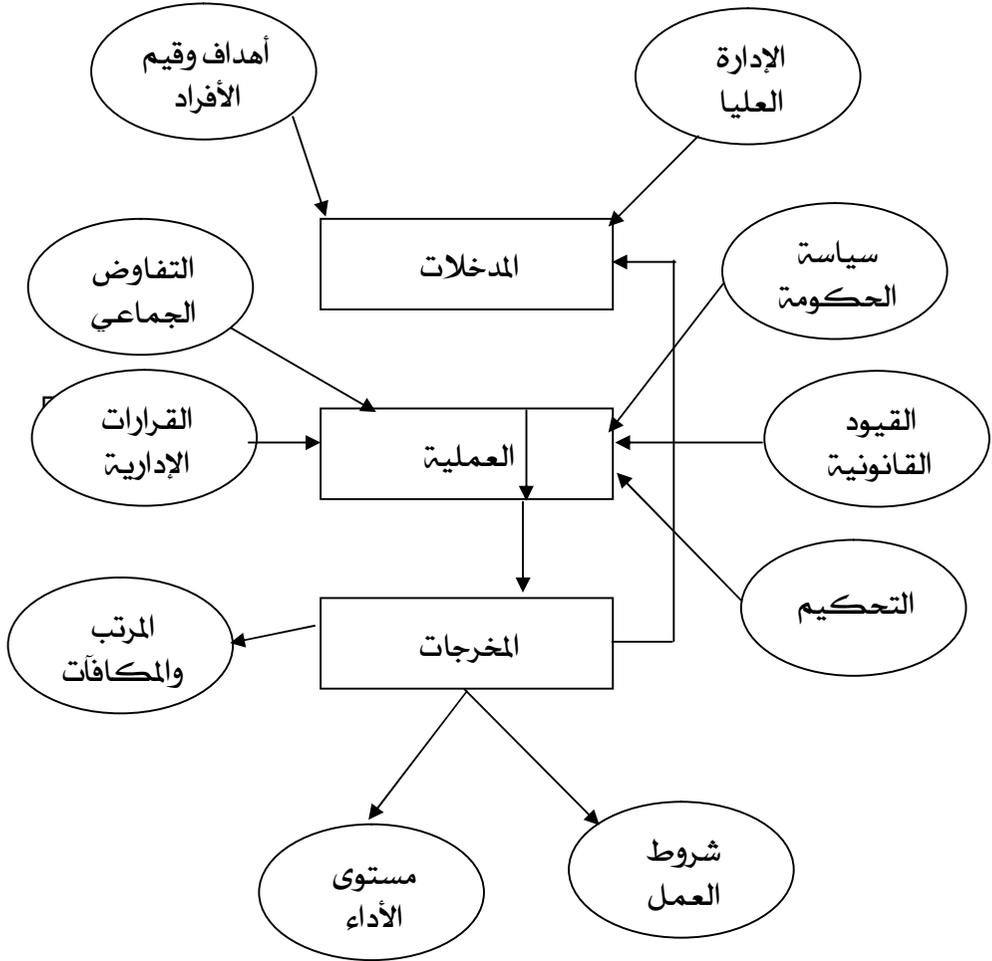
6- **بيئة العمل:** من الممكن أن تؤثر التغيرات التي تحدث في تركيب، أو حجم السكان على بعض الأمور؛ مثل الطلب على بعض البضائع والخدمات، ومدى توفر العمالة الماهرة. علاوةً على ذلك؛ من الممكن أن تؤثر التغيرات في مناخ الجو أو الطقس مرةً أخرى، على الطلب في بعض الحالات المعينة، أو على مقدرة المنظمة على تحقيق أهدافها.

7- **الاتجاهات الاجتماعية:** حيث تؤثر على توجهات الأشخاص نحو الجوانب المختلفة من العلاقات. على سبيل المثال؛ عندما قام عمال المناجم في المملكة المتحدة بإضراب في السبعينات من القرن العشرين؛ فقد أدى ذلك إلى تلقي قدر كبير من الدعم العام، والذي دون شك شجعهم على الصمود. ولكن؛ بحلول الثمانينات، كان المناخ قد تغير، وقل بصفة عامة مدى التعاطف الذي كانوا يحصلون عليه؛ وقد أدى في النهاية إلى تقسيم النقابة.

وفي نهاية هذا الكتاب، نقدم لكل مهتم بإدارة الموارد البشرية، بعض أساليب التعامل؛ التي تحدث عنها د. (محمد الصيرفي)، التي تمكنهم من التعامل مع مواردهم البشرية، على اختلاف شخصياتهم ودوافعهم وما يصدر عنها من انفعالات أو سلوكيات. وحتى تكون الصورة واضحة، تم ذكر إيجابيات وسلبيات كل أسلوب من أساليب التعامل؛ وهي كالتالي:

1- الأسلوب التحليلي:

لهذا الأسلوب درجة متدنية من الجزم؛ والجزم هنا يتعلق بالمدى الذي تصل إليه للتحكم والسيطرة على نشاط ووجهات نظر من هم حولك، ودرجة متدنية من التعبير العاطفي؛ وهو الدرجة التي تعبر أو تكتم بها عواطفك، والتي تساعد في تحديد أسلوبك في التعامل، ويعبر عن العواطف بأربعة طرق:



(كشواى، 2008: ص ص 187، 188)

شكل (8) نموذج مبسط لنظام العلاقات مع الموظفين.

- الأولى: التعبير الشفهي.
- الثانية: التعبير الصوتي.
- الثالثة: بيئة العمل.
- الرابعة: الجزم.

والذين لديهم هذا الأسلوب؛ يركزون على الحقائق أكثر من المشاعر. إنهم يحاولون تقييم الأوضاع بموضوعية، ويجمعون بيانات كثيرة قبل اتخاذ القرار، ويفضلون بيئة عمل منظمة، والكلمات التي تميز صاحب هذا الأسلوب تشمل:

- جاد.
- واقعي.
- متحفظ.
- منطقي.
- منظم.
- نظامي.

إيجابيات الأسلوب التحليلي:

- أ - الميل الطبيعي للتوصل إلى الحقائق، يجعل من التحليلين أفضل نم يحل المشكلات.
- ب- لدى صاحب هذا الأسلوب الصبر الكافي على بحث التفاصيل، والخروج بحلول منطقية.
- ج- إمكانية العمل بشكل مستقل؛ وبالتالي فهم مناسبون جداً لمجالات: المالية، العلوم، والكمبيوتر.

سلبيات هذا الأسلوب:

- أ - وضع الحقائق والدقة قبل المشاعر.
- ب- يرى البعض أن أصحابه بلا مشاعر.
- ج- تحت الضغط؛ يكون لديهم ميل للمبالغة في التحليل.
- د- تجنب اتخاذ القرار لأن التحليليين لا يرتاحون لموضوع المشاعر، سواء كانت مشاعرهم أو مشاعر الآخرين. لذلك؛ فهم يتجنبون التعبير عن المشاعر، حتى ولو كان ذلك هو أفضل شيء يفعلونه.

ومن السلوكيات الرئيسية للتحليليين:

- عدم إظهار أي تعبير على الوجه.
- السيطرة على حركة الجسم مع إيماءات بطيئة.
- لا تعكس نبرة الصوت لديهم، أي شيء مميز، وقد يميلون إلى الغمغمة والإبهام.
- يستخدمون لغة مختصرة، ويركزون على تفاصيل محددة.
- لديهم خرائط ورسوم بيانية وإحصائيات معروضة في مكاتبهم.

2- أسلوب السائق:

لهذا الأسلوب درجة عالية من الجزم، ودرجة أقل من التعبير العاطفي، والذين لديهم هذا الأسلوب؛ يعرفون إلى أين يذهبون؟ وكيف يذهبون إلى وجهتهم؟.

إنهم يجيدون فن أداء الواجبات، ويركزون على النتائج. فالسائقون يجبون التنافس، والكلمات التي تميز صاحب هذا الأسلوب:

- حاسم.
- محترم في اتخاذ القرار.
- أكفاء.
- انفعالي.
- لديه استقلال ذاتي.
- يحقق النتائج المستهدفة.

إيجابيات أسلوب السائق:

أ - القدرة على السيطرة على الوضع واتخاذ القرارات؛ في ما يجعل السائقين من ذوي الإنجازات.

ب- تركيز الانتباه على الأهداف التي يرغبون فيها.

ج- عدم الخوف من المخاطرة في سبيل تحقيق الأهداف، وهم مناسبون لوظائف: المحاماة، الجراحة، وكبار التنفيذيين.

سلبيات هذا الأسلوب:

- أ - عند الشعور بالضغط؛ يركزون على إنجاز الأشياء بسرعة لدرجة تتجاهل التفاصيل؛ مما يؤدي إلى ارتكاب الأخطاء.
- ب- وضع مشاعر أصحاب هذا الأسلوب ومشاعر الآخرين جانبا.
- ج- السعي إلى التمكن من إنجاز المهام، الأمر الذي يمكن أن يوجد حالات توتر مع الزملاء.
- د- نظراً لأسلوبهم الضعيف في القيادة وطبيعتهم التنافسية؛ فقد يصبحون مدمنى عمل.

ومن السلوكيات الرئيسية لأصحاب أسلوب السائقين:

- يركزون النظر في عيني الطرف الآخر.
- يتحركون بسرعة نحو الهدف.
- يتحدثون بقوة وبسرعة.
- يستخدمون لغة مباشرة تتم عن فهم.
- لديهم قائمة للتخطيط، ومخططات مشاريع معروضة في مكاتبهم.

3- الأسلوب اللطيف:

لهذا الأسلوب درجة أقل من الجزم، ودرجة عالية من التعبير العاطفي، وأصحاب هذا الأسلوب أكثر استجابة، ويتعاملون بلطف، ولكن ليس بالضرورة أن يكون الفرد منهم قوى الشخصية أو مباشراً. والكلمات التي تميز صاحب هذا الأسلوب:

- متعاون.
- مساعد.
- مسترخي.
- لطيف.
- صبور.

إيجابيات الأسلوب اللطيف:

- أ - مستمعون جيدون للآخرين.
- ب- حساسيتهم تجاه مشاعر الآخرين تجعلهم متعاونين.
- ج- يصلحون لبيئة العمل الجماعي (فرق العمل)، وهم مناسبون أكثر للمهن المساعدة؛ كالتمريض، واختصاصي المعالجة والمعلمين... الخ.

سلبيات هذا الأسلوب:

- أ - لديهم مشكلة في الدفاع عن أنفسهم.
- ب- لديهم مشكلة في اتخاذ القرارات السريعة.
- ج- لا يحبون الخلافات التي تؤدي إلى مواجهات مع الزملاء.
- د- مترددون في التعامل مع النزاعات؛ يعنى أنهم لا يحصلون دائماً على ما يرغبون فيه.
- هـ- الإحباط الناتج عن الفشل في معالجة مثل هذه المشكلات، قد يتحول إلى أشياء توجه إلى الزملاء في أي تفاعلات تحدث مؤخراً.

ومن السلوكيات الرئيسية لهذا الأسلوب:

- تعابير وجوههم ودودة.
- نظراتهم إلى عيون الطرف الآخر متكررة.
- يستخدمون إيماءات غير عدوانية وغير مثيرة.
- يتحدثون ببطء وبنبرة رقيقة بتغيير معتدل.
- يستخدمون لغة مشجعة.
- يعرضون صور أسرهم في مكاتبهم.

4- الأسلوب التعبيري:

لهذا الأسلوب درجة عالية من الجزم، ودرجة عالية من التعبير العاطفي، وأصحاب هذا الأسلوب غير متحفظين، ومقنعون، ومتحمسون، ولطفاء، ويفضلون العمل مع الآخرين، ويعيشون تحت دائرة الضوء. والكلمات التي تميز أصحاب هذا الأسلوب:

- غير متحفظين.
- مقنعون.
- اجتماعيون.
- حماسيون.
- مرحون.
- نشيطون.

إيجابيات الأسلوب التعبيري:

- أ - بطبيعتهم نشيطين؛ ولهذا نجدهم قادرين على نيل الإعجاب.
- ب- يعملون بسرعة.
- ج- يجيدون بناء التحالفات والعلاقات لتحقيق أهدافهم، وهم مناسبون جداً للوظائف ذات المواصفات العالية، التي تتطلب منهم تقديم العروض للجمهور، ومن هؤلاء: المدربون، الممثلون، مندوبو المبيعات...الخ.

سلبيات هذا الأسلوب:

- أ - يستخدمون إيماءات الأيدي والذراع بصورة سريعة.
- ب- يتحدثون بسرعة مع كثرة الحوار والإثارة.
- ج- لديهم مجال واسع لتعبيرات الوجه.
- د- لديهم أماكن عمل مزدحمة بالأشياء الإيحائية والرمزية.

5- أسلوب سد الفجوة:

العملاء والزملاء ممن لديهم أساليب تعامل مختلفة، يحتاجون لأنواع مختلفة من الفهم. وبتفهم وتبنى أسلوب الطرف الآخر الذي نتعامل معه، فسوف توجد علاقة قوية، وتقدم أداء أفضل وخدمة جيدة. ومثل هذا الأسلوب مهم في الحالات الصعبة؛ حيث هناك احتمال أكبر لسوء الفهم أو الارتباك.

مع ملاحظة أن كل شخص يستخدم جوانب من أساليب التعامل الأربعة

بدرجة ما، وعلى الرغم من أن السلوكيات التي قد تستخدمها، تعكس على نحو كبير أسلوبك في التعامل، إلا أن هناك سلوكيات أخرى أقل استخداماً؛ تشكل جزءاً صغيراً من الكيفية التي تعبر بها عن نفسك.

إن ممارسة أسلوب سد الفجوة بينك وبين الآخرين، يوفر لك فرصة ترسيخ هذه الجوانب الأقل استخداماً من حياتك.

6- أسلوب التعامل الاحتياطي:

على الرغم من وجود أسلوب تعامل أساسي واحد عادةً، إلا أن للعديد من الناس أسلوب تعامل احتياطي. وهذا الأسلوب الذي تلجأ إليه، عندما تكون تحت ضغط؛ حيث تذهب كافة الأساليب الأربعة إلى واحد من اثنين: تصبح أكثر حيوية، أو أكثر سلبية. فأصحاب أسلوب السائق والأسلوب التعبيري؛ الأكثر جزءاً من الأربعة، يصبحون أكثر حيوية وعنفاً تحت الضغط؛ بينما أصحاب السلوك اللطيف والأسلوب التحليلي (الأقل جزءاً من الأربعة)؛ أقل حيوية وأقل تحملاً للمسئولية تحت الضغط. وفيما يلي السلوكيات العامة ذات الصلة بكل أسلوب عند التعرض للضغط:

- أ - يصبح أصحاب أسلوب السائق أكثر استبداداً وأكثر مطالب.
- ب- يعبر التعبيريون عن مشاعرهم بهجوم شفهي.
- ج- يتخلى أصحاب السلوك اللطيف عن مطالبهم، واضعين مشاعرهم جانباً.
- د- يعالج التحليليون النزاع بتجنب الحالة نفسها.

كافة هذه الاستجابات لا تصلح عادةً لحل النزاع. ولهذا؛ فإن قدرتك على توقع الكيفية، التي من المحتمل أن تتصرف بها أنت والآخرين تحت الضغط؛ يمكن أن يخفف حدة النزاع بينك وبين زملائك.

مما سبق؛ يمكن التعامل مع المرؤوسين من خلال النصائح التالية:

- أ - الحرص على علاقات التعاون والاحترام مع المرؤوسين.

- ب- الحرص على أن تكون مشرفاً أو رئيساً ديمقراطياً؛ حتى تتيح الفرصة لكل عضو في الجماعة للمشاركة في الرأي.
- ج- عند إعطاء الأوامر لمرووسيك؛ ضع في الاعتبار ما يلي:
- أن يكون الأمر معقولاً وقابلاً للتنفيذ.
 - أن يكون الأمر متوافقاً مع مهام الوظيفة.
 - أن يكون الأمر متكاملًا.
 - أن يكون الأمر واضحاً.
 - ويستحسن أن يكون الأمر مكتوباً.
- د- ساعد مرووسيك على تنمية قدرتهم على توجيه الفرد لنفسه توجيهاً سليماً.
- هـ- ساعد مرووسيك على الترقى، وإلحاقهم ببرامج التدريب المختلفة؛ حتى يتم نضجهم المهني.
- و- لا بد وأن تتعرف على إمكانيات كل فرد من مرووسيك، فضع كل فرد في العمل المناسب له.
- ز- أعط كل فرد حقه؛ ويتمثل ذلك في الاعتراف بالآراء التي يقدمه المرؤوس، ولا تقلل من شأنها أو تحطمها.
- ح- اتبع القواعد السلوكية والإنسانية الصحيحة؛ لتحفيز مرووسيك، ودفعهم للعمل بحب ورضا من ناحيتهم.
- ط- شارك مرووسيك لتحقيق الأهداف المطلوبة، فالمدبر الذي يستطيع إشراك مرؤوسيه في بعض سلطاته وقراراته؛ يضمن معاونته الأفراد، ويقلل مقاومة السلطة، ويهيئ العاملين أيضاً لتقبل التغيير. (الصيرفي، 2007 أ: متعدد)
- إن الهدف الرئيسي لإدارة الموارد البشرية، يتبلور في التأكد من قدرة المنظمة على تحقيق النجاح أو بلوغ أهدافها، من خلال العاملين كموارد بشرية، ويتفرع عن هذا الهدف، أهداف فرعية أهمها:

1- تقديم مجموعة من الخدمات التي تدعم تحقيق أهداف المنظمة.

- 2- تمكين المنظمة من جذب واختيار والحفاظ على ما تحتاجه من عمالة، على مستوى عالٍ من القدرة والالتزام والدافعية.
- 3- تعزيز قدرات العاملين على الأداء الفعال؛ بتقديم فرص التعلم والتطوير المستمر.
- 4- تهيئة مناخ تسود فيه علاقات منسجمة بين الإدارة، وبين العاملين تحت مظلة من الثقة المتبادلة.
- 5- تهيئة مناخ مشجع لتكوين وإدارة فرق عمل فعالة، بأداء مرن يستجيب للمتغيرات الداخلية والخارجية.
- 6- مساعدة المنظمة على موازنة احتياجات وتوقعات أصحاب المصلحة في استثمارها (الملاك والعاملون والإدارة والحكومة والموردون والعملاء.... الخ).
- 7- التأكد من أن البشر كعاملين، يتلقون الاهتمام والتقييم والحفز المناسب.
- 8- إدارة قوة عمل متنوعة (السن / الجنس / الجنسية / العرق... الخ)، مع الأخذ في الاعتبار الفروق الفردية والجماعية، وما تفرزه من اختلاف في تطلعات العاملين، وفي الحاجات المطلوب إشباعها، والحوافز المستخدمة، وأنماط الأداء، وأساليب القيادة.
- 9- تبنى مدخل أخلاقي في إدارة العاملين، يقوم على العدالة وتكافؤ الفرص والشفافية.
- 10- كفاءة وتحسين الصحة العقلية والجسمية للعاملين، ضمن مبدأ صيانة الموارد البشرية.

وختاماً؛ إن الاهتمام بالعاملين يعنى بدايةً، جذب واختيار واستبقاء ودفع العناصر المناسبة للعاملين، وتهيئة ثقافة تنظيمية ثرية، ضمن مناخ تنظيمي مناسب. لذلك؛ لا يجب أن ينصب الاهتمام فقط على حاجة المنظمة للعاملين، بل أيضاً

على حاجات العاملين أنفسهم، ويتضمن ذلك مدخلاً أخلاقياً يقوم على أربعة أسس؛ وهي:

- احترام العاملين وتقبل آرائهم.
- الاحترام المتبادل، وخلق مناخ من المصلحة المشتركة، وتلطيف أو حل الصراعات الناشئة عن قصور الاتصالات التنظيمية.
- العدالة في كافة مجالات التعامل مع العاملين.
- الشفافية؛ بتوضيح أهداف وتوجهات ونوايا الإدارة، ومدلول الخطط والقرارات والإجراءات.

كما أن على اختصاصي الموارد البشرية؛ الاهتمام بإشراك الأفراد وفرق العمل، في حسين الأداء التنظيمي أو أداء المنظمة؛ وهذا يعنى التأكد من توافر المهارات المناسبة، وأنه يجرى تطويرها باستمرار؛ أي تكوين وتعزيز القدرات البشرية اللازمة. مصطفى (2008: ص ص 52، 53)

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

الكتب:

أبو النصر، مدحت محمد. إدارة وتنمية الموارد البشرية: الاتجاهات المعاصرة (القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2007).

أبو بكر، مصطفى محمود. أخلاقيات وقيم العمل في المنظمات المعاصرة، (الإسكندرية: الدار الجامعية، 2010).

أبو بكر، مصطفى محمود. إدارة الموارد البشرية: مدخل لتحقيق الميزة التنافسية (الإسكندرية: الدار الجامعية، 2004).

أحمد، لطفى بركات. التربية والتنمية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1989).

أسعد، يوسف ميخائيل. سيكولوجية الغضب، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987).

أسعد، يوسف ميخائيل، الانتماء وتكامل الشخصية (القاهرة: مكتبة غريب، د.ت).

الإمام النووي. صحيح مسلم بشرح النووي، (د. ن)، (القاهرة: دن، د.ت).

الأهواني، احمد فؤاد. خلاصة علم النفس (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1938).

البهّي، محمد. القرآن والمجتمع، ط 2 (القاهرة: مكتبة وهبة، 1986).

البياع، محمد حسن عبد الهادى. القيادة الإدارية في ضوء المنهج العلمى والممارسة (لندن: دار واسد، د.ت).

الديسطنى، محمد السيد؛ حريز، سمية محمود. كيف يخلق المدير تنظيماً فعالاً، (القاهرة: وزارة الصناعة - مصلحة الكفاية الإنتاجية -، د.ت).

- السعيد، كامل؛ وآخرون. مبادئ القانون وحقوق الإنسان (القاهرة: الشركة العربية المتحدة، 2009).
- السيد، عبد الستار. حقوق الإنسان في الإسلام ورعايته للقيم والمعاني الإنسانية، المؤتمر السادس، جزء 2 (القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، 1971).
- الشعراوي، محمد متولي. معجزة القرآن (القاهرة: وزارة التربية والتعليم، 1992).
- الصواف، محمد ماهر. اتجاهات العاملين بالجهاز الإداري وأثره على دوافعهم نحو التطوير - بحث مقدم للمؤتمر السنوي الثاني: القيادات الإدارية في القرن الواحد والعشرين، ديسمبر 1995 -، (القاهرة: أكاديمية السادات للعلوم الإدارية، 1995).
- الصيرفي، محمد. أساليب التعامل (القاهرة: مؤسسة حورس الدولية، 2007).
- الصيرفي، محمد. الضغط والقلق الإداري (القاهرة: مؤسسة حورس الدولية، 2007).
- الطويل، عزت عبد العظيم. في علم النفس التعليمي المعاصر (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1985).
- الطويل، عزت عبد العظيم. في النفس والقرآن الكريم (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1982).
- العيصوي، عبد الرحمن. التربية للطفل والمراهق (بيروت، دار الراتب الجامعية، 2000).
- الفي، إبراهيم. المفاتيح العشرة للنجاح (القاهرة: دار الراجحة، 2009).
- الفندي، محمد جمال الدين. الإسلام وقوانين الوجود (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982).
- القوصي، عبد العزيز. أسس الصحة النفسية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط5، 1956).
- المغربي، عبد الحميد عبد الفتاح، المهارات السلوكية والتنظيمية لتنمية الموارد البشرية (القاهرة: المكتبة العصرية، 2007).

- بيكلر، لورين ب.. مدير لأول مرة، ترجمة: جمال إمام، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1995).
- جلال، سعد. المرجع في علم النفس (القاهرة: دار المعارف، 1966).
- حاتم، محمد عبد القادر. الأخلاق في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة:، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988).
- حسن، راوية. إدارة الموارد البشرية: رؤية مستقبلية (الإسكندرية: الدار الجامعية، 2003).
- همزة، مختار. سيكولوجية المرضي وذوي العاهات، ط2 (القاهرة: دار المعارف، 1964).
- خطاب، عايدة سيد، بحث "دور الموارد البشرية في تحقيق المزايا التنافسية المستدامة"، الخروج من الأزمات الاقتصادية والمجتمعية (المقترحات والحلول) - المؤتمر السنوي السابع عشر (القاهرة: جامعة عين شمس، 2012).
- خليفة، عبد اللطيف محمد، الدافعية للإنجاز (القاهرة: دار غريب، 2000).
- خيرى، السيد محمد. علم النفس الصناعي، وتطبيقاته المحلية، (القاهرة: دار النهضة العربية، د.ت).
- دالدين، ديو بولد ب فان. مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة: محمد نبيل نوفل؛ وآخرون (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1979).
- دغيم، أحمد على دغيم، الطريق إلى المعجزة الاقتصادية والقضاء نهائياً على البطالة "الصين تؤكد عملياً نجاح فكرتنا". (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 2006).
- دونللى، جاك. حقوق الإنسان العالمية بين النظرية والتطبيق، ترجمة: مبارك على عثمان، مراجعة: محمد نور فرحات، (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1998).
- دى فريس، مانفريد كيتس. السمات النفسية للقادة، ترجمة: هشام الحناوى (القاهرة: المكتب العربى للمعارف، 2006)
- زهران، حامد عبد السلام. التوجيه والإرشاد النفسي (القاهرة، عالم الكتب، 1977).
- سابق، السيد. فقه السنة، مج 1 (القاهرة: مكتبة دار التراث، د. ت).

- سالم، محمود يحيى. تنمية الموارد البشرية في ظل المتغيرات العالمية (القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2009).
- سويف، مصطفى. مقدمة لعلم النفس الاجتماعي (2) تاريخ العلم: إلى بداية الحرب العالمية الأولى (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت).
- شتا، السيد على. المختلسون من المال العام، المكتبة المصرية، (الإسكندرية: المكتبة المصرية، 2004).
- شفيق، محمد. سيكولوجية القيادة: تطبيقات علم النفس في القيادة (القاهرة: مركز تطوير الأداء والتنمية، 2005).
- شفيق، محمد. السلوك الاجتماعي مع تطبيقات في علم النفس الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2002).
- شفيق، محمد (د. ت). الجريمة والمجتمع.. محاضرات في الاجتماع الجنائي والدفاع الجنائي، المكتب الجامعي الحديث، (الإسكندرية).
- شلتوت، محمود. الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، ط12، (القاهرة: دار الشروق، 1983).
- طه، فرج عبد القادر (1983). علم النفس الصناعي والتنظيمي، دار المعارف، ط4 (القاهرة).
- طه، فرج عبد القادر. علم النفس وقضايا العصر (القاهرة: دار المعارف، 1979).
- عبد الباقي، صلاح الدين محمد. الجوانب العلمية والتطبيقية في إدارة الموارد البشرية بالمنظمات (الإسكندرية: الدار الجامعية، 2001).
- عبد الحميد، جابر؛ الشيخ، سليمان الخضري (1978). دراسات نفسية في الشخصية العربية عالم الكتب، (القاهرة).
- عبد الحميد، جابر. علم النفس التربوي، دار النهضة العربية، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1977).
- عبد الحميد، شاكراً. علم نفس الإبداع (القاهرة: دار غريب، 1995).

- عفيفي، صديق محمد. دليل المعلم في أخلاق المهنة: مفاهيم نظرية وحالات عملية، (القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2006).
- عفيفي، صديق محمد؛ عبد الهادي، أحمد إبراهيم. السلوك التنظيمي: دراسة في التحليل السلوكي للبيروقراطية المصرية (القاهرة: مكتبة عين شمس، 1994).
- عكاشة، محمود فتحي؛ زكي، محمد شفيق. مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، المؤلف، (القاهرة: المؤلف، 1997).
- على، أحمد جابر حسنين. أخلاقيات العمل بين الدين والمجتمع (القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2011).
- عمارة، محمود محمد. الخطابة في موكب الدعوة (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1986).
- عوض، عباس محمود. مدخل إلى الأسس النفسية والفسولوجية للسلوك (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1980).
- غنيم، أحمد محمد (2009). إعادة هندسة نظم العمل.. الثورة الإدارية المضادة، دار الإدارة، (القاهرة).
- فهيم، مصطفى. الصحة النفسية في الأسرة والمدرسة والمجتمع (القاهرة: دار الثقافة، 1963).
- فهيم، مصطفى. في علم النفس (القاهرة: دار الثقافة، د.ت).
- كاظم، حسين رمزي. الإدارة والمجتمع المصري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993).
- كشواي، باري. إدارة الموارد البشرية، ترجمة: خالد العامري، ط3 (القاهرة: دار الفاروق للنشر والتوزيع، 2008).
- كيلبر، كاي. تحقيق الرضاء الوظيفي، ترجمة: خالد العامري (القاهرة، دار الفاروق، 2003).

- ليايت، هارولد. علم النفس الإداري: التعريف بالأفراد، والأزواج، والجماعات في المنظمات، ترجمة: كمال دسوقي، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت).
- مانفرد، كيتس. السمات النفسية للقادة، ترجمة: هشام الحناوى (القاهرة: المكتب العربي للمعارف، 2006).
- ماهر، أحمد. الاختبارات واستخدامها في إدارة الموارد البشرية والأفراد (الإسكندرية: الدار الجامعية، 1997).
- ماير، نورمان. علم النفس في الصناعة، ترجمة محمد عماد الدين؛ وآخرون (القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه، د.ت).
- متولى، عبد الحميد. الشريعة الإسلامية كمصدر أساسي للدستور (الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ت).
- محمود، جمال الدين محمد. قضايا معاصرة في الدعوة (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1989).
- مصطفى، أحمد سيد. إدارة الموارد البشرية: رؤية إستراتيجية معاصرة (القاهرة: المؤلف، 2008).
- مصطفى، أحمد سيد. المدير الذكي كيف يكون الذكاء في القيادة (القاهرة: المؤلف، 2007).
- ملحم؛ يحيى سليم. التمكين كمفهوم إداري معاصر (القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2006).
- نايت، ركس؛ نايت، مارجريت. المدخل إلى علم النفس الحديث، تعريب: عبد العلي الجسماني (بغداد: مكتبة النهضة، 1965).
- نجاتي، محمد عثمان. القرآن وعلم النفس (القاهرة: دار الشروق، ط1، 1982).
- نجاتي، محمد عثمان. الإدراك الحسي عند ابن سينا، (قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية)، إعداد: لويس كامل مليكه، الدار القومية للطباعة والنشر (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965).

قائمة المراجع 417

هونى، بيتر. الأفراد ذوو المشكلات وكيفية التعامل معهم، ترجمة: عبید الله بن سحمى القرشى (الرياض: معهد الإدارة العامة، 2003).

هیکل، محمد حسین. حياة محمد (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997).

الدوريات:

إبراهيم، محمد على. حكومات الشوارع!، جريدة الجمهورية (العدد 20142، الخميس 2009 / 2 / 19).

آر، جون. "الإدارة والإنتاجية"، ترجمة: رأفت شكرى، مجلة التنمية الإدارية، (العدد 114: يناير 2007).

جريدة الأهرام. إضراب الصيادلة، مؤسسة الأهرام (العدد 44631، الأحد 2009 / 2 / 15).

حشيش، عصام. حق ربنا، جريدة الأخبار (العدد 17735، الخميس 2009 / 2 / 19).

دقاسمة، مأمون أحمد سليم. مستويات إشباع حاجات العاملين في المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي في الأردن، مجلة الإدارة، مج 40 (العدد 4: يناير 2001).

دويتشمان، آلان. قل ما تفعل، وافعل ما تقول.. المبدأ السامي للقائد المتسامي، خلاصات (كتب المدير ورجل الأعمال)، الشركة العربية للإعلام (شعاع) العلمي السنة التاسعة عشر، (العدد 446، مارس 2011).

على، أحمد جابر حسين على. "دور الأسرة في صناعة الموظف العام"، مجلة التنمية الإدارية، ع 113، (العدد 113: أبريل 2009).

ثانيا: المراجع الأجنبية:

Armstrong , Michael. How To Manage People (London: Kogan Page, 2008).

Cameron , Kim. Positive Leadership (San Francisco: B.K, 2008).

French , W. The Personnel Management Process: Human Resources Administration , 3d ed (Boston: Houghtm Migglin Co., 1974).

Grant , V.: Smith , G. Personnel Administration & Industrial Relations , 2d ed (London: Longman , 1977).

9. Jones , Gray. Organizational Behavior: Understanding Life at Work , (Boston: Scitt Foresnan , 1988).
- Mann, Michael. Encyclopedia Of The Social Science (London: London School Of Economics, 1994).
- Martin , J. Personnel Management (London: Macdonald K.Evans Ltd, 1977)
- Robert L. Braker. The Social Work Dictionary, 4th ed (Washington , DC , NAWS Press, 1999).
- Rose, M. Reworking the work ethic: Economic values and socio-cultural politics.(London: Schocken,1985).
- Ryan , K ; Oestreish,D (1991). Driving Fear Out Of The Work Place (U.S.A.: , Jossey - Bass,1991)
- Sikula , A. Personnel & Administration Human Resources Management (New York: John Wiley Co. & Sons , 1976).
- Siporine , Max. Introduction To Social Work (New York: Macmillan PublicationCo., Inc., 1975).

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

- موقع الأمم المتحدة: <http://www.un.org>
- الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان: <http://www1.umn.edu>